غِذاءُ القُلُوب

فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

للفقير إلى مولاه

مُحَمَّد بْن إبْرَاهِيم بْن عَبْد اللَّه التُّوَيْجِرِيّ

الجـزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

غِـــذاءُ القُـلُوب

فِي ضَـــوْءِ القُـــرْآنِ والسَّـــنَةِ

للفقـــير إلى عفـــو ربـــه

مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيم بنِ عَبْدِ اللهِ التويجِري

الطبعة الأولي

١٤٤٧هـ-٢٠٢٥م

الجـــزء الأول

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٢٧١-٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

غِـذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَـوْءِ القُـرْآنِ وَالسَّـنَةِ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ اَلحَمْدَ للهَّ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاَللهَّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسَنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدُهُ اَللهُّ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضَلِّلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهْ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهُدَى هُدَى محمد ﷺ، وشرُّ الأمورِ محْدثَاتُها، وكُلُّ محْدَثةٍ بِدْعةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

أخي المسلم الكريم:

اعلم أن للأجساد غذاؤها، وللقلوب غذاؤها، والكل من عند الله وحده فغذاء الأجساد من الأرض، وغذاء القلوب من السماء.

غذاء الأجساد سبب للحياة، وغذاء القلوب سبب للسير على الصراط المستقيم في الحياة، الموصل إلى رضوان الله والجنة في الآخرة: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وإذا غلب غذاء الأجساد على غذاء القلوب، صار الإنسان بهيمياً، يأكل ويشرب ما يشتهي بلا حد ولا قيد ولا هدف، فاعتل بدنه، وكثرت أسقامه .

وإذا غلب غذاء القلوب على غذاء الأجساد صار الإنسان آدمياً، يصدق أخبار ربه، ويؤمن به، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، وجاءت عنده عاطفة حب الله، ورجائه، والخوف منه وخشيته، وحمده وشكره، والثناء عليه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

وقوت القلوب أعظم العلوم، وأنفسها وأعلاها، وأزكاها، وأوجبها.

وكلما زاد غذاء القلوب، زاد الإيمان بالله، وأثمر أعظم الثمرات، من قوة التوحيد، وصدق الإخلاص، وكمال اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وحب الطاعات، وبغض المعاصي، وحسن عبادة الله، وكثرة ذكره، وتفويض الأمور إليه، وشكوى الأحوال إليه، والأنس بمناجاته، ولزوم عتبة العبودية، وعدم التفات القلب إلى غيره: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

والإيمان أن ترى الله وحده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله العظيمة، وأحكامه المجيدة، تراه وحده يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه :﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

هو وحد الذي يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، ويرحم وينتقم، ويقلب الأحوال على الخلق كما يقلب الليل والنهار على الأرض : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[النور:٤٤] .

وترى كل ما سوى الله من المخلوقات في السماء والأرض ليس بيدها شيء، لأن الأمر كله بيد الله الواحد القهار، الملك القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يخفي عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك: ١] .

الخلق كلهم عبيده، وكل واحد منهم يؤدي وظيفته، ويسبح بحمد ربه الذي خلقه، وكل واحد منهم واقف في محراب العبودية لربه العظيم، شاهد بوحدانيته، ومسبح بحمده، وساجد لعظمته، ومتصاغر لكبريائه، وذليل لعزته، وخاضع لجبروته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾[الحج: ١٨] .

وبهذا يذوق القلب طعم الإيمان، ويجد حلاوة الإيمان، ويصل إلى حقيقة الإيمان.

والله سبحانه حكيم عليم في خلقه وأمره، خلق هذا الإنسان من تراب، ثم نفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة في الأرض، يتلقى أوامر ربه، وينفذها على نفسه بالعبادة، وعلى غيره بالدعوة .

وجعل سبحانه ذرية آدم ﷺ هم خلفاء الأرض، وأكرمهم بإرسال الرسل منهم، وأنزل الكتب عليهم، وزودهم بالآت العلم من السمع والبصر

والعقل، وفطرهم على التوحيد، وشرفهم جميعاً بعبادته وحده لا شريك له، وجعل هذه الأمة نواب النبي ﷺ في أمته، يعبدون ربهم، ويدعون الناس إلى عبادته وحده لا شريك له: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

والإيمان كالمال يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، ويرتفع وينخفض .

يزيد بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

ويزيد كذلك بالنظر في الآيات الكونية بأجناسها وأنواعها، وأحجامها وألوانها: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

ويزيد الإيمان كذلك بالتدبر للآيات القرآنية، وما فيها من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، وأنواع القرب والطاعات، وحسن الثواب والعقاب، ومعرفة الجنة والنار: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] .

ويزيد الإيمان كذلك ببذل الجهد لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله، وتعليم شرع الله، وحسن عبادة الله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ومن زاد علمه بربه، وزاد تفكره في الآيات الكونية، وزاد تدبره للآيات القرآنية، وزاد جهده في سبيل إعلاء كلمة الله دعوة وعبادة وتعليماً، ازداد نور

الإيمان في قلبه، وأنشرح صدره لكل عبادة، وتحركت جوارحه بكل طاعة، ونطق لسانه بكل ما يحبه الله ويرضاه، وصار إماماً للمتقين، وقدوة للمؤمنين، ومناراً للمهتدين .

فهذه الأغذية الأربعة هي غذاء القلوب التي تزيد الإيمان في القلب، وتثمر كثرة ذكر الله، وحسن عبادته، ودوام شكره، ولزوم طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقد يسر الله لنا بمنه وفضله وعونه، جمع هذه الأغذية النافعة من بقاع شتى، ومن رحلات شتى، ومن كتب شتى، وحررنا ذلك في ضوء القرآن والسنة.

وهي أغذية تخاطب القلوب والعقول، وتنفع العالم والمتعلم، والمسلم والمسلمة، وتزيد لإيمان، وتحرك القلوب والجوارح بالأعمال الصالحة.

إن أعظم شئ في خزائن الله هو الهداية، وللهداية أسباب، وبابها الأعظم هو العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

فيا عبد الله لا تطمع في ثمرة بلا شجرة، ولا تطمع في شجرة بلا ماء يسقيها .

فالتوحيد والإيمان شجرة مباركة، وسقيها بالعلم الإلهي الذي هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه.

فالشجرة توحيد الربوبية التي تنمو بعد سقيها بالعلم الإلهي .

والثمرة هي توحيد الألوهية بالقيام بالعبادات الظاهرة والباطنة التي أمر الله ورسوله بها.

وإذا وجد الخلل في الثمرة فسببه الخلل في الشجرة، لعدم سقيها بالماء .

وإبليس عرف هذا السر، فسعى جاهداً لقطع الماء عن الشجرة فذبلت وماتت، وغر الناس بأن الشجرة فيها ما يكفيها من الماء: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ٢١] .

وبهذا خدع أكثر الناس، فماتت شجرة الإيمان، ثم انقطعت الثمرة .

ولما كان لكل خزانة باب، ولكل باب مفتاح، ومفاتيح أبواب التوحيد والإيمان والتقوى سبعة، والقرآن كله بيان لهذه العلوم السبعة العظيمة وهي: أن نعرف الرب الذي نعبد، ونعرف القرآن الذي نتبع، ونعرف الرسول الذي نقتدي به، ونعرف الإنسان ماذا يريد من الله، وماذا يريد الله منه، ونعرف عدو الإنسان وهو الشيطان فنحذره، ونعرف الدنيا التي نعيش فيها ماذا يريد الله أن نعمل فيها، ونعرف الأخرة التي سوف نصير إليها، ماذا أعددنا لها .

وهذه جرعات إيمانية، وقبسات نورانية، ومصابيح ضوئية، وأغذية قلبيه، في ضوء القرآن والسنة، تملأ القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وتثمر حب الله، وتعظيم الله، والخوف منه، والرجاء له، والحمد والشكر له، والتوكل عليه، والاستعانة به، وتحريك الجوارح بحسن عبادته مع كمال الحب والتعظيم والذل له، والفرار إليه، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، والفوز برضوانه وجنته :﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

والجسد سيارة، والقلب قائد السيارة، فإذا صلح القائد سار بالسيارة على الصراط المستقيم، وإذا فسد القائد سار بالسيارة على الصراط المعوج فأهلك نفسه، وأهلك غيره: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣] .

فإذا استقام القلب استقامت معه الجوارح، وإذا فسد القلب فسدت معه الجوارح ، لأن الجوارح جنود القلب.

وللجسد غذاء، وللقلب غذاء، وغذاء القلب هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادة الله بموجب ذلك: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

وهذه الأغذية الإيمانية تسقي العطشان، وتروي الظمآن، وتزيد الإيمان، وتقوي التوحيد، وتثمر كمال الإخلاص، وصدق اليقين، وكمال التواضع، وحسن العبادة .

وقد حررنا ذلك بفضل الله في ضوء القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، وتوجنا مسائل الكتاب بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وأسميناه:

(غِذَاءُ الْقُلُوبِ فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسَّنَةِ)

ويقع هذا الكتاب في مجلدين ، ويشتمل على عشرة أبواب، تحت كل باب عشرة فصول.

نسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وأن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتبه من العمل الصالح

المقبول، والتجارة التي لا تبور، وأن يغفر لنا كل زلل غير مقصود، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون .

كما أسأل الله عز وجل أن يغفر لمن كتب هذا الكتاب، وأخرجه، ومن قرأه، ومن سمعه، ومن علمه، ومن انتفع به، ومن نشره .

وأسأل الله عز وجل أن ينفع به عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يجعله سبباً لهداية الحائرين، ونور ينير الطريق للسالكين، وعينا يغرف منها الواردون، وبستانا يتجول فيه الطالبون، ليأخذوا من ثمراته وجواهره، وخيراته.

وفي الختام نحمد الله على نعمة البدء والختام، ونسأله القبول والرضوان .

وأسأله عز وجل أن يغفر لي ولوالدي، ولأهل بيتي، ولعموم المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قاله كاتبه ومحرره الفقير إلى ربه ومولاه ،

محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري .

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:

(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢) (٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام):

hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني:

Mb_twj@hotmail.com

غِذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

الجزء الأول

ويشتمل على الأبواب التالية :

١ – الباب الأول
٢ – الباب الثاني
٣ – الباب الثالث
٤ – الباب الرابع
٥ – الباب الخامس

قال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه

غِذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَـوْءِ القُـرْآنِ وَالسَّـنَةِ

الباب الأول

ويشتمل على الفصول التالية :

١ – الفصل الأول

٢ – الفصل الثاني

٣– الفصل الثالث

٤ – الفصل الرابع

٥ – الفصل الخامس

٦ – الفصل السادس

٧– الفصل السابع

٨– الفصل الثامن

٩– الفصل التاسع

١٠ – الفصل العاشر

غِذاءُ القُلُوبِ

الباب الأول

١ - الفصل الأول

- **فقه خلق الإنسان:**

الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، والإنسان له ظاهر وباطن ، وفي باطنه أكثر الأعضاء وأهمها كالقلب والكبد والمعدة وغيرها من الأعضاء الداخلية في الإنسان ، وأهم هذه الأعضاء هو القلب .

كما قال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه[1] .

ولفظ القلب يطلق على معنيين :

أحدهما : اللحم الصنوبري الشكل الموجود في الجانب الأيسر من صدر الإنسان، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم ينتشر على سائر البدن ، يدخل في هذا القلب الدم ثم يدفعه القلب بواسطة العروق لتغذية البدن .

الثاني : لطيفة ربانية روحانية، لها بذلك القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، فهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

المخاطب والمطالب، والمثاب والمعاقب ، ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني .

أما الروح :

الروح تطلق بمعنيين:

أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن .

وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه .

والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى.

وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان، فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً.

المعنى الثاني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب ، وهو الذي أراده الله تعالى بقوله:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

أما العقل : فهو ما يعقل الإنسان عما يشينه ويدنسه من الأقوال والأفعال وضده الجنون ، ويطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب.

ويطلق ويراد به تلك اللطيفة المدركة للعلوم فيكون هو القلب .

ولما خلق الله ﷻ الإنسان ابتلاه وامتحنه بما يعرف به صدقه وكذبه، وطاعته ومعصيته، وطيبه وخبثه ، فمزج في خلقة الإنسان وتركيبه أربع شوائب .

فلذلك اجتمع فيه أربع أنواع من الأوصاف وهي :

الصفات السبعية .. والصفات البهيمية .. والصفات الشيطانية .. والصفات الربانية .

وكل ذلك مجموع في قلبه، فالإنسان من حيث سُلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء، والتهجم على الناس بالشتم والضرب والقتل .

والإنسان من حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والنكاح والشبق وغير ذلك .

والإنسان من حيث اختصاصه عن البهائم بالتميز، مع مشاركته لها في الغضب والشهوة، حصلت فيه شيطانية، فصار شريرًا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والخداع ، ويظهر الشر في معرض الخير، وهذه أخلاق الشياطين .

ومن حيث أن الإنسان في نفسه أمر رباني، فانه يدعي نفس الربوبية ، ويحب الاستيلاء والاستعلاء في كل شيء ، ويحب الاستبداد والتسلط، والتفرد بالرياسة ، والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويدعي في نفسه

العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[الذاريات:٢١] .

فلا إله إلا الله، ما اعظم خلق الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[الإنسان: ٢ – ٣] .

- **منزلة القلب :**

الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، خلق الإنسان وفضله على كثير من خلقه :﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء:٧٠] .

وذلك الفضل باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله، وفخره وسعادته وأنسه، وفى والآخرة عدته وذخره، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله، وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو العالم بما عند الله ، وإنما الجوارح أتباع له، وخدم له: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

فالقلب هو الأصل، والجوارح تابعة له وخدم له، يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية، واستخدام الإنسان للآلة .

فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقًا بغير الله، وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠].

وهو المطيع في الحقيقة لله عز وجل، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات والأخلاق أنواره وأثاره ، والله عز وجل يريد من قلب الإنسان وقالبه أن يكون مستسلماً لربه عز وجل، فزينة القلب بالإيمان والتقوى، وزينة الجوارح بالأعمال الصالحة .

وبحسب ما في القلب من النور والظلام تظهر المحاسن والمساوئ، إذ كل إناء بما في ينضح، والقلوب كالقدور تغلي بما فيها كما قال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » . متفق عليه[1] .

والقلب هو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل، وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وربهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإن الله يحول بين المرء قلبه كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٥٢)، ومسلم برقم(١٥٩٩) .

وحيلولته أن يمنعه سبحانه عن مشاهدة الله، ومراقبته، ومعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وكيفية تقلبه بين اصبعين من أصابع الرحمن انه كيف يهوى مرة إلى أسفل سافلين، وينخفض إلى رتبه الشياطين ؟ وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عالیین، ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين ؟ ! وحاجة القلب إلى معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم من حاجة البدن إلى الطعام والشراب: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

بل نسبة حاجات القلب إلى الإيمان، ومعرفة الله عز وجل، وحاجة البدن إلى الطعام والشراب كالذرة بالنسبة للجبل، والقطرة بالنسبة للبحر .

والله ﷻ هو الخلاق العليم، خلق **في كل إنسان ثلاث أواني وهى:**

الدماغ .. والقلب .. والمعدة .

فالدماغ أنية العقل والعلم، والقلب أنية الإيمان والتوحيد، والمعدة أنية الطعام والشراب، فلكل أنية غذاء، ولكل غذاء ثمرة .

فالقلب محل الإيمان والتصديق واليقين، والتعظيم لرب العالمين، والخوف منه، والتوكل عليه، ومحبته، والأنس به والانقياد له والتسليم له سبحانه، ولهذا صار القلب محل نظر الله من العبد كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٦٣).

وأصل العلم الذي يورث العمل، ويوجب خشوع القلب، وخشية الرب ومحبته له، والقرب منه، والأنس به، والإقبال عليه، ولزوم طاعته، هو العلم بالله، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته، وآلائه ونعمه، ومعرفة صفات جلاله وجماله ثم معرفة وعده ووعيده، وماذا أعد الله من النعيم للمتقين ؟ وماذا أعد من العذاب للمجرمين ؟

ثم يتلوه العلم بإحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد، ويستقيم على ذلك إلى إن يموت، ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها بقوله : « اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لهَا » . أخرجه مسلم(١) .

والله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء، وخلق العين ليري بها الأشياء، وخلق الإذن يسمع بها الأصوات، وخلق العقل يعقل به الأشياء: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨] .

كما خلق سبحانه كل عضو من أعضاء الإنسان لأمر من الأمور، وعمل من الأعمال فاليد للبطش وللأكل ، والرجل للسعي، واللسان للنطق، والفم للأكل والأنف للشم، وكذا سائر الأعضاء الظاهرة والباطنة لكل عضو وظيفة وحكمة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٢٢).

فإذا استعمل الإنسان كل عضو فيما خلق له، وأُعد لأجله، فذلك هو الحق، وكان ذلك خير وصلاح لذلك العضو، وللإنسان، وللشيء الذي استعمل فيه، وإن استعمل العضو في خلاف ما خُلق له، فهو الضلال والهلاك، وصاحبه من الذين بدل نعمة الله كفرًا .

وسيد الأعضاء ورأسها وملكها هو القلب، والفكر في القلب كالإصغاء للأذن، وصلاح القلب حقه الذي خُلق من أجله هو أن يعقل الأشياء، فيعرف ربه ومعبوده وفطره، وما ينفع وما يضر، وما يصلح قلبه وما يفسده، ويعرف أسباب النجاة وأسباب الهلاك، ويميز بين هذا وهذا، ويختار ما ينفعه وما يصلحه، ويعتصم بالله ، ولا يلتفت إلى ما سواه .

والناس متفاوتون في الخلق ، ومتفاوتون في العقول، فهم بين كامل وناقص وذكي وغبي، وإذا أمن العبد بالله عز وجل فقد أفلح وسعد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

- **كرامات المؤمن في الدنيا والآخرة:**

إذا أمن الإنسان بالله أكرم الله قلبه في الدنيا بعشر كرامات من كراماتٍ كثيرة :

الأولى : الحياة الطيبة، كما قال سبحانه : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧].

ومن أحيا أرضًا ميتة فهي له، وكذلك الله عز وجل خلق القلب، وجعل فيه نور الإيمان، فلا يجوز أن يكون لغيرة فيه نصيب : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

الثانية : الشفاء من الأمراض والظاهرة والباطنة، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[التوبة: ١٤] .

فالعسل شفاء الأبدان ، والإيمان شفاء القلوب ، والعلم شفاء من الجهل .

الثالثة : الطهارة . فالصائغ إذا امتحن الذهب مرة لا يدخله النار، كذلك الله إذا امتحن قلوب المؤمنين في الدنيا فاستقاموا لا يدخلهم النار يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحجرات: ٣] .

الرابعة : الهداية، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١] .

الخامسة : ثبوت الإيمان . كما أن الورقة إذا كتب فيها قرآن لا يجوز إحراقها، فكذلك قلب المؤمن إذا ثبت فيه الإيمان لا يجوز إحراقه بالنار: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة: ٢٢] .

السادسة : السكينة . كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾[الفتح: ٤] .

السابعة : الألفة . كما قال سبحانه : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأنفال :٦٣] .

الثامنة : الطمأنينة . كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

التاسعة : المحبة . كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[الحجرات: ٧] .

العاشرة : الزينة والحفاظة من السوء، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الحجرات: ٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة:١٣٨] .

وغير ذلك من الكرامات المذكورة في القرآن والسنة .

أما كرامات المؤمن يوم القيامة فكثيرةٌ جدًا .

ومن هذه الكرامات دخول الجنة، ورؤية الله عز وجل، ورضوانه، وسماع كلامه، والقرب منه، والتنعم بأنواع النعيم في الجنة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى

جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

- **حياة القلب أصل كل خير وسعادة للإنسان في أمرين :**

كمال حياته .

وكمال نوره .

فالحياة والنور مادة الخير كله في الدنيا والآخرة : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

فبالحياة تكون قوته، وسمعه، وبصره، وحياؤه، وعفته، وشجاعته، وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة .

وكلما قويت حياة القلب قويت فيه هذه الصفات ، وإذا ضعُفت حياة القلب ضعفت فيه هذه الصفات، وحياؤه من القبائح والمعاصي والفواحش هو بحسب حياته في نفسه ، فالقلب الحي إذا عُرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه ، وأبغضها ، ولم يتلفت إليها، بخلاف القلب الميت فإنه لا يُفرق بين

الحسن والقبيح، وكذلك القلب المريض بالشهوات، فإنه لضعفه يميل إلى ما يضره من تلك الشهوات فيعطب :﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

وكذلك إذا قوي نور القلب انكشفت له صور المعلومات وحقائقها علي ما هي عليه ، فرأى الحق حقاً، والباطل باطلاً، فاستبان له حُسن الحسن بنوره وآثاره في حياته، وكذلك استبان له قُبح القبيح .

والقرآن نور تستضيء به القلوب، وتُشرق به، وروح تحيا به القلوب، فكل مؤمن حي أكرمه الله بالنور الذي يُبصر به الحق من الباطل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾[الشورى: ٥٢] .

والكافر ميت القلب، مغمورٌ في ظلمة الجهل ، والكافر لانصرافه عن طاعة الله، وجهله بمعرفة الله وتوحيده ، وشرائعه وسننه ، وترك العمل بما يؤدي به إلى نجاته ، وسعادته، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه ، ولا يدفع عنها مكروهًا ، فإذا هداه الله للإسلام، جعل قلبه حيًا بعد موته ، ومشرقًا ومستنيرًا بعد ظلمته، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ، ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه، وأبصر الحق بعد عماه عنه ، وعرفه بعد جهله به ، واتبعه بعد إعراضه عنه ، وحصل له نورٌ يستضيء به، ويمشي به في الناس .

وحياة القلب واستنارته تحصل بالاستجابة لله وللرسول ، وما يدعو إليه الله ورسوله من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وكلما اجتهد الإنسان في زيادة إيمانه، والعلم بالله وأسمائه وصفاته، والعمل بشرعه ازداد نور الإيمان في قلبه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

- **قوة القلب:**

في القلب قوتان :

قوة العلم والتمييز .. وقوة الإرادة والمحبة .

وكمال القلب وصلاحه باستعمال هاتين القوتين بما ينفعه ، فكمال استعمال قوة العلم في ادارك الحق ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل ، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق، ومحبته وإيثاره على الباطل :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

فمن لا يعرف الحق فهو ضال ، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه ، ومن عرف الحق واتبعه فهو مُنعمٌ عليه ، فالمسلمون أخص بالحق ؛ لأنهم عرفوه واتبعوه ، واليهود أخص بالغضب ؛ لأنهم أمة عناد عرفوا الحق فلم يتبعوه وقالوا على الله غير الحق ، والنصارى أخص بالضلال ؛ لأنهم أمة جهل، عرفوا الحق وضلوا عنه .

وقد أمر الله عزَّ وجلَّ بطلب الهداية إلى طريق الحق، وهو طريق المُنعم عليهم بمعرفة الحق والعمل به بقوله سبحانه : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾[الفاتحة :١-٧] .

وكل إنسان خاسر في هذه الحياة الدنيا إلا من كملت قوته العلمية بالإيمان بالله ، وقوته العملية بالعمل بطاعة الله، فهذا كماله في نفسه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف: ١٠٧] .

ثم كمل غيره بذلك الحق، وأمره إياه به ، والصبر على ذلك كما قال سبحانه :﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣].

وهاتان القوتان لا تتعطلان في القلب أبدا ، فإن استعمل قوته العلمية في معرفة الحق وإدراكه، وإلا استعملها في معرفة الباطل والخوض فيه، وكذلك قوته الإرادية إذا استعملها في العمل بالحق، وإلا استعملها في ضده من الباطل .

ولا سعادة للقلب ولا لذة، ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله هو إلهه وفاطره ومعبوده وحده لا شريك له:﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٤-٦٦]

وكل مخلوق وكل حي سوى الله سبحانه من ملك، أو إنس، أو جن أو حيوان، أو نبات فهو فقيرٌ إلى ربه في جلب ما ينفعه ، ودفع ما يضره، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة من يملك ذلك، وهو الله وحده: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

٢- الفصل الثاني

- **القلب محل الإيمان:**

الله عز وجل يريد من خلقه أن يعرفوا أطيب ما في الدنيا ، وأطيب ما في الآخرة، فيقبلون عليه علمًا وعملًا، لينالوا على ذلك أمنًا وهداية وسعادة في الدنيا والآخرة .

ويريد منهم كذلك أن يعرفوا شر ما في الدنيا وشر ما في الآخرة، فيحذروه ويجتنبوه ، والأصل هو القلب فإن كان صالحًا صلحت أعمال الجوارح ، وإن كان فاسدًا فسدت أعمال الجوارح:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾[الحديد:٢٠-٢١] .

والعين في الدنيا تبصر في ضوء الشمس صورة الشيء لا حقيقة الشيء امتحانًا وابتلاءًا ، ولكن لا يعرف الحقيقة إلا القلب ، ويعرف القلب ذلك إذا كان فيه نور الإيمان ، فكما تحتاج العين إلى الضوء الخارجي لمعرفة الأشياء ورؤيتها، كذلك القلب لا يعرف حقيقة الشيء إلا بنور الإيمان: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾[الأنعام:١٢٢].

ومن أظلم قلبه واسود، فإنه لا يعرف حقيقة الأشياء، بل يعرف صورة الأشياء وإذا استنار القلب بنور الإيمان والتوحيد أناب إلى الله فأحب الطاعات، وكره المعاصي، وقام بأداء الطاعات، واجتناب تلك المعاصي .

وبنور القلب تبين قيمة الأموال والأشياء ، وقيمة الإيمان والأعمال، ولا يبقى للعبد تعلقٌ بالدنيا، بل يكون تعلقه بالآخرة بالإيمان والأعمال الصالحة .

ونور الإيمان في القلب يُرسخ حقيقة الوعد والوعيد ، وإذا جاءت حقيقة الوعد والوعيد زدنا في الطاعات، ونفرنا من المعاصي ، وزهدنا في الدنيا، ورغبنا في الآخرة .

ونور القلب في الدنيا يكون مستورًا ، وفي الآخرة يكون ظاهرًا للمؤمنين ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[الحديد:١٢] .

وبامتثال أوامر الله، وفعل كل سنة، يزداد نور الإيمان في القلب ، وبمخالفة السُنن يزيد ظلام القلب ، وتقل الطاعات وتثقُل ، ومحبة الله نورٌ في القلب والوجه ، ومحبة غير الله ظلامٌ في القلب والوجه ، ومن أحب غير الله عُذب به :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وكل من أقر بأنه لا اله إلا الله، وأن محمد رسول الله، جاء النور في قلبه ، وإذا جاء نور الهداية في القلب سهُل تطبيق أوامر الله، والإكثار منها، والتلذذ بها ، ودعوة الناس إليها، والصبر على ذلك .

ونور الهداية في القلب أن يتيقن العبد أن الذي يعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، وينفع ويضر، ويحي ويميت فقط هو الله وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

وحاجات القلب كبيرة كالبحر ، وحاجات البدن صغيرة كالقطرة بالنسبة لحاجات القلب ؛ لأن القلب محل الإيمان، والإيمان ليس له حد ، وبالإيمان يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ، والإيمان يزيد في القلوب بكثرة الطاعات ، والنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، والجهد لنشر الدين، بذلك تحصل الهداية: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

ولكن الباطل لا يزول من العالم إلا بالتضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، وبذل كل شيء من الأموال، والأنفس ، والشهوات ، والجاه ، والأوقات ، وترك كل شيء من أجل الدين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات: ١٥] .

ولما تركت الأمة التضحية بذلك نقص الإيمان في القلوب، فقلت الطاعات ، وكثرت المعاصي، فجاء البلاء والفساد والعقاب : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١] .

وزينة القلب بالإيمان والتقوى ، وزينة الجوارح بالأعمال الصالحة ، وزينة الإنسان الداخلية والخارجية تكمن بالأخلاق الحسنة التي وصف الله بها نبينا محمداً ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وحقيقة العبد قلبه وروحه ولا صلاح له ولا سعادة إلا بإلهه الحق الذي لا إله إلا هو: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

فلا يطمئن قلبه إلا بذكره ، ولا يسكن إلا بمعرفته وحبه، ولو حصل له من اللذات والسرور بغيره ما حصل فلا يدوم له ذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد: ٢٨] .

والوحي للقلوب بمنزلة الأرواح للأجساد، فكما أن الجسد بلا روح لا يحيا ولا يعيش ، فكذلك القلب بدون الوحي لا يصلح ولا يُفلح:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣].

وقال الله عز وجل:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾[الأنعام:١٢٢].

- **حياة القلب :**

حياة القلب تكون بالإيمان والتقوى كما قال سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة، تبعته حياة الجوارح بالطاعة وأنواع الطاعات فطابت كما طاب، وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، كما قال سبحانه : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل:٩٧] .

وحياة القلب تكون بثلاثة أشياء :

قصر الأمل .. وتدبر القرآن .. وتجنب مفسدات القلب .

فأما قصر الأمل فهو العلم بقرب الرحيل من هذه الدنيا ، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾[فاطر: ٥] .

وقصر الأمل يبعث على تدارك الأيام، وانتهاز الفرص، التي تمر مر السحاب ، وأثارة عزمات القلب إلى دار البقاء والخلود ، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وأما تدبر القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[ص:٢٩] .

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته، من تدبر القرآن، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر، وتدله على مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صورة الدنيا والآخرة ، وصورة الجنة والنار: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال:٢-٤] .

وتدبر القرآن يحضره بين الأمم السابقة ، ويريه أيام الله فيهم، ويشهده عدل الله وفضله ، ومعرفة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يحبه الله وما يبغضه وتدبر القرآن يريه طريق أهل الجنة، وطرق أهل النار، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة ، ويطلعه على تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر ، والحلال والحرام ، والترهيب والترغيب والمواعظ وغيرها: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩] .

وأما مفسدات القلب فكثرة الخُلطة، والتمني، والتعلق بغير الله ، وكثرة الشِبع، وكثرة النوم فهذه الخمسة مفسدات للقلب .

فالقلب السليم يسير إلى الله والدار الآخرة ، وهذه الخمسة تُطفئ نوره، وتُضعف قواه، وهي قاطعةً له عن الوصول إلى ما خُلق له، فإنه لا نعيم للقلب ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته ، والطمأنينة بذكره، والابتهاج بقربه ، وعدم الالتفات إلى ما سواه، فهذه جنته العاجلة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

كما أنه لا نعيم في الآخرة ولا فوز ولا فلاح إلا بجوار ربه في دار النعيم في الجنة الآجلة ، فللعبد المؤمن جنتان لا يدخل الثانية منهما حتى يدخل الأولى ، فالأولى هي جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، وجنة الآخرة من أعظم ثمرات جنة المعرفة، وهي معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده ودينه وشرعه، وثوابه وعقابه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

- **علامات حياة القلب:**

لحياة القلب علامات منها :

الأولى: وجل القلب من الله، وشدة خوفه منه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢].

الثانية: القشعريرة في البدن ، وتلين القلوب والجلود عند سماع القرآن، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣] .

الثالثة: خشوع القلب عند ذكر الله .

كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد:١٦] .

الرابعة: الإذعان إلى الحق والإخبات له ،كما قال سبحانه : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج:٥٤] .

الخامسة: كثرة الإنابة إلى الله، كما قال سبحانه : ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣٣]

السادسة: السكينة والوقار، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: ٤] .

السابعة: خفقان القلب حبًا للمؤمنين، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ١٠] .

الثامنة: سلامة القلب من الأحقاد، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

وإذا مات قلب العبد تعطلت جوارحه عن الطاعة والعبادة ، ولم يؤدي حق الله من الطاعة والعبودية ، ولم يعمل بكتاب ربه، ولا بسنة رسوله ﷺ ، وعادي الرحمن، ووالى الشيطان ، وأكل رزق الله ولم يشكره ، ودفن الموتى ولم يعتبر ، وعلم أن الموت حق ولم يستعد له، وأقبل على الدنيا يعمرها ، ويجمعها، وينافس في جمع حطامها، ويتعذب بذلك ليله ونهاره كله كالكفار: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة:٥٥] .

فتوحات القلب :

محركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة :

المحبة .. الخوف .. الرجاء .

فالمحبة أقواها، ويحركها في القلب كثرة ذكر المحبوب، ومطالعة آلائه ، وإنعامه ، وإحسانه، فيسير القلب إلى محبوبه الذي يرى كل نعمة منه :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾[النحل:٥٣] .

والخوف المقصود منه المنع والزجر عن الخروج عن الطريق ، ويحركه في القلب مطالعة آيات الوعيد، والزجر، والعرض، والحساب، والنار، وأهوالها

والعقوبات التي حلت بالمجرمين :﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾[المائدة:٩٨] .

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ ﴾[هود: ١٠٢] .

أما الرجاء فيقود الإنسان إلى الطريق ، ويحركه في القلب مطالعة الكرم، والإحسان، والإنعام، والحُلم، والعفو، والعطاء، والمن، والرحمة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٤-٦٥] .

وقلوب العباد كلهم بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء، فمن أقبل على الله أقبل الله بقلوب عباده إليه فأحبوه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله بقلوب عباده عنه فكرهوه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾[مريم:٩٦] .

وقلب المؤمن إذا خلا من الاهتمام بالدنيا تعلق بالآخرة وتأهب للقدوم على الله ﷻ، فذلك أول فتوحه وتباشير وجهه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

فعند ذلك يتحرك قلب العبد لمعرفة ما يرضى به ربه منه فيفعله، ويتقرب به إليه ، وينبعث لمعرفة ما يسخطه الله منه فيجتنبه ، فإذا تمكن العبد في ذلك فتح الله له باب الأنس بالخلوة والوحدة ومحبة الأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات فلا شيء أشوق إليه من مناجاة ربه، فإنها تجمع

عليه قوى قلبه وإرادته وإقباله على ربه ، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه ، وتمزق شمله .

ثم يُفتح له باب حلاوة العبادة بحيث لا يكاد يشبع منها ، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب ونيل الشهوات: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣ – ٦٤] .

ثم يفتح له باب حلاوة الاستماع لكلام الله فلا يشبع منه ، وإذا سمع كتاب ربه هدأ قلبه كما يهدأ الصبي إذا أُعطي ما هو شديد المحبة له .

ثم يفتح الله له باب شهود عظمته وجلاله ، وعظمة المتكلم بالقرآن وجلاله وكمال نعوته وصفاته ، ومعاني خطابه حيث يستغرق قلبه في ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧– ١٨] .

ثم يُفتح له باب الحياة من الله عز وجل، وهو أول شواهد المعرفة ، وهو نور يقع في القلب يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه العزيز جَلَّ جَلَالُهُ فيستحي منه في خلواته وجلواته ، ويرزقه الله عند ذلك دوام المراقبة للرقيب، ودوام التطلع إلى ربه، حتى كأنه يراه ويشاهده فوق سماواته مستويًا على عرشه، ناظرًا إلى خلقه، سامعًا إلى أصواتهم، مطلعًا على حركاتهم ، فإذا استولى هذا على العبد أزال عنه الكثير من الهموم بالدنيا، فهو في وجود بين يدي ربه ووليه، والناس في وجودٍ آخر: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

ثم يُفتح له باب الشعور بمشهد القيومية لربه على جميع الكائنات، فيرى سائر التقلبات الكونية، وتصاريف الوجود، بيده سبحانه، فيشهده ذلك ربه العظيم مالك النفع والضر ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة، فيتخذه وكيلا ، ويرضى به ربا ومدبرا، فعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فإذا استمر له ذلك فُتح الله عليه باب القبض والبسط ، فيقبض عليه حتى يجد ألم القبض بقوة وارده ، وتفيض أنوار المحبة والمعرفة والإخلاص من قلبه كما يفيض نور الشمس من جُرمها ، وكلما سار إلى ربه من الطريق الموصل إليه، زادت الهداية في قلبه ، وزاد نور الإيمان، وانشرح صدره ، ووجد اللذة في طاعة مولاه .

فإن استمر على حاله واقفًا في باب مولاه، لا يلتفت عنه يمينًا أو شمالًا ، ولا يريد غيره مما يدعوه إليه، فيعلم أنه لم يصل بعد، رجاء أن يُفتح له فتحًا آخر فوق ما كان فيه، فيستغرق قلبه في أنوار مشاهدة جلال الله بعد ظهور أنوار الحق ، ويبقى قلبه سابحًا في بحر من أنوار آثار الجلال والجمال لربه فتنبع الأنوار من باطنه كما ينبع الماء من العين ويجد قلبه عاريًا صاعدًا إلى من ليس فوقه شيء .

ثم يرقيه الله تبارك وتعالى فيشهد قلبه أنوار الإكرام بعدما شهد أنوار الجلال والعظمة لمولاه ، فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال والإكرام، والإنعام والإحسان، فيذوق المحبة الخاصة المُلهبة للأرواح والقلوب، الباعثة لحسن العبادة، ولذة المناجاة :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: ٢٨] .

فيبقى القلب مأسورًا في يدي العزيز الكريم ، ووليه الغفور الرحيم، مستغرقًا بحبه ، مستسلمًا لطاعته ، متلذذًا بعبادته ، وهذا غاية مراد الرب من عبده : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١] .

والناس مفتونون ممتحنون بما يفنى من الأموال والأشياء، والصور والرئاسة مُعذبون بذلك، وهو مستغرق في عبادة ربه، والاستغفار له، وحمده وتمجيده، وتسبيحه وتكبيره .

فهذا العبد لا يزال ربه يرقيه طبقا بعد طبق ، ومنزلًا بعد منزل، إلى أن يُوصله الله إليه ، ويُمكن له بين يديه، أو يموت في الطريق فيقع أجره على الله فله ما نوى، فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، ولها إقبال وإدبار ، فإذا أقبلت نشطت إلى الفرائض والسنن، وتلذذت بذلك ، ونافست في الخير، وسارعت إليه قولًا وفعلًا ، وإذا أدبرت وضعُفت يُلزمها على الأقل الفرائض والواجبات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[المؤمنون: ٥٧ – ٦٢] .

- **أقسام القلوب :**

تنقسم قلوب العباد إلى ثلاثة أقسام :

قلب صحيح .. وقلب منيب .. وقلب سقيم .

فالقلب الأول : القلب الصحيح: القلب الصحيح والسليم هو الذي قد صارت السلامة صفةً ثابتةً له ، قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله، ونهيه،

ومن كل شبهةٍ تعارض خبره، فسلم من عبودية من سواه ، وسلم من تحكيم غير رسول الله ﷺ، وسلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما ، فخلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبة، وتوكلًا وإنابة ، وخشيةً وإخباتًا ، وخوفًا ورجاءًا: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥] .

وخلُص عمله لله، فإن أحب أحب في الله ، وإن أبغض أبغض في الله ، وإن أعطى أعطى لله ، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾[النساء:٦٥] .

فهذا أزكى القلوب، وهو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به : ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩] .

والقلب الثاني : هو القلب الميت : الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، وهو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهواته وحظه ، رضي ربه أم سخط عليه، فهو متعبدٌ لغير الله حبًا وخوفًا ، ورجاءًا، ورضًا وسخطًا، وتعظيمًا ، وذلًا، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وهواه أحب إليه وآثر عنده من رضا مولاه، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه، والسيئات تجارته ، والمعاصي بضاعته والمحرمات سلعته:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة:١٦] .

فهذا القلب لا يستجيب لداعٍ ولا ناصح ، ويتبع كل شيطان مريد من الإنس والجن، فهذا أخبث القلوب وأنجسها وأركسها: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[غافر:٣٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[البقرة:٧٤] .

والقلب الثالث : مريض سقيم .

قلب له حياة وبه علة، فهو السقيم المريض، فله مادتان تمده هذه مرة بالخير، وهذه أخرى بالشر، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى، والإيمان به ، والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته ونجاته، وفيه من محبة الشهوات، وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر، وحب العلو والفساد في الأرض ونحو ذلك مما هو مادة هلاكه وعطبه، فهو ممتحن بين داعيين داع يدعوه إلى الله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يُجيب أقربهما منه بابًا، وأعلاهما صوتا، وأكثرها حُضورا .

فالقلب الأول: حيٌ مخُبت واعٍ لين:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال: ٢].

والثاني : يابسٌ ميت : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الحديد:١٦] .

والثالث : مريض سقيم .

فإن كان لهذا القلب المريض مُذكر فهو إلى السلامة أدنى ، وإن لم يكن له مُذكر فهو إلى العطب أدنى، وهو صيد من يسبق إليه وقد جمع الله بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج:٥٣-٥٤] .

فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو الإدراك للحق، ثم الانقياد له والقبول : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ [البقرة:٢٨٥] .

والقلب الميت القاسي لا يقبل الحق، ولا ينقاد إليه كالحجر القاسي لا يقبل الماء ولا يتأثر به .

والقلب المريض إذا غلبت عليه صحته التحق بالقلب السليم، وإن غلب عليه مرضه التحق بالقلب الميت القاسي، وكل ما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ، وفي القلوب من الشُبه والشكوك، فتنةٌ لهذين القلبين القاسي والمريض، وقوة للقلب الحي السليم ؛ لأنه يرد ذلك ويكرهه ويُبغضه، ويعلم أن الحق في خلافه: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الرعد: ١٩-٢٠] .

٣- الفصل الثالث

- **القلب السليم:**

يُستدل على معرفة القلوب بحركة اللسان، وحركة الجوارح ، فإن القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها فلسان المرء يغرف لك من قلبه، وجوارح الإنسان من أيد وأرجل، وأسماع وأبصار، تغرف لك من قلبك حلو وحامض، وعذب وأجاج، وحرٌ وبارد وطيبٌ وخبيث، وحسنٌ وقبيح، وحقٌ وباطل، وخيرٌ وشر .

والقلب السليم : هو الذي سلم من الشرك والغل، ومن الحقد والحسد، ومن الشح والبخل ومن الكبر والعلو، ومن حب الدنيا، وحب الرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهه تعارض خبره، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله والدار ألآخره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون: ٥٧ – ٦١] .

ولا تتم للقلب سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسه أشياء :

من شرك يناقض التوحيد .. ويسلم من بدعه تخالف السنة .. ويسلم من شهوة تخالف الأمر .. ويسلم من غفلة تناقض الذكر .. ويسلم من هوى يناقض الإخلاص: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

والقلوب بالنسبة للاستجابة للحق تنقسم إلى قسمين .

أحدها : قلوب مستجيبة للحق . فهذه بأرفع المنازل في الدنيا و الآخرة .

الثانية : قلوب معرضه عن الحق . والإعراض مراتب .

فالإعراض مرتبه، والتكذيب مرتبه فوقها، ثم الاستهزاء مرتبه فوقها، والمرتبة الأسوأ من ذلك هي الصد عنه كما قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النحل:٨٨] .

أقسام القلوب:

القلوب على ثلاثة أقسام :

قلوب مخبته .. وقلوب مريضه .. وقلوب قاسيه .

فالقلوب المخبثة : هي التي تنتفع بالقرآن وتزكو به .

والإخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله، ومن أثار الإخبات وجل القلب لذكر الله سبحانه، والصبر على أقداره، والإخلاص في عبوديته، والإحسان إلى خلقه كما قال سبحانه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٤-٣٥] .

فالقلب المخبت ضد القاسي والمريض .

وهو سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبته إليه، وبعضها قاسيًا، وجعل للقسوة آثارًا، وللأخبات آثارًا .

أما القلوب القاسية الحجرية : فهي التي لا تقبل ما يبث فيها وينطبع فيها من الحق، ولا ترتسم فيها العلوم النافعة ، ولا تلين لإعطاء الأعمال الصالحة ، فالقسوة يبسٌ في القلب يمنعه من الانفعال، وغلطته تمنعه من التأثر بالنوازل فلا يتأثر لغلظة وقساوته، لا لصبره و احتماله .

ومن آثار قسوة القلب تحريف الكلم عن مواضعه، وعدم قبول الحق، والصد عنه، ونسيان ما ذكر به ، وهو ترك ما أمره الله عز وجل به علما وعملًا كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٧٤] .

أما القلوب المريضة : فهي التي يكون الحق ثابتًا فيها، لكن مع ضعف و انحلال كما قال سبحانه : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾[الحج: ٥٣] .

فذكر سبحانه القلب المريض وهو الضعيف المنحل الذي لا تثبت فيه صوره الحق، ثم القلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطبع فيه .

فهذان القلبان شقيان معذبان : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

ثم ذكر القلب المخبت المطمئن إليه : وهو الذي ينتفع بالقرآن ويزكو به وهذا الاختبار و الامتحان مظهر لمختلف ما في القلوب الثلاثة .

فالقاسية والمريضة ظهر خبأها من الشك والكفر ، و المخبتة ظهر خبأها من الإيمان والهدى، و زيادة محبه الرب، وبغض الكفر والشرك .

والقلب عضو من أعضاء الإنسان وهو أشرف أعضائه .

وكل عضو كاليد مثلًا إما أن يكون جامدًا يابسا، أو يكون مريضًا ضعيفًا، أو يكون حيًا قويًا .

فالقلوب كذلك ثلاثة :

قلب قاس بمنزله اليد اليابسة .. وقلب مائعٌ رقيق جدًا . . وقلب رقيق صافٍ صلب .

فالأول : لا ينفعل بمنزلة الحجر .

والثاني : بمنزلة الماء (وكلاهما ناقص) .

والقلب الرقيق الصافي الصلب، وهو الذي يرى الحق من الباطل بصفائه، ويقبله و يؤثره برقته، ويحفظه ويحارب به عدوة بصلابة هذا أحب القلوب إلى الله وهو القلب المستقيم المخبت المطمئن: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٤-٣٥] .

وأبغض القلوب إلى الله القلب القاسي ، والقلب القاسي والمريض كلاهما منحرف عن الاعتدال، هذا بمرضه، وهذا بقسوته : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر:٢٢] .

غذاء القلوب :

الله ﷻ جعل للقلوب نوعين من الغذاء :

الأول : الطعام والشراب الحسي، وللقلب منه خلاصته وصفوه ، ولكل عضو منه بحسب استعداده وقبوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[البقرة:١٧٢] .

الثاني : غذاء روحاني معنوي، خارج عن الطعام والشراب، من السرور والفرح، والابتهاج واللذة، والعلوم والمعارف ، وبهذا الغذاء كان هذا القلب سماويًا علويًا ، وبالغذاء الحسي كان أرضيًا سفليًا ، وقوامه بهذين الغذائين .

وللقلب ارتباط بكل واحدة من الحواس الخمس ، وله غذاء يصل إليه منها كحاسة السمع والبصر، وحاسة اللمس والشم والذوق ، وارتباطه بحاسة السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما، ووصول الغذاء منهما إليه أكمل وأقوي من سائر الحواس ، وانفعال القلب عنهما أشد من انفعاله عن غيرهما ، واقترانه في القران بهما أكثر من اقترانه بغيرهما ، بل لا يكاد يقرن إلا بهما أو بأحدهما كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

وتأثر القلب بما يراه ويسمعه أعظم من تأثره بما يلمسه ويذوقه ويشمه ، ولأن هذه الثلاثة هي أهم طرق العلم وهي السمع والبصر والعقل كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[الإسراء: ٣٦] .

وتعلق القلب بالسمع والبصر وارتباطه بهما وتأثره بهما، لا يخفى ، لكن ما يدركه بحاسة السمع من العلم والهدى أعم وأشمل ، وما يدركه بحاسة البصر أتم وأكمل ، فللسمع العموم، والشمول، والإحاطة بالموجود والمعدوم، والحاضر والغائب، والحسي والمعنوي ، وللبصر التمام والكمال .

وهذه الحواس الخمس لها أشباح وأرواح ، وأرواحها حظ القلب ونصيبه منها، فمن الناس من ليس لقلبه منها نصيب إلا كنصيب الحيوانات البهيمية منها، فهو بمنزلتها كما قال سبحانه : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: ٤٤] .

ولهذا نفى الله عز وجل عن الكفار السمع والبصر والعقل لعدم انتفاعهم بها، كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

فهم يسمعون ويبصرون بالحواس الظاهرة وبهما قامت عليهم الحجة، ولا يسمعون ولا يبصرون بالحواس الباطنة التي هي سماع القلب ، التي هي روح حاسة السمع ، التي هي حظ القلب، ولو سمعوه من هذه الجهة لحصلت لهم الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: ٤٤] .

وتعلق السمع الظاهر الحسي بالقلب أشد من تعلق البصر به ، وأثاره على قلب الإنسان أسرع وأشد ، فربما غشي على الإنسان إذا سمع كلاما يسره أو يسوؤه أو صوتًا لذيذًا طيبًا مناسبًا ، ولا يحصل له ذلك من رؤية الأشياء بالبصر الظاهر إلا نادرًا .

فإذا كان المسموع معنى شريفا بصوت لذيذ كسماع القرآن، حصل للقلب حظه ونصيبه من إدراك المعنى ، وابتهج به أتم ابتهاج على حسب إدراكه له ، كما يحصل للقلب عند سماع آيات القرآن المرتلة ، ويكاد القلب

لكمال لذته، وتوفر غذائه، أن يفارق هذا العالم ويلج عالمًا أخر، ويجد له لذة وحالة لا يعهدها في شيء غيره البتة .

وذلك لمحة من حال أهل الجنة في الجنة، فيا له من غذاء ما أصلحه وما أنفعه، وما أيسره وما أحسنه ، والقلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة فإذا امتلاء بمحبة الله سمع كلام محبوبه وتأثر به وانتفع به : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

- **أقسام القلوب بالنسبة للنفس:**

قلوب البشر على ثلاثة أقسام :

أحدها : من اتصف قلبه السليم بصفات نفسه، بحيث صار قلبه نفسًا محضة تحب الشهوات، وتكره الأوامر، فغلبت عليه آفات الشهوات والأهواء .

فهذا حظه من السماع الديني كحظ البهائم، لا يسمع إلا دعاءًا ونداءًا: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[البقرة:١٧١] .

الثاني : من اتصفت نفسه بصفات قلبه السليم ، فصارت نفسه قلبًا محضًا ، فغلبت عليه المعرفة، والمحبة لله، والتعقل، وامتثال أوامر الله، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه .

فهذا حظه من السماع مثل أو قريب من حظ الملائكة، وسماعه غذاء قلبه، وروحه وقرة عينه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

الثالث : من له منزلة بين منزلتين ، وقلبه باقٍ على فطرته الأولى ، لكن ما تصرف في نفسه تصرف أحالها إليه ، ولا قويت النفس على القلب فأحالته إليها ، فبين النفس والقلب منازلاتٌ ووقائع، والحرب سجال ، تدال النفس عليه تارة ويدال عليها تارة والحرب سجال متتابعة .

فهذا حظه من السماع حظ بين حظين، فان صادفه وقت دولة القلب كان حظه منه قويًا ، وإن صادفه وقت دولة النفس كان ضعيفًا ، ومن هنا يقع التفاوت في الفقه عن الله، والفهم عنه، والابتهاج به، وحصول النعيم واللذة بسماع كلامه: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾[الرعد: ١٩-٢٠] .

- **كيف نحصل على غذاء القلوب؟**

غذاء القلوب يمكن الحصول عليه من خمسة أبواب :

الأول : الكلام في عظمة الله، وعظمة كلامه، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، و النظر في الآيات الكونية، و الآيات القرآنية: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤] .

الثاني : الكلام في آلاء الله ونعمه، ورؤية إحسانه و جماله و إكرامه ، و التحدث بذلك، كما قال سبحانه :﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾[الضحى:١١] .

الثالث : معرفة وعد الله لعباده المتقين بالجنة، و ذكر أوصاف الجنة وقصورها، و رؤية ما فيها من النعيم و اللذات، و التنعم برؤية الرب جل جلاله، و سماع كلامه، و التحدث بذلك بين الناس :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣] .

الرابع : معرفة وعيد الله لمن عصاه ، و تذكر النار وما فيها من السعير والسموم، والقمع والإحراق ، وعند ذلك ترق القلوب، وتمتلئ بالخوف والخجل من معصية الرب ، وتقبل على ربها بلباس الإيمان و التقوى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

الخامس : التعبد لله عز وجل بهذه المعارف العظيمة بامتثال أوامره، و اجتناب نواهيه، وتصديق أخباره ، فالإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي ، و إذا تغذى القلب امتلأ بحب الله و تكبيره ، وحمد الله وشكره ، و أقبل على عبادة ربه بالتعظيم له، و الحب له، والانكسار بين يديه، و كمال الحب له جل جلاله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾[الحج: ٧٧] .

وحاجات الإنسان قبل الموت كالقطرة ، وحاجات الإنسان بعد الموت كالبحر العظيم ، وحاجات البدن في الدنيا كالقطرة ، وحاجات القلب في الدنيا كالبحر ، وليس للقلوب سرورٌ ولا لذة إلا بالإيمان بالله، ومحبته، والتقرب إليه بما يحبه ، و ليس بالدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان بالله، والمعرفة به، و الإكثار من ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد: ٢٨] .

ومن كان محبا لغير الله في الدنيا، فهو معذب في الدنيا و الآخرة ، فإن نال مراده عذب به، وإن لم ينل مراده فهو في العذاب و الحسرة والحزن : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

و كل من استقام على الدين، واجتهد على نشر الدين ، ظهرت شعب الإيمان في حياته من التوكل والخشية، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة، و الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأقوال و الأعمال الظاهرة والباطنة ، وفاز بالسعادة في الدنيا، ودخل الجنة في الآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ

ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

- **فقه أعمال القلوب :**

الأوامر تنزل في كل لحظة من ذات الله تبارك وتعالى ، والأعمال تصدر من ذات الإنسان في كل لحظة ، فإذا تطابقت الأوامر الملكية ، والأعمال البشرية ، فهذا الإنسان ينال كمال السعادة في الدنيا والآخرة ، وإذا خالفت أعمال الإنسان أوامر الرب، شقي هذا الإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

والأعمال التي تصدر من الإنسان نوعان :

أعمال القلوب .. وأعمال الجوارح .

فأعمال القلوب هي الأصل ، وأعمال الجوارح فرعٌ عليها ، فلا يقبل العمل إلا إذا كان عمل القلب وهو الإيمان قائمًا .

وأعمال القلوب من أصول الإيمان ، وقواعد الدين، كالإيمان والتوحيد ، ومحبة الله ورسوله ، والتوكل على الله ، وإخلاص الدين له ، واليقين على ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والخوف منه والرجاء له ، والخشية منه ، والخشوع له ، والتذلل ، والتضرع بين يديه ، والصبر على حكمه ،

والاستعانة به ، ونحو ذلك :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فهذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق ، والناس فيها على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات :

ظالم لنفسه ..ومقتصد .. وسابق بالخيرات، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[فاطر: ٣٢] .

فالظالم لنفسه : هو العاصي بترك مأمور ، أو فعل محذور ، أو بهما معًا .

والمقتصد : المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات .

والسابق بالخيرات : المتقرب إلى ربه بما يقدر عليه من فعل واجب ، ومستحب ، وترك محرم ، ومكروه ، الذاكر لربه في كل حين ، فهو بين يديه قائمًا يدعوه، ويكبره، ويحمده، خلقه ، وبين الخلق قائمًا يدعوهم إليه .

وأعمال القلوب ، وأعمال الجوارح، كلاهما مطلوب ، لكن الأول أساس للثاني ، والثاني مظهره وعلامته، لكنه لا يقبل من دونه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وإنما خص الله أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح، لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب ، فلولا إرادة القلب لن تحصل أعمال الجوارح ، ولهذا قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[العاديات: ٩ – ١١] .

وجعل الله القلوب الأصل في المدح كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢].

وجعلها الأصل في الذم، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٣] .

وأعظم المخلوقات، وأكبرها، وأطهرها ، وأنورها ، وأعلاها ذاتًا وقدرًا ، وأكرمها ، وأوسعها، عرش الرحمن جل جلاله ، ولذلك صلح لاستواء الله عليه ، وكلما كان أقرب إلى العرش كان أنور ، وأنزه ، وأشرف ، وأعلى مما بعد عنه، ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان ، وأشرفها ، وأنورها ، وأجلها لقربها من عرش الرحمن إذ هو سقفها .

وكل ما بعد عنه كان أظلم ، وأضيق ، ولهذا كان أسفل السافلين شر الأمكنة ، وأضيقها ، وأبعدها من كل خير وهي النار .

وقد خلق الله عز وجل القلوب ، وجعلها محلًا لمعرفته ، ومحبته ، وإرادته ، فهي عرش المثل الأعلى الذي هو معرفة الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ومحبته ، وإرادته كما قال سبحانه : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[النحل:٦٠] .

والقلب إن لم يكن أطهر الأشياء، وأنزهها، وأطيبها بالتوحيد، والإيمان لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفة، ومحبة، وإرادة ، وإلا استوى عليه مثل الدنيا الأسفل، ومحبتها، وإرادتها، **حتى تعود القلوب على قلبين :**

الأول: قلب هو عرش الرحمن، فيه النور ، والحياة ، والتوحيد ، والإيمان، والفرح ، والسرور ، والبهجة ، والتقوى ، والدعوة إلى الخير: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

الثاني: قلب هو عرش الشيطان ، وهناك الضيق ، والظلمة ، والموت ، والحزن ، والهم ، والغم ، والكرب .

والنور الذي يدخل القلب إنما هو من آثار المثل الأعلى ، فلذلك ينفسح ، وينشرح، وإذا لم تكن فيه معرفة الله ، ومحبته ، فحظه الظلمة ، والضيق: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

والتوحيد ، والإيمان ، والإخلاص شجرة في القلب، فروعها الأعمال الصالحة ، وثمرها طيب حياته في الدنيا ، والنعيم المقيم في الآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

والشرك ، والكفر ، والكذب ، والرياء، شجرة في القلب، فروعها الأعمال السيئة ، وثمرها في الدنيا الخوف ، والهم ، والغم ، والضيق ، وفي الآخرة عذاب الجحيم: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الرعد: ٣٤] .

فشجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علمًا ، واعتقادًا ، وأخلاقًا ، وفروعها من الكلم الطيب ، والعمل الصالح ، والأخلاق المرضية ، والآداب الحسنة في السماء، دائمًا يصعد إلى الله منه من الأعمال ، والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن ، وغيره، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا

فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم:٢٤-٢٥] .

وأما شجرة الكفر، فهي شجرة خبيثة المأكل ، والمطعم كشجرة الحنظل ونحوها ، لا عروق تمسكها ، ولا ثمرة صالحة تنتجها كذلك كلمة الكفر والمعاصي ليس لها ثبوت نافع في القلب ، ولا تثمر إلا كل قول خبيث ، وعمل خبيث ، وخلق خبيث، يضر صاحبه ، ولا ينفعه ولا يصعد إلى الله منه عمل صالح، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[إبراهيم:٢٦] .

والقلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها ، والقلوب المتعلقة بالله تعبد الله كأنها تراه ، والقلوب آنية الله في أرضه ، وأحبها إليه ألينها ، وأرفعها ، وأصفاها .

وكلما زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة ، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد العالية ، ولا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا .

وإذا أحب الله عبدًا اصطنعه لنفسه ، واستخلصه لعبادته ، فشغل همه به ، ولسانه بذكره ، وجوارحه بعبادته، وصرف قلبه عما سواه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء: ٦٩-٧٠] .

٤ - الفصل الرابع

المؤمن يسعى إلى تكميل محبوبات الرب من الإيمان والتقوى ، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة .

والوصول إلى المطلوب المحبوب موقوفٌ على ثلاثة أمور :

الأول : هجر العوائد .

الثاني : قطع العلائق .

الثالث : إزالة العوائق .

فالعوائد : ما ألفه الناس واعتادوه من الرسوم والعادات والتقاليد التي جعلوها بمنزلة الشرع المتبع ، بل هي عند بعضهم أشد من الشرع .

وهذه الرسوم قد استولت على طوائف كثيرة من بني آدم من: الملوكِ، والولاةِ، والفقهاء، والعامة، والخاصة .

قال الله عز وجل:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان: ٢١ – ٢٢] .

فهؤلاء يتمسكون بهذه العادات والتقاليد التي ألفوها عن آبائهم ، وينكرون على من خالفها ، وربما كفروه أو بدَّعوه أو ضللوه أو قتلوه ، وأتخذها الناس سننًا، وهُجر لأجلها الكتاب والسنة .

وأما العلائق :

فهي كل ما يتعلق به القلب من دون الله من ملاذ الدنيا وشهواتها ورياستها، وصحبة الناس والتعلق بهم ، ولا سبيل إلى قطعها إلا بقوة التعلق بالمطلوب الأعلى ، فإن النفس لا تترك مألوفاتها ، ومحبوباتها إلا لمحبوبِ

هو أحب إليها منه:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾[الحديد:٢٠-٢١].

وأما العوائق : فهي أنواع المخالفات التي تعوق القلب عن سيره إلى الله .

وهي ثلاثة :

الشرك ..والبدعة .. والمعصية .

وقال الله عز وجل:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل:﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾[الإسراء: ٢٢] .

وداء الأولين والآخرين أمران :

أحدهما: إتباع الشهوات المانعة من قبول الأمر وأدائه .

الثاني: الخوض في الشبهات المانعة من الانقياد للأمر .

وهذا شأن النفوس الباطلة التي لم تخلق لنعيم الآخرة ، ولا تزال ساعيةً في نيل شهواتها ، والاشتغال بها عن أوامر الله ﷻ ، فإذا نالتها فإذا هي خوض بالباطل الذي لا يجدي عليها إلا الضرر العاجل والآجل ، فاحذر هؤلاء ومجُالستهم : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

ومن رزقه الله قلبًا سليمًا رأى الحق حقاً واتبعه ، ورأى الباطل باطلًا واجتبنه ، فإذا رأى الناس متوكلين على تجارتهم، توكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

وإذا رآهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق، اشتغل بما لربه عليه، لعلمهِ أن رزقهُ سيأتيه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ ﴾[هود: ٦] .

وإذا رآهم يتحاسدون في دنياهم، ترك ذلك لهم، لعلمه أن نصيبه من الرزق سيصل إليه، ولن يأخذه غيره : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٣٢ ﴾[الزخرف:٣٢] .

وإذا رأى الناس يطلبون العزة والمكانة عند المخلوق بالمالِ والجاه والمناصب، طلب المكانة عند ربه بالتقوى كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[الحجرات: ١٣] .

وإذا رأى الناس يركضون وراء شهواتهم أجهد نفسهُ في دفع الهوى ، حتى يستقر على طاعة الله : ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١ ﴾[النازعات:٤٠ - ٤١] .

وإذا رأى الخلق كُل له محبوب فإذا وصل إلى القبر فارقهُ محبوبة ، جعل محبوباته حسناته التي لا تفارقه : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ۝٤٦ ﴾[الكهف: ٤٦] .

- **صفات القلب السليم :**

القلب السليم الذي ينجو من عذاب الله يوم القيامة ، هو القلب الذي قد سَلم من مرض الشهوات ، وسلم من مرَض الشُبهات، الذي قد سلم لربه ، وسلم لأمره، ولم تبقى فيه منازعةُ لأمره ، ولا معارضةُ لخبره .

فهو سليم مما سوى الله وأمره ، لا يريد إلا الله، ولا يفعل إلا ما أمره الله ﷻ به ، فالله وحده غايتهُ، وأمرهُ وشرعهُ وسيلتهُ، لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره ، ولا شهوةٌ تحول بينه وبين متابعة رضاه: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨ ﴾[الزمر:١٧- ١٨] .

ومتى كان قلب العبد كذلك فهو سليم من الشرك ، وسليم من البدع ، وسليم من المعاصي ، وسليم من العيب، وسليم من الباطل .

فالقلب السليم هو الذي سَّلم لعبودية ربهِ حبًا وخوفًا، ورجاءً، وطمعًا ، وسلم لأمره ، وسلم لرسوله تصديقًا وطاعة ، واستسلم لقضاء الله وقدره ، فلم يتهمه ولم ينازعه ، ولم يتسخط لأقدارهِ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١١ ﴾[التغابن:١١] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥ ﴾[النساء:٦٥] .

فهذا القلب أسلم لربهِ ومولاه انقيادًا وخضوعًا، وذلًا، وعبودية ، وسلَّم جميع أحواله وأقواله وأعماله الظاهرة والباطنة لما جاء عن رسول الله ﷺ : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

وسالم أولياء الله، وحزبه المفلحين، الذابين عن دينهِ ، وسنة نبيه ﷺ، والقائمين بها والداعين إليها : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة: ٧١]

وعادي أعداءه المخالفين لكتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ، الخارجين عنهما، الداعين إلى خلافهما : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

والمؤمن حي، والكافر ميت ، والميت لا يؤمر بصلاةٍ ولا صيام، حتى تنفخ فيه روح الإيمان ، وإن كان سيحاسب على تركه الإيمان والأعمال الصالحة يوم القيامة ، فإذا حيا قلبه بالإيمان صار قابلًا ومستعدًا لقبول الأوامر والنواهي ، فالمؤمن حي والحي : إما صحيح .. وإما مريض .

فصاحب القلب السليم هو الصحيح ، وصاحب القلب المريض هو السقيم .

والمرض قسمان :

مرض شبهة .

ومرض شهوة .

فالأول: مرض شبهة، كما قال سبحانه عن المنافقين : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة:١٠] .

والثاني : مرض شهوة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

وشفاء هذين المرضين في القرآن، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت:٤٤] .

ويحصل تأثر القلب بالقرآن ، أو بالمواعظ أو غيرها بأربعة أمور :

الأول : المؤثر كالقرآن مثلًا يسمعه أو يقرأه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

الثاني : المحل القابل . وهو القلب الحي الذي يعقل عن الله : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون:١-٢] .

الثالث : وجود الشرط وهو الإصغاء: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

الرابع : انتفاء المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الماعون:٤-٥] .

فإذا تمت هذه الشرط الأربعة حصل الأثر، وهو الانتفاع، والتذكر، والاستقامة على أوامر الله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ ﴾[ق:٣٧] .
هذا هو المؤثر وهو القرآن .
وقال الله عز وجل: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾[ق:٣٧] .
هذا هو المحل، وهو القلب الحي السليم .
وقال الله عز وجل: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ ﴾[ق:٣٧] .
وهذا هو الشرط، وهو الإصغاء .
وقال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧] .
وهذا انتفاء المانع الذي يعوق العبد عن الفهم .

- **أبواب القلوب:**

قلب الإنسان له أربعة أبواب، وكلها تصبُ في القلب وهي :
اللسان .. والأذن .. والعين .. والدماغ .
فما يتكلم به اللسان يتأثر به القلب ، فإذا تكلم بالإيمان وتلاوة القرآن تأثر بذلك قلبه، وزاد إيمانه .
والأذن باب إلى القلب، فإذا سمع كلمات الإيمان والقرآن، والكلام عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله تأثر بها قلبه، وزاد إيمانه .
والعين بابُ إلى القلب ، فالنظر إلى المخلوقات، وعظيم صنع الباري، يؤثر في القلب، ويزيد الإيمان .
وتعلم الإيمان بالنظر للكاملين في الإيمان وهم الأنبياء ، وكلما نظروا إلى المخلوق زاد إيمانهم بالخالقِ سبحانه .
أما ناقص الإيمان فينظر للمخلوق ويغرق فيه ، فينقص إيمانه ؛ لأنه اشتغل به، ولم يتعداه إلى خالقه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس:١٠١] .

وكذلك كلما تفكر الدماغ في عظمة الله ، وعظيم إحسانه، تأثر بذلك القلب ، وزاد إيمانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة: ١٦٤] .

والقلب السليم هو ما سلم من ستة أمور :

١- فهو سليم من الشرك

٢- سليمُ من الجهل .

٣- سليمُ من الكبر .

٤- سليمُ من الغفلة .

٥- سليمُ من حب الدنيا .

٦-سليمُ من سيء الأخلاق .

فهو قلبٌ طاهرُ زكي مملوء بالإيمان، والتوحيدِ ، والعلم، والتواضع لربه، ولزوم ذكره ، يحب الله والدار الآخرة، متجملٌ بمكارم الأخلاق: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

فهذا القلب السليم إذا نظر الله إليه رضي الله عنه، وأحبه، واجتباه ، وأعانه على كل خير، ومنعه عن كل سوء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء:٨٧-٨٩] .

ومن اجتهد لتحصيل ذلك، والاستقامة على ذلك ، سلم قلبه من تلك الآفات : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

- **المحافظة على القلب السليم :**

إذا تأكد المسلم من صحة قلبه وسلامته ، فهو مُطالب بالمحافظة عليه بما يحفظ عليه القوةَ بالإيمان ، وأوراد الطاعات، وأنواع العبادات التي يحبها الله ﷻ، وإلى حميته من المؤذي الضار، وذلك باجتناب الآثام والمعاصي والمحرمات ، وإلى استفراغ المواد الفاسدة التي تفسد قلبه، بالتوبة النصوح، والاستغفار من الذنوب والمعاصي .

وإذا شغل العبد بكل ما يورث القلب إيمانًا، ويزيده من العلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله ، فكل ذلك أغذيةٌ له: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

والقلب السليم : هو الذي سلِمَ من الغلِ والحقدِ، والحسدِ والشح ، وسلم من كل آفةٍ تبعده عن الله ، وسلِمَ من كل شبهةٍ تعاند الخبر ، وسلم من كل شهوةٍ تعاند أمره ، وسلم من كل إرادةٍ تزاحم مراده ، وسلم من كل قاطعٍ يقطعه عن الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

فهذا القلب السليم في جنةٍ معجلةٍ في الدنيا ، وفي جنةٍ في البرزخ ، وفي جنةٍ يوم المعاد ، حيث كمال النعمة، وكمال النعيم ، ورؤية المنعم جل جلاله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة: ٥] .

ولا تتم سلامة القلب مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء :

١- من شرك يناقض التوحيد .

٢- ومن بدعة تخالف السنة .

٣- ومن شهوةٍ تخالف الأمر .

٤- ومن غفلةٍ تناقض الذكر .

٥- ومن هوى يناقض التجريد للهدى .

وهذه الخمسة حُجب عن الله ، ولهذا اشتدت حاجة العبد وضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم كل يوم ، بل في كل صلاة ، بل في كل ركعة، في فاتحة الكتاب كما قال سبحانه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

والقلب يتعلق به أحكام من جهة خلقهِ وشكلهِ ، ومن جهة الوارد عليه من الله ، ومن النفس، والشيطان ، ومن جهة المطلوب منه من العبادة، وطاعة الله ورسوله .

وخير القلوب من كان داعيًا للخير، مستقيماً على الدين، وليس كالقلب القاسي الذي لا يقبل الحق، فهذا قلب حجري، ولا كالمانع الأخرق الذي يقبل الحق، ولكن لا يحفظه، ولا ينشره .

والفرق بين سلامة القلب والبُله والتغافل ، أن سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته ، فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به ، وهذا بخلاف البُله والغفلة فإنها جهلٌ وقلة معرفة وهذا لا يحمد إذْ هو نقص، فالكمال أن يكون القلب عارفًا بالخير، مريداً له ، عارفًا بالشر، سليمًا من إرادته .

وأصل أعمال القلوب المأمور بها :

(الإيمان، والإحسان، واليقين، والتقوى، والتوكل، والخوف، والرجاء، والإنابة، والحب لله ﷻ) ونحوها .

وأصل ذلك كله التصديق ، فكل عملٍ صالح ظاهر وباطن ، فمنشؤه الصدق وأضداد ذلك من أعمال القلوب المنهي عنها مثل :

(الرياء، والعجبُ، والكبرُ، والفخرُ، والشركُ، والكفر، والبطرُ، والأشرُ، والعجزُ، والكسلُ، والجبنُ، والبخل، وغيرها) .

وأصل ذلك كله الكذب ، فكلُّ عملٍ فاسدِ ظاهر وباطن منشؤه الكذب ، والله عز وجل يعاقب الكذاب بأن يقعده عن مصالحه ومنافعه ، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دينه ودنياه وآخرته .

فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ، ولا استجلبت مضار الدنيا والآخرة ومفاسدهما بمثل الكذب ، ولهذا رغب الله عباده المؤمنين بالصدق ، وأمرهم بلزوم أهل الصدق، في القول والعمل، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

ولهذا كان الصدق أساس البر ، والكذب أساس الفجور ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا » . متفق عليه[1] .

وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده ، ثم يسري إلى الجوارح فيفسدها ويفسد عليها أعمالها ، كما يفسد على اللسان أقواله ، فيعم الكذب وأقواله وأعماله وأحواله على باطن العبد وظاهره، فيستحكم فيه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة، إن لم يتداركه بدواء الصدق الذي يقلع

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٠٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم(٢٦٠٧) .

تلك المادة من أصلها : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

- **فقه خشوع القلب :**

الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

فهو سبحانه الواحد القهار ، ذو الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة ، هو الجبار الذي خضعت رقاب العباد لعظمته ، وخشعت الأصوات لهيبته ، وذلَّ الأقوياء لعزته ، وافتقرت جميع الخلائق إليه .

والخشوع : قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل ، لكمالِ معرفتها بالله ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

ومحل الخشوع القلب، وثمرته على الجوارح ، فإن حسن أدب الظاهر عنوانه أدب الباطن ، والكمال الخارجي ثمرة الكمال الداخلي .

فالخشوع معنًى يلتئم من التعظيم للرب ، والمحبة له، والخوف منه، والذل له ، والانكسار بين يديه: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الحديد:١٦] .

والخشوعُ أربعة أنواع :

الأول : خضوع القلب والجوارح ، وانكسارها لنظر الرب إليها ، وهو مقام اطلاع الرب على عبده، وتحليه بالعزة والقدرة والربوبية ، فخوفه من هذا المقام يوجب له خشوع القلب لا محالة له ، وكلما كان العبد أشد

استحضارًا لعظمة الرب وجلالهِ، وجمالهِ ، وإحسانهِ، ورؤيتهِ له وسماعه لكلامه، كان أشد خضوعًا .

الثاني: التذلل للأمر، بتلقيه بذلة القبول والانقياد والامتثال، مع إظهار الضعف ، والافتقار، للهداية للأمر قبل الفعل ، والإعانة عليه حال الفعل ، وقبولهِ بعد الفعل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

والاستسلام للحكم القدري بعدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض .

الثالث : ترقب آفات النفس ، وآفات العمل ، وذلك باستحضار ذلك، وانتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبهما لك ، فذلك يجعل القلب خاشعًا لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ، ونقائصهما من الكبر والعجبُ والرياء وقلة اليقين ، وتشتت النية ، وعدم إيقاع العمل على الوجه الصحيح الذي يرضي الرب ، ورؤية فضل كل ذي فضلٍ عليك ، وذلك بأداء حقوق الناس ، وعدم مطالبتهم بحقوق نفسك ، وتعترف بفضلهم وتنسى فضل نفسك عليهم: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف: ٥٣] .

الرابع : ضبط النفس بالذل والانكسار، عن البسطِ والإذلال الذي تقتضيه المكاشفة ، وأن يخفي العبد أحواله عن الخلق جهده ، كخشوعهِ وذلهِ وانكسارهِ، لئلا يراه الناس ، فيعجبه اطلاعهم عليها ، ورؤيتهم لها ، فيفسد عليه وقته وقلبه، وحاله مع الله، فلا شيء ينفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة، والذل والستر، وألا يرى الفضل والإحسان إلا من الله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

فهو المنان جل جلاله بكل نعمة بلا سبب منك .

والشهقة التي تعرض أحيانًا عند سماع القرآن، أو عند ذكر الله لها أسباب منها:

الأول: أن يلوح للإنسان عند سماع القرآن ، والذكر، درجةً ليست له ، فيرتاح لها فيشهق لهذا شهقة شوق إليها .

الثاني: أن يلوح له ذنبٌ أرتكبه فيشهق خوفًا من الله، فهذه شهقة خشية .

الثالث: أن يلوح له نقصٌ في العمل لا يقدر على دفعه ، فيحدث حزنًا فيشهق شهقة حزن .

الرابع: أن يلوح له كمال ربه جل جلاله، ويرى الطريق إليه مسدودة ، فيشهق شهقة أسف .

الخامس: أن يَذكرهُ أو يُذكره ذلك بمحبوبه، ويرى الطريق إليه مفتوحًا ، فيشهق شهقة فرح وسرور .

السادس: أن يذكره ذلك بجلال ربه وجماله، وإحسانه وإكرامه، فيرى الخلائق كلها تحت قهره، مدينين بفضله وإحسانه، فيشهق لما يرى من كمال عظمة الرب ، وجلال إحسانه إلى عباده، وافتقارهم إليه: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ ﴾[الحديد: ١٦ – ١٧] .

وليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والخروج عن الدين : ﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾[الحديد:١٦] .

فالقلبُ البشري سريع التقلب، كثير النسيان ، وفيه نور الفطرة، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبلد وقسى وأعتم وأعتدى، فلابد من التذكير لهذا القلب ، حتى يتذكر ويخشع : ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ ﴾[الغاشية:٢١] .

ولابد من الجهد عليه، حتى يشف ويرق ، ولابد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه البلد ، والتبلد والقساوة .

ولكن لا بأس من قلبِ خمد وجمد ، وقسا وتبلد، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، ويشرق فيه النور ، وأن يخشع لذكر الله ، والله ﷻ يحي الأرض بعد موتها، فتزهر بالنباتات والأزهار، وتخرج الحبوب والثمار ، وتصبح الأرض مخضرة بعد أن كانت مغبرة : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[الحج:٥] .

وكذلك القلوب تحيا حين يشاء الله ، وفي هذا القرآن ما يحيي القلوب بالإيمان ، كما تحي الأرض بالماء : ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾[الحديد:١٧] .

والذي أحيا الأرض بعد موتها ، قادر على أن يحي الأموات بعد موتهم ، فيجازيهم بأعمالهم ، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر ، قادرُ على أن يحي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله .

فمتى يجيء الوقت الذي تلين فيه القلوب وتخشع لذكر الله الذي هو القرآن؟، ومتى انقاد لأوامره وزواجره؟، ومتى يخشع القلب لربه؟، وما أنزله من الكتاب والحكمة؟، ومتى نترقى من سمعنا وعصينا إلى سمعنا وأطعنا؟، ونقدم أوامر الرب على محبوبات النفس؟، ونؤثر الحياة العالية على الشهوات الفانية؟.

قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾[الحديد:١٧] .

فما أحوج القلوب في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله،وتنطق بالحكمة ، والموعظة، لئلا تحصل لها الغفلة والقسوة وجمود العين : ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾[ق: ٤٥] .

٥- الفصل الخامس

- **رسائل القلوب**

رسائل القلوب رسائل للتدبرِ والتفكر، والتأملِ والتذكرِ، والعلمِ والمعرفة ، ومعرفة محاسن الدين وآدابه وفضائله، وحسن أحكامه، وملء القلوب بالتوحيدِ والإيمان، وتحريك الألسنة بالدعاءِ والذكرِ، والدعوةِ والتعليمِ، وتحريك الجوارح بأنواع العبادات، والتعبد لله بأحسن الأخلاق ، وشغل الأوقات بأعمال الدين بالدعوة إلى الله ، وعبادة الله، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وهي رسائل موجهة للقلوب، مَنَّ الله ﷻ علينا بتحصيلها ، ونسأله جل جلاله أن يرزقنا حسن التعبد لله بها ، ونفع المسلمين بها إنه جوادٌ كريم .

حياة الإنسان :

إما أن تكون على الهوى ، أو تكون على الهدى ، والله أرسل الأنبياء لصرف الناس من الهوى إلى الهدى : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام:٧١] .

وقال الله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: ٥٠] .

أحسن حياةُ حياة الأنبياء والملائكة والمؤمنين ، وأسوأ حياةُ حياة الشياطين والمجرمين والكافرين ، وأرسل الله الأنبياء لنقل الناس من حياة الشياطين والمجرمين والكافرين ، إلى حياة الملائكة والأنبياء والمؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

الداعي إلى الله في الليل واقفٌ بين يدي ربه يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، ربي اغفر لي ، ربي ارحمني .

وفي النهار واقفٌ بين يدي الناس يقول : كما في القرآن: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾[مريم: ٤٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[هود: ٤٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[الأعراف: ١٠٤] .

وقال كل نبي لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾ [هود:٥٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف:١٠٨] .

في الليلِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾[المزمل: ١-٢] .

وفي النهار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾[المدثر: ١- ٣] .

الحاجة من أجل المقصد لها حكم المقصد، فمن أكل الطعام ليتقوى على الدعوة والعبادة، فهو في عبادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة:١٧٢] .

والمقصد من أجل الحاجة، كالمنافقين خرجوا للجهاد من أجل الغنائم ، فحبطت أعمالهم ، فمن قام بالدعوة من أجل أن تصلح حاله الدنيوية فلا قيمة لعمله .

النبي ﷺ وأصحابه ابتلاهم الله بالجوعِ والسجنِ ثلاث سنوات في مكة، ليعلم الله هل قام الصحابة بالدين من أجل الحاجة، أو قاموا به ابتغاء وجه الله؟

فلما صبروا وصدقوا جعل الله كنوز كسرى وقيصر تحت أقدامهم، وصاروا خير القرون بعد أن كانوا شر القرون، وهدى الله البشرية على أيديهم.

وظيفة المسلم :

إظهار محاسن الدين ، والدعوة إلى محاسن الدين، والكافر والجاهل يظهر محاسن الدنيا، ويخفي محاسن الدين .

أفضل حياة إظهار محاسن الدين، ببيان أحكامهِ وسننهِ، وفضائلهِ وآدابهِ، وثوابهِ وعقابهِ، فأفضل حياة إظهار محاسن الدين وإخفاء محاسن الدنيا، وأسوا حياة إظهار محاسن الدنيا، وإخفاء محاسن الدين .

الدعوة إلى الله هي إظهار محاسن الدين ببيان عبادة الله وحده ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه أهل أن يذكر فلا ينسى وأن يطاع فلا يعصى ، وأن يُشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣] .

فالدعوة إلى الله كلها بيانٌ لمحاسن الدين عبادةً ومعاملةً وأخلاقا ، ليدخل الناس في الدين ، وفي مكة كان النبي ﷺ، ثلاثة عشر عامًا يُظهر محاسن الدين، ببيان عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة وعده ووعيده، وعظمة ثوابه وعقابه، وبيان الأخلاق العالية قولًا وفعلًا .

- **والدين ركنان :**

عبادة الحق .

والإحسان إلى الخلق .

والناس أربعة أصناف :

فبعض الناس قويٌ في عبادة الحق سبحانه، وقوي في الإحسان إلى الخلق، يعلمهم، وينفق عليهم، ويرفق بهم، فهؤلاء بأرفع المنازل في الدنيا والآخرة.

وبعض الناس قوي في عبادة الحق جل جلاله ، وضعيف في محاسنه الخلق، فهذا ناقص العبودية .

وبعضهم ضعيفُ في عبادة الحق، وقويٌ في الإحسان إلى الخلق، فهذا ناقص العبودية .

وبعضهم ضعيف في عبادة الحق، ومحاسنه الخلق، وهذا أردأ الأقسام والأول أعلاها فالزمه حتى تلقى ربك .

حب المال ليس داء، إنما تعلق القلب بالمال داء، والتعلق بالدنيا يأتي بالنظر بعد النظر إلى الأشياء، والتعلق بالآخرة يأتي بكثرة ذكرها والتذكير بها .

أبواب الدنيا مفتوحةٌ لمن كان عنده الملكُ والمال ، وأبوابُ الجنة مفتوحةٌ لمن كان عنده الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

من سُنة الله أن يكون للدعاة إلى الله أعداءُ يمكرون بهم ، ويكيدون لهم ترقية لهم ، كما كان لآدم ﷺ إبليس ، وكان لإبراهيم ﷺ النمرود ، وكان لموسى ﷺ فرعون، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان:٣١] .

- **الداعي يعمل في ميدانين :**

الأول: ميدان نفسهِ، يجاهدها على الصبر والاستقامة .

الثاني: ميدان الناس، يدعوهم إلى الله، ويصبر على أذاهم، ولهذا أحتاج إلى الصبر :﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣]

أما العابد فقط فميدانه نفسه ، والجهد على النفس كالقطرة بالنسبةٍ للبحر، والجهد على الغير كالبحر بالنسبة للفطرة .

الفرق عظيم بين الصبح والغلس، وآدم وإبليس، والتطهير والتنجيس، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والداعي إلى الله، والداعي إلى غير الله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[فاطر: ١٩ – ٢٣] .

أين الثرى من الثريا ؟ .

وأين الأسد من القرد ؟ .

وأين الرأس من القدم ؟ .

وأين التاجُ من النعل ؟ .

وأين الإيمانُ من الكفر ؟ .

وأين الإحسانُ من الإساءة؟

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة: ١٨ – ٢٠] .

لابد أن يقاد الناس بما يحبون إلى ما يحبه الله ورسوله، ويكرموا بالمالِ، والتقديرِ، والإحسانِ، والبشاشةِ، واللين، ليقبلوا التوحيد والإيمان والأحكام: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

شياطين الإنس والجن يريدون تحويل الأمة إلى ما بين مستكبر ومغرور ، ومصفوع ومكسور ، وباكٍ وشامت : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف : ٨- ٩]

ما كل رافعٍ صوته بمؤذن ، ولا كل ساجدٍ بمصل ، ولا كل منفق بمتصدق قال النبي ﷺ: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » أخرجه البخاري [1] .

المشغول بجمع العسل لا يضره قرص النحل ؛ لأن حلاوة العسل شغلته عن مضرة الألم ، وكذلك الداعي إلى الله ، والمعلم لشرع الله ، مشغول بما يحبه الله ، فلا يبالي بأذى الناس له ، وقولهم فيه ، والشماتة به: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢ – ٣] .

الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهدًا غير الله، والمخلص من تعلق قلبه بالله وحده لا شريك له، فاستوي عنده التراب والذهب، ومدح الناس وذمهم ، وكانت عبادته في الخفاء أقوى منها في العلانية: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

حقيقة الإحسان أن تؤدي الحقوق التي عليك ، ثم تزيد عليها، فأداء الحقوق مع الحيوان يدخل الجنة ، كما سقت المرأة البغي الكلب فغفر الله لها .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١).

ومنع الحقوق عن الحيوان يدخل النار كما في المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت فدخلت النار .

فكيف بحقوق البشر، وواجب دعوتهم إلى الحق ، والإحسان إليهم ، فإن على الإنسان حقوق، وله حقوق .

فمن قام بالدعوة وأعمال البر، ولم يؤدي حقوق غيره ، فكأنه يحول أعماله الصالحة إلى غيره : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الكهف: ١٠٣ – ١٠٦]

- **لا خير في الدنيا إلا لرجلين :**

أحدهما: رجل أذنب ذنبًا، فهو يتدارك ذلك بالتوبة: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة: ٣٩] .

الثاني: رجلٌ يسارع في الخيرات ، فهو في سباقٍ ومسارعة إلى ما يحبه الله ويرضاه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرسُ شجرةً في أرض غيره ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وكونوا اليد العليا لا اليد السفلى .

القلوب أوعية خيرها أوعاها للعلم، وخير العلم العلم بالله وأسمائهِ وصفاتهِ وأفعالهِ وخزائنهِ ووعدهِ ووعيدهِ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

العلمُ يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الذكر بعد مماته .

الذهب يجرب بالنار ليعرف، والعبد الصالح يجرب بالبلاء، ليستخلصه الله لنفسه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

إذا كنت في إدبار ، والموت في إقبال، فما أسرع الملتقى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] .

فالدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثوابِ والعقاب ، والموت جسرُ بينهما، ويوشك أن تعبره إلى الجنة أو النار .

من كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن كان لا يسير : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

الصمت كله خير فاحفظ ما في الوعاء بشد الوثاق ، ولا تقل إلا خيرًا كما قال النبي ﷺ : « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »متفق عليه[1] .

ليس لك من دنياك إلا ما أصلحت به أُخراك، فأنفق من خيرك ولا تكن خازنًا لغيرك ، من حَسُنَ كلامهُ كانت الهيبة أمامه ، ومن لانت كلمته وجبت محبته : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٨) .

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[آل عمران:١٥٩] .

الوحدةُ خير من جليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، مجلس العلم نعم المجلس تنشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرحمة ، وما من نفسٍ بارةٌ أو فاجرة إلا والموت خير لها .

إن كانت بارة فالله يقول : ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾[آل عمران: ١٩٨] .

وإن كانت فاجرة فالله يقول : ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾ آل [آل عمران:١٧٨] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن ألحس جمرةً أحرقت ما أحرقت ، وأبقت ما أبقت، أحب إليَّ من أن أقول لشيءٍ كان ليته لم يكن، أو لشيءٍ لم يكن ليته كان"

قال الله تعالى :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾[التغابن:١١]

لا يكون الرجل عالمًا ربانيًا حتى لا يحسدُ من فوقه ، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمنًا : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة: ٥] .

مقصود العلم العمل به مع الخشية لا التجمل به ، وكثيرٌ من الناس يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨] .

آخي الإخوان على قدر تقواهم ، ولا تغبط الحي إلا بما تغبط به الميت ، فإن الميت لو رجع تمنى أن يكون إمامًا للمتقين .

الموت سهم أُطلق عليك، وعمرك بقدر سفره إليك، فاستعد له: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المنافقون: ١١] .

موت الإنسان رحمة له، فالميت إن كان صالحاً فما عند الله خير له :﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[الضحى:٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٨] .

وإن كان غير صالح فقد استراح الناس من شره، واستراح هو من كثرة المعاصي والذنوب .

الحسنة هي ما أمر الله به من التوحيد والإيمان والتقوى، وما وعد به من الجنة والنعيم .

والسيئة ما نهى الله عنها من الكفر والشرك والفجور، وما توعد به من النار كل من عصاه وكفر به .

القرآن كلام الله، وكلام الله صفته، وصفة الكامل كاملة:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

من سار على الصراط المستقيم في الدنيا عبر الصراط يوم القيامة إلى الجنة، ومن سار على الصراط المعوج في الدنيا سقط في قعر النار يوم القيامة: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٣] .

والصراط له صفات عظيمة:

- الصِّراطُ مِثلُ حَدِّ السَّيفِ وأدَقَّ مِنَ الشَّعرةِ.
- مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ
- له جَنبَتانِ أو حافَتانِ وفيهما كَلاليبُ.

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه: قُلْنا: يا رَسولَ الله، وما الجِسرُ؟ قال: ((مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خَطاطيفُ، وكَلاليبُ، وحَسَكةٌ مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ)) متفق عليه[1] .

الجنة أنور ما خلق الله بعد العرش، والنار أظلم ما خلق الله من المخلوقات .

إبليس يأتي للإنسان حينما يريد أن يبنى ليهدم ما بناه فيثبطه أولًا لئلا يبني، لئلا يُسلم ، لئلا يعبد الله ، فإذا بنى سارع لهدم ما بناء من عمل صالح: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة: ٢٠٨] .

- **الخوف قسمان :**

خوف العظمة والجلال .

وخوف الحساب والعقاب .

فخوف العظمة والجلال موجود عند كل أحد، سواء كان ملكًا مقربًا أو نبياً مُرسلاً؛ لأن الله غنى عن كل ما سواه وكل ما سواه خاضع له، ومحتاج إليه، والمحتاج إذا حضر عند الملك الغنى يهابه ويخافه : ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ ﴾[الأنعام:١٨] .

أما خوف العقاب، فهو للعصاة ، فمن عصى الله خاف من معصيته وذنبه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩) واللَّفظُ له، ومسلم برقم (١٨٣) باختلافٍ يسيرٍ..

٦- الفصل السادس

- **إحقاق الحق وإبطال الباطل يتم بأمرين :**

تارة يكون بإظهار الدلائل والبينات: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩].

وتارة يكون بتقوية رؤساء الحق، وقهر رؤساء الباطل : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾[الأنفال: ٧ – ٨]

- **والثواب يتم بأمرين :**

تعظيم فاعل الخير، ونفعه :﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر: ٥١] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨] .

والعقاب كذلك يتم بأمرين :

إهانة فاعل الشر، وضره: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[الأنعام: ١٢٤] .

كل من عصى الله فهو جاهل .

جاهل بعظمه من يعصيه ، أو جاهل بعقوبة المعصية ، أو جاهل بمقدار ما فاته من الثواب ، أو جاهل، بما استحقه من العقاب ، أو جاهل لأنه فوت الخير الكثير بلذةٍ عاجلة مذمومة، فلا تكونن من الجاهلين .

الأحجار والأشجار أدنى مرتبةً من الإنسان، وكون الأشرف وهو الإنسان مشتغلًا بعبادة الأخس الأدنى تدفعه نصوص الشرع، وصريح العقل بأن الأحجار والأشجار أخس مرتبة من الإنسان بكثير: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠] .

الإنسان خلق ضعيفًا وعاجزًا فهو إما عابدً لله أو عابدً لعبد الله من شجر أو حجر أو صنم : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزمر: ٦٤- ٦٥] .

والأمانة هي ما يكون للغير عندك من حقوق، وأنت أمين عليها بلا شهود، إن شئت أديتها، وإن شئت لم تؤديها فأنت مختار ، والأمانة شيء تقبله ممن ائتمنك، وليس للغير شاهد عليك إلا أمانتك و ذمتك إن شئت أقررت بها وإن شئت أنكرتها .

والله أودع فينا أمانات عظيمة في قلوبنا، وجوارحنا، وأعطانا الاختيار في أداء الأمانة، وعدم أدائها ، ومن لوازم الأمانة الاختيار، فمن أداها فهو محمود، ومن ضيعها فهو مذموم:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

النائم لا شك أنه حي، لكنه، يشبه الميت ؛ لأن الأرواح الحساسة غارت من الظاهر إلى الباطن فأشبه الميت، فعند النوم يكون ظاهر الجسد مُعطلًا عن بعض الأعمال، وعند الموت يكون كل البدن معطلًا عن كل الأعمال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[الأنعام: ٦٠] .

من اشتغل بتكميل شهوات نفسه كان لنفسه لا لربه، ومن اشتغل بتكميل أوامر ربه كان لربه لا لنفسه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

من آمن بالله، وعمل بشرعه واتقى، كان في أعلى مراتب الإنسانية وأول مراتب الملائكة كالأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة:١١] .

ومن كفر بالله، وعمل بالمعاصي، كان في أدنى المراتب الإنسانية وأول المراتب الحيوانية : ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الفرقان: ٤٤] .

من أكرمه الله بالإيمان فعليه أن يؤدى ذلك الأيمان إلي غيره، لينتشر الإيمان بين البشرية كلهم، وذلك حتى تنسجم حركة الحياة بنظام واحد وهو الدين الذي كله أمنٌ وأمانٌ وطمأنينة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج: ١٨].

فلا أمن ولا طمأنينة ولا سعادة للبشرية . إلا أن يكون الدين كله لله :﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾[قريش:١-٤] .

إذا عدى المؤمن إيمانه إلى غيره فصار مؤمناً، انتفع بخير الغير، وإن اكتفى بإيمانه، ولم يعده إلى غيره، انتفع الغير بخير إيمانه، وأصابته هو المضرة من كفر غيره، لذلك وجب إيصال الخير إلى الغير، وأعظم الخير هو الأيمان ليعم الخير الكل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١ - ٢٢]

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ - ٣]

- **أصول الخيرات محصورة في أمرين :**

عبادة الحق جل جلاله .. والإحسان إلى الخلق: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦] .

والإحسان إلى الخلق يتم بأمرين :

إيصال الخير إليهم .. ودفع الضرر عنهم: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

العقل البشرى يحوم حول ما يستأنس به، وأعظم ما يستأنس به حلاوة المعاني، وجودة الألفاظ، وعدالة الأحكام، وليس ذلك إلا في القرآن والسنة : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر: ٢٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

عصبيات البشر تمحو ما سواها، فإذا جاء قوم بعد قوم محو طريقتهم ؛ لأنهم يريدون الفخر والفضل لهم بين الناس، أما الأنبياء فهم يؤيدون من قبلهم من الأنبياء، ويحيون ما جاءوا به من التوحيد، والأيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

وقال الله عز وجل عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء:١٣٦] .

الله عز وجل شهد لنفسه بالوحدانية قبل أن يخلق المُوحدين، وحمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين، فالله عز وجل شهد لنفسه بالوحدانية، وهى أعظم شهادة ؛ لأنها شهادة الذات للذات، ثم أشهد ملائكته ؛ لأنهم لا يعرفون إلهاً غير الله، ثم أشهد العلماء ؛ لأنهم يستدلون بآياته الكونية على من خلقها، يستدلون بالصور على المصور وبالخلق، وبالأرزاق على الرازق، على الخالق، ويستدلون بالآيات القرآنية على وحدانية الله، وعظمته، وجلاله :﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران:١٨] .

القانت هو الذي يؤدى العبادة لله وحده بخضوع، وخشوع، واستدامة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩] .

المؤمن أخذ دينه من ربه، والكافر أخذ دينه من رأيه: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنعام:٧١] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

السيئة في الإسلام خير من الحسنة في غيره ؛ لأن السيئة في الإسلام قد تغفر والحسنة في غير الإسلام لا تقبل كما قال الله عن الكفار: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان: ٢٣] .

الإسلام هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، والمؤمن يعرف إيمانه بالعمل، والكافر يعرف كفره بالإنكار: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

من لم يكن له أعداء في دينه فقد لفظ حظه من ميراث الأنبياء فالأنبياء ابتلوا، وأوذوا، وأُخرجوا من ديارهم بغير حق : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الفرقان:٣١] .

المسلمون هم ورثة النبي ﷺ في أقواله الحسنة، وأعماله الصالحة، وأخلاقه الكريمة، وعبادته، ودعوته، وتعليمه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

هذه الأمة أمناء على رسالة الإسلام، ليبلغوها للبشرية، وإزالة الفساد والظلم من العالم ؛ لأنهم خلفاء الرسول ﷺ في وظيفته، وأمته: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

لله عز وجل على خلقه نعم لا تعد ولا تحصى، فليعبدوه وحده لا شريك له: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم:٣٤] .

والله عز وجل أنعم على عباده بهذه النعم العظيمة التي يجمعها ثلاث نعم :

الأولى : نعمة الخلق والإيجاد .

الثانية : نعمة العطاء والإمداد

الثالثة : نعمة الهداية والإسعاد، بالتكليف بالشرع الذي تعود مصلحته على البشر، وهذا من تمام النعمة على الناس: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت:٦] .

فدين الله عز وجل نفعه يعود على من أمن به : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾[الإسراء:٧] .

فنحن نحب الله عز وجل لهذه النعم العظيمة، خاصةً نعمة الدين الذي ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[البقرة: ٢١ – ٢٢]

النذر أمر أُريد به الطاعة من جنس ما كُلف به المكلف، فهو زيادةٌ على جنس ما كلفك الله به، رغبة في الطاعة: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ ﴾[الإنسان:٧] .

- **المكر نوعان :**

مكرٌ مذموم : وهو المكر الباطل، وهو كل حيلة يتوصل بها إلى الباطل .
ومكرٌ ممدوح : وهو المكر الحق، وهو الحيلة التي يتوصل بها إلى الحق، والله خير المكررين : ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٠] .
الرسول من جاء بشرعٍ، وكتاب مستقل، والنبي من كان أسوة في ذلك الشرع السابق، وكلاهما رُسُل من عند الله، فالرسول مُرسل من الله بمنهج يتبع، وسلوكٍ مُؤيد به بمعجزة .
والنبي مُرسل بنموذج سلوكه كما جاء به الرسول قبله ولهذا لا يسلط الله الأعداء على الرسل ، ولكن قد يتسلطوا على النبي الأسوة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[آل عمران: ٢١] .
العبادة طاعة العابد للمعبود في كل حال فيما أمر ، وتكون بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة: ٧١] .

الإيمان : اطمئنان القلب إلى إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، وتوجه القلب إليه في كل حاجةٍ من حوائجه ، فكما آمنت به ربًا خلقني ورزقني، فيجب أن أؤمن به إلهًا تأمرني بما شاء مما يسعدني في ديني ودنياي وآخرتي : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[غافر:٦٢] .

- **الفرق بين الموت والقتل والانتحار** .

الموت والقتل بهما تسلب الحياة عن الحي من إنسانٍ أو حيوان ، لكن القتل يكون بنقض البنية سواءً كان من قبل العبد نفسه كالانتحار، أو بقتل غيره له بسيفٍ أو رصاصٍ ونحو ذلك .

أما الموت فهو سلب الحياة، والبنية باقيةٌ سليمة، وذلك بيد الله وحده: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك: ١ - ٢]

وقال الله عز وجل:﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[يونس:٥٦] .

لهذا يقدر البشر على البشر بالقتل، ولا يقدرون على الموت، لأن الموت بيد الله، والحياة بيد الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٠] .

الروح : تحل في المادة فتحيا، وتنزع من المادة فتموت ، والروح لا تحل إلا بجسدٍ قابلٍ للحياة ، فإذا فسد الجسد بالقتل خرجت الروح ، والروح من أمر الله، لا يعلم كيفيتها وهيئتها ومكانها أحد إلا الله وحده: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

الخلق الحسن صفةٌ أخلاقية كريمة تغلب على الإنسان حتى يعرف بها ، كالصدق والحلم، والكرم والشجاعة، والإيمان والتقوى، وأعظم الناس أخلاقاً نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين:

حسن الخلق مع الخالق يكون بالإيمان به وعبادته وحده.

وحسن الخلق مع المخلوق يكون بالإحسان إليه، وكف الأذى عنه .

صدق الخبر أن يكون مطابقًا للواقع ، وصدق المخبر أن يكون معروفًا بالصدق، كالله ورسله وأوليائه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام:١١٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر:٣٣].

الرسول واسطةٌ مرسلٌ بكتابٍ من ربه يبلغه للناس، وهو نموذجٌ سلوكي في تطبيق ذلك الكتاب، أما النبي فهو لم يأتِ بكتابٍ، ولكنه أسوةٌ سلوكية، وكلاهما مرسلٌ من الله، هذا مرسلٌ للبلاغ والأسوة، والنبي أرسل بالأسوة فقط: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[الحج:٥٢] .

فالرسول يأتي بالمنهج والكتاب، ويطبقه ويدعو إليه ، والنبي يطبق المنهج الذي جاء به الرسول، ويدعو إليه ، والداعي يطبق المنهج، ويدعو إليه ، فالنبي لم يأتِ بمنهجٍ جديد إنما هو أسوة في الإيمان الذي جاء به الرسول السابق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول .

٧- الفصل السابع

العالم الرباني هو الذي جمع العلوم من الرب : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام:٧١] .

والعالم الرباني هو الذي يربي الناس بما أخذه من ربه : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

من رحمة الله بعباده أن من أذنب ذنبًا لامته نفسه، ليقلع عنه ، ويسخر الله له من يوصيه بالحق ليقلع عنه ، فإن لم يكن هذا ولا هذا طم الفساد ؛ فأخذه الله بقوته بعقوبة ترده إلى ربه ليتوب إليه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

كل شيءٍ خلقه الله لحكمة؛ فللجماد بأنواعه مهمة، وللنبات بأنواعه مهمة، وللحيوان بأنواعه مهمة، وللرياح بأنواعها مهمة، وللإنسان كذلك مهمة، والكل يؤدي مهمته؛ لأن هؤلاء جميعًا مسخرون في عبادة الله جل جلاله، وتنفيذ أوامره الكونية، فالشمس للإنارة، والسُحب للمياه، والأرض للإنبات، والحيوان للأكل والتكاثر ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

أما الإنسان فإذا غفل عن مهمته، وهي طاعة الله وعبادته وحده لا شريك له، إذا غفل عن هذه المهمة أرسل الله إليه رسولًا يرده إلى خالقه؛ وذلك من كمال رحمته بخلقه :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

كل فساد في الكون سببه أن الإنسان تدخل فيه، وصرفه إلى غير منهج الله : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١]

وما لا دخل للإنسان فيه كالجماد، والنبات، والحيوان، والرياح، والشمس، والقمر، فهو يؤدي مهمته التي أمره الله بها : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت:٣٧] .

فالإسلام هو الحق، والسيف رُفع في الإسلام، ليرفع الإكراه الذي فُرض على من يريد أن يُسلم ليختار ما يشاء : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف: ٢٩] .

الهداية هي الدلالة على الحق، والله عز وجل قد دل الناس جميعًا عليه بالآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، وإرسال الرسل، وأنزل الكتب .

فمن أمن بالله أعانه ويسر أمره ، ومن كفر بالله وأعرض عنه تركه وما تولى، وسيعاقبه على ذلك :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

القدر ركنٌ من أركان الإيمان، والعبد يجب أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩ – ٥٠] .

في كل مال ثلاثة شركاء :

القدر يفعل فيه ما يشاء .

والوارث يأخذه بعد موتك .

ومالكه يفعل فيه ما يشاء.

فأنفق مما بين يديك تجده ثوابًا إن كان في سبيل الله بين يديك .

الله عز وجل رحيمٌ بعباده قبل أن يحرك مُعدمًا إلى غير موجودٍ معه، يحرك معطيًا إلى غير موجود معه ليعطيه ؛ فالرزق يعرف عنوانك وأنت لا تعرف عنوانه، ورزقك لاحقك أو ناطحك: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود: ٦] .

الأرض جعلها الله مسجدًا وطهورًا، ومكانًا للعمل، أما المساجد التي تعين وضعها للعبادة فهي بيوت الله باختيار عباد الله، ولا يعمل الإنسان فيها إلا ما هو مختص بالدين لا بالدنيا ، والكعبة بيت الله باختيار الله قبلةً للعبادة في الأرض كلها ، ومساجدها كلها، والمساجد بيوت الله باختيار عباد الله.

والكعبة أول بيت وضع للناس، وإبراهيم ﷺ أول من بناه بعد الطوفان، حيث أظهره الله له: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران:٩٦] .

وأظهره الله ﷻ لإبراهيم فبناه كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[الحج:٢٦] .

بكه أي مكان الزحام، بازدحام الناس بالطواف حول الكعبة ، ومكة أسم للبلد الذي فيه الكعبة كما قال سُبحانَه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[آل عمران:٩٦] .

إذا قال الله عز وجل يا أيها الناس أعبدوا ربكم ، أو قال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، أو قال يا أهل الكتاب، فإذا قال الله يا أيها، فإنما هو تلطف في خطاب الخلق .

وإذا قال قل، فإنما هم ليسوا أهلًا للخطاب الإلهي، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[آل عمران:١٨٣] .

اليهود في المدينة كانت لهم منزلةٌ علمية، ومنزلةٌ اقتصادية، ومنزلة عسكرية، فخافوا على هذه السلطات، فأشعلوا العداوة بين الأوس والخزرج، بعد أن وحدهم الإسلام وآخى بينهم، كما قال – سُبحانَه – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢-١٠٣] .

مخلوقات الله عز وجل قسمان :

القسم الأول: مخلوقات مسخرة: كالشمس والقمر، والسماء والأرض، وهذا لإثبات كمال القدرة لله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

والله سخر هذه المخلوقات تسخير تعريف لنؤمن به، وتسخير تكريم لنشكره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

الثاني: خلق الله سبحانه مخلوقات مخيرة وهما الإنس والجن، وهذا لإثبات المحبة، فالمخلوقات المسخرة تطيع الله قهرًا بالتسخير، ولتدل على عظمة الله وجلاله وكبريائه وكمال قدرته ، والمخلوقات المخيرة تأتي إلى ربها محبةً وطوعًا واختيارًا .

والتسخير يدل على قدرة المسخر، ولكنه لا يثبت المحبة ، فخلق الله من سخره لإثبات قدرته، وخلق الله من جعله مختارًا لإثبات محبته ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران:٣١-٣٢] .

فمن أحبه الله اصطفاه واجتباه، ومن أبغضه الله نسيه وأعرض عنه .

تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسي، ويشكر فلا يكفر، أو أن تقول بالحق لا تخاف لومه لائم، أو تقول الحق ولو على نفسك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

الإنسان إذ لم يعتصم بالله هوت به الشهوات إلى القاع والظلام والخسارة : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[الزمر: ١٥]

وقال الله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[مريم:٥٩] .

التواصي تفاعل من جهتين أوصيك بالحق، وتوصيني بالحق، فمن ضعف أمام معصية ففعلها، فلا يضعف أمام غيره، بل يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر ، ومن استقام فعليه أن لا يترك من وقع في المعصية فلابد للنجاة من التواصي من طرفين، ومن شخصين: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر: ١ – ٣]

كل مسلم مطالب إلا يفعل المنكر، وأن يأمر غيره بترك المنكر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وكذلك هو مأمور أن يأمر غيره بترك المنكر : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٤]

الظلم محرمٌ في كل شريعة في كل حال، والله ﷻ لا يحب الظلم ولا يحب الظالمين ، ولا يحب الظلم لا فيما بين الناس وربهم، ولا بين بعضهم مع بعض كما قال ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا »أخرجه مسلم(١) .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠ ﴾[النساء:٤٠] .

والظلم إنما ينشأ من إرادة المنفعة بغير حق، يأكل أموال الناس بالباطل، أو إرادة الضرر بالغير بغير جرم: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١١٠ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١١١ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝١١٢ ﴾[النساء: ١١٠ – ١١٢]

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

وأظلم الظلم هو الشرك، واعدل العدل هو التوحيد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء: ١١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان:١٣] .

الأسباب بدأت نعمةً من الله، ورجعت إليه ، فكل الأسباب منةٌ من الله ، وفي الآخرة ترجع إليه؛ ولهذا لا يستطيع أحد أن يحتفظ بقوته أو عافيته في الدنيا:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾[النحل:٥٣] .

فالأسباب بدأت منةً من الله، ورجعت منةً إليه في الآخرة، ولأهل الجنة يوم القيامة ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سَمعت ، ولا خَطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

فهي بدأت منة من الله في الدنيا، ورجعة إليه في الآخرة ، فهو أهل الفضل والإكرام والإحسان في الدنيا والآخرة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

- **خيرية هذه الأمة مبنية على ثلاثة أمور :**

الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. والإيمان بالله .

فلا خير في أحد لم تكن فيه هذه الثلاثة: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

ضرب الله الذلة على اليهود والنصارى إلى يوم القيامة؛ لشناعة جرمهم، وقولهم على الله غير الحق، اليهود كانوا آمنين بعد إبرام العهد مع النبي ﷺ في المدينة، ثم نقضوا العهد فقطعوا الحبل مع الله؛ فضرب الله عليهم الذلة،

وبقي لهم الحبل مع الناس، كما هو حاصل لليهود مع دول الغرب والشرق الكافرة، كما قال سبحانه عن أهل الكتاب : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[آل عمران:١١٢] .

وقد قطَّع الله عز وجل اليهود ؛ بسبب نقضهم العهد، في الأرض أُمما، ولم يكن لهم مكان جامع إلا في المدينة، ينتظرون بعثة النبي ﷺ فلما لم يكن منهم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[البقرة:٨٩] .

وقال الله عز وجل عنهم:﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٦٨ - ١٦٩] .

خلق الله في كل إنسان خمس حواس كبرى هي العين التي ترى ، والأذن التي تسمع ، والأنف الذي يشم ، واللسان الذي يذوق ، والأنامل التي تلمس : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

إذا آمنت بالله حكيمًا فتلقى عنه الحكمة ، وإذا آمنت بالله رازقًا فانتظر منه الرزق :﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود: ٦] .

وإذا آمنت بالله مؤمنًا فانتظر منه الأمن ، وإذا آمنت بالله قويًا فاسأله القوة: قال النبي ﷺ:«إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ» أخرجه أحمد(١) العقل كالمطية؛ فالمطية توصلك إلى باب السلطان، ولكن لَا تدخل معك عليه، وهكذا العقل يوصلك إلى الإيمان بالله، فينقلك من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، ومن الأرزاق إلى الرزاق، وذلك ثمرة التفكر والتدبر :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

فالعقل يوصلك إلى الإيمان بالله، ثم يقف ويتلقى الأخبار الصادقة من الله ، والأوامر الشرعية ، والمناهي الشرعية: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾[آل عمران: ٣٢] .

مدد الله إنما يأتي لمستقبلٍ منهج الله، عاملٍ بتقواه : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾[الأعراف:٩٦] .

الفاعل والقابل مختلف ، فالفاعل واحد وهو القرآن ، والقابل مختلف وهو الإنسان، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤ ﴾[فصلت:٤٤] .

الحكيم العارف بالله لا يأخذ التصور مفصولًا عن الحكمة، ولا يأخذ العقوبة مفصولة عن الجريمة، ولا يأخذ الثواب مفصولًا عن العمل الصالح ؛ لأن أفعال الله عز وجل كلها حِكمة ورَحمة وعَدل وإِحسان :﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ ﴾[آل عمران: ٧٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٦٣).

وقال الله عز وجل:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩] .

- **القرآن محكم ومتشابه .**

فالمُؤمِن المُحكَم يعمل به، والمُتشابه يؤمِن به، والمُتشابه يَرُد إلي المُحكم كاليد والوَجه لله عز وجل يَرُد إلي المُحكَم، فيقول لله وجهٌ ويدٌ تليق بة، وللمخلوق وجهٌ ويدٌ تليق بة ، فنرد المتشابه إلي المحكم فى ضوء :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] .

والله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة:١٦٣] .

المحكم أنزله الله للعمل بة وهو سائر الأحكام، والمتشابه أنزله الله للإيمان بة، ورده للمحكم :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران: ٧] .

والأمور كلها بيد الله وحده:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران: ٨] .

التربية هي تربية المُربيَ ليصل إلي الكمال المطلوب له بدنيًا وروحيًا ، والله رب العالمين، فهو رب جميع العوالم، وهو وحده الرب المُربي الذي يُربي لنفع المُربيَ، لا لنفع الله عز وجل فإن الله غنيٌ عن كل ما سواه:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله ﷻ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾[الإسراء:٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾[العنكبوت:٦] .

كل شيء في الكون يسبح بحمد ربه من العرش العظيم إلي أدني ذَرة من خلق الله: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤] .

فَذَرَات الكافر مؤمنه، وذَرَات العاصي طائعة، ولكن هي خاضعة لإرادة الإنسان عليها، فالجوارح إن أطعت الله بِها أطاعتك وحمَدتَك، وإن عصيت الله بها أطاعتك ولعنَتك .

والإنسان لا يخضع لأحد إلا إذا أقنعه ببُرهان سواء كان فوقه، أو مثله، أو دونه ، وكل ما سوي الحق فهو باطل:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[الحديد:٢٥] .

الغاية دائمًا قبل الوسيلة تخطيطًا، والوسيلة قبل الغاية واقعًا، فإذا هممت بشيء سلكت السبيل الموُصِل إلية، فللدُنيا أسباب، وللجنة أسباب، وللنار أسباب: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾[هود:١١٢-١١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾[الكهف: ١٠٧] .

الإيمان أن تؤمن بإله لا تيأس من رحمَتهُ ولا تأمن من مَكرِه : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾[المائدة:٩٨] .

من رحمه الله أن فرض علينا فى كل يوم خمسَ صلوات، لإزالة غُبَار الغفلة عن قلب الإنسان: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت:٤٥] .

- **أنواع الوحي الإلهي:**

الوحي الإلهي هو الإعلام بخفاء، إما للملائكة، كما قال سبحانه: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾[الأنفال: ١٢ – ١٣] .

أو للرُسُل كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشورى: ٥٢] .

أو يكون الوحي للناس، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[القصص: ٧] .

أو يكون إلي الحيوان، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[النحل:٦٨] .

ويكون الوحي كذلك للجماد كما قال سبحانه عن الأرض: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[الزلزلة: ٤ – ٥] .

فالمُوحي هو الله، والموحى إليه هو خلقه، وهذا الوحي كله حق، لأنه وحي من الحق سبحانه .

وقد يكون الوحي من غير الله كما يوحي الشياطين بالباطل إلي أوليائهم: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[الأنعام: ١٢١] .

الإنذار هو الإخبار بشر يمكن أن تتلافاه فى المستقبل ، كما أنذرنا الله عز وجل وحذرنا من الكُفر والشِرك والنَار والمعاصي .

والتبشير الإخبار بخير حصل أو يمكن تحصيله في المستقبل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

الشهوة مَيل النفس بقوُة إلي محبوبٍ من طعامٍ أو شرابٍ أو نكاحٍ أو مال ، والشهوة مَيلٌ فِطرى في الإنسان والحيوان فإن شَغَلَت عن طاعة الله فهي مَذمُومَة:﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وإن أَخَذ منها في حدود الحاجة فهي مَمدُوحَة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

إيهام المَوت زمانًا ومكانًا، وسببًا وحالًا، أعظم بيانٍ له، ليكون متوقعًا عند كل إنسان، في أي لحظة : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١١] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة: ٨] .

٨- الفصل الثامن

حكمة ورود النار، والمرور على النار، ليرى المؤمن كيف أنجاه إيمانه من النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢] .

الفلاح هو النجاة من المرهوب، والفوز بالمطلوب : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥].

الرحمة ألا تقع في العذاب، والشفاء أن تصاب، ثم يشفيك ربك، فالقرآن شفاء لما وقعنا فيه من الذنوب، والرحمة إتباع منهج الله الموصل إلى السعادة في الدنيا ولآخرة :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

أوامر الدنيا نؤجلها ونؤخرها، أما أوامر الآخرة فنعجلها ونسارع إليها، لما فيها من الثواب العظيم الأبدي ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

نفقة السراء نفقة الشكر ، ونفقة الضراء نفقة الذكر والتضرع : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢] .

حين تضعف أسباب الخلق، يأتي فوراً إمداد الخالق الغنى الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف: ١١٠] .

اسم محمد ﷺ ورد في القران أربع مرات، كما قال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾[محمد: ٢] .

وقال الله ﷺ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

أما اسم أحمد فورد مرة واحد، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف:٦] .

فمحمد اسمٌ وقع الحمد عليه من غيره، وأحمد وقع الحمد منه على غيره كثيرًا، فمحمد محمود في السماء والأرض، ومحمودٌ في الدنيا والآخرة، ومحمود بين أعدائه وأوليائه .

وأحمد أعظم من حمد الله من الخلق، وهو أحمد الخلق لربه بأنواع المحامد فصلوات الله وسلامه عليه .

الطائفة جماعة تجمعهم فكرة واحد يطوفون حولها، ويجتمعون عليها من إيمان، أو نفاقٍ، أو كفرٍ، أو مهنةٍ، أو قول .

الموت حال تسلب الحياة من الحي، مجهولة السبب، مجهولة المكان مجهولة الزمان مجهولة الحال، مجهولة العمر، والموت والحياة بيد الله وحده:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:١-٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٨٠ ﴾[المؤمنون:٨٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

ليس الشأن أن تحب الله فقط، فإنك لابد أن تحبه ؛ لأنه لا أعظم منه، ولا أكبر منه ولا أكرم منه، فالله خلقك، وأمدك بالأقوات، وهداك إليه، ويسر لك أمور دينك ودنياك، فليس الشأن أن تحب الله فقط بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله، ولا يحبك الله إلا إذا أمنت به، وامتثلت أمره، وأطعت رسوله:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢ ﴾[آل عمران:٣١-٣٢] .

- **علامة العبد بربه العظيم:**

علاقة العبد بربوبيته قبل علاقته بألوهيته، فالله خلقني ورزقني، قبل أن يكلفني ويأمرني، فعلاقة العبد بربوبية الرب قبل علاقته بالألوهية، وعلاقته بالألوهية تشريف وتكريم له، حتى لا يذل العبد نفسه لغير الله عز وجل .

والله يربى عباده بنعمه قبل أن يعبدوه، والألوهية تكليف بأوامر من الإله، والأمر إذا جاء من أعلى من الرب العلي الأعلى فهو تكريم وتشريف للإنسان :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الذنُب مأخوذ من الذَنَبَ، وذَنَبَ كل شيء مستقذرٌ وسوءه، فأجتنبه، واقبل على طاعة مولاك، ولا تعصه بنعمه: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ٣٢] .

المؤمنون ينتصرون علي عدوهم بطاعة الله ورسوله ، فإذا استوي المؤمنون والكفار في المعصية، غلب من هو أكثر عددًا وعُدَه، ففي بَدر إيمانٌ كامل وطاعةٌ كاملة فجاء النصر من عند الله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران:١٢٣] .

وفي أُحُد إيمانٌ كامل، وطاعةٌ ناقصة، فأرتفع النصر، وأنتصر الإسلام، وهُزِم المُسلِمُون : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران:١٥٢] .

كفى جزاءً على الصبر أن تكون محبوبًا لله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[آل عمران:١٤٦] .

وكفى جزاءً على الإحسان أن تكون محبوبًا لله ﷻ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وكفى جزاءً علي التقوى أن تكون محبوبًا لله ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران:٧٦] .

وكفى جزاءً علي العدل أن تكون محبوبًا لله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢] .

المّنُ هو تكثير النعمة بلا مقابل، وهذا محمود من الله والناس : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات:١٧] .

والمّنُ في الأصل القطع، لأن النعمة جاءت لتقطع الحاجة، والمَنّة إن قضت بها حاجة سميت نعمة، وإن أردت بها الشكر من المخلوق سميت مِنّه .

والعطاء بلا منة فيه ثواب من المنان: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[البقرة:٢٦٢] .

ومِنّة الله علي خلقِه بهذا الدين العظيم تعطيك سعادة الدنيا والآخرة : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:١٦٤] .

التلاوة هي القراءة، لأن الكلمة تتلو الكلمة، والآية تتبع الآية .

وآيات الكون تفسر آيات القرآن حسيًا ، وخلقًا، وأمرًا ، فالله يقول إنه الخالق كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[الرعد: ١٦] .

والكون يُريك مخلوقات الله عز وجل .

والله يقول إنه هو الرزاق ، والأرزاق التي تراها في الكون هي من رِزقِه جَلَّ جَلَالُهُ .

الآية الأمر العجيب، الملفت للنظر ، يقال فلانٌّ آية في الخُلُق، وآية في الذَكَاء وآية في الكَرَم، وآية في العلم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد: ٢١] .

والآيات هي الأشياء العجيبة وهي قسمان :

الأولى: آيات منظورٌة، وهي الآيات الكونية في العالم العلوي والسفلي .

الثانية: آيات مقروءٌة، وهي آيات القرآن المعلومة، **وعددها (٦٢٣٦) آية** .

والنبي ﷺ جاء من ربه بالآيات المقروءة، ليلفت الناس إلي الآيات المنظورة في الكون، وبلفت الله بالآيات المقروءة للآيات المنظورة، يأتي العجب في القلب، ثم يحصل الإيمان بالله .

فالقرآن تفسره آيات الكون العظيمة: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق:٦-٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

الزكاة تطهيرٌ وتنقيةٌ ونماءٌ للمال والشخص والحياة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٣] .

فبالإسلام تطهر الحياة من الظلم، وتنقى من الفواحش، وتنمو بالحسنات والأمن:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الأحزاب:٣٣]

وقال سبحانه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[التوبة:١٠٨] .

الضلال هو المشي إلي مكان لا يِوُصِل للغاية، أو يِوَصِل إلي ضد الغاية ، فالكفر ضلال لا يوصل الإنسان إلي خالقة، ولا إلي جنته، بل يوصل إلي ضد الغاية من سَخَط الله والنار:﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص:٥٠] .

وقال الله عز وجل:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[الكهف: ١٠٣ – ١٠٦]

التوكل هو فعل السبب بالقالب مع الاعتماد على الوكيل بالقلب :﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن:١٣] .

وقال الله عز وجل:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩] .

الشيطان يخوف أولياءه من القتل، ويخوف بأوليائه المؤمنين : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥] .

جميع الأخبار، والأوامر، والأحوال لغرس الذرات الإيمانية في القلب وزياداتها، لتستجيب لأوامر الله في كل حال، في حال السراء والضراء: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

وإذا زاد الإيمان امتلأ القلب باليقين، وتحركت الجوارح بأنواع الطاعات ونطق اللسان بالذكر والشكر، والحمد والتمجيد لرب العالمين :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

كما يوجد للإنسان سلالات متجددة من البنين والبنات، في كل زمان ومكان، فكذلك لهذا الكون العظيم سلالات متجددة في كل زمان ومكان من الخلق والأمر والأحوال تذكيراً للعباد بقدرة الله، وكمال رحمته، وسعة علمه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

كما أن لكل إنسان سلالات من الأقوال والأفعال والأحوال، كذلك للشمس سلالات من النور والحرارة وللأرض سلالات من أنواع النبات المختلفة ، وللماء سلالات من الأحياء كذلك، فكل شيء مخلوق له ميلاد يوجد فيه يدل على كمال قدرة الله، وعظمته، وعظمة من خلق :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم آياته ومخلوقاته: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾[يس:٣٧-٤١] .

فالآيات الكونية، والآيات القرآنية تملأ القلب بالإيمان وتزيده كلما نظر الإنسان في الكون، وتتدبر آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية .

الزمن ظرفٌ غير قار ؛ لأنه يكون حاضراً ومستقبلاً وماضياً.

والمكان ظرف ثابت قار ، لأن المكان لا يتغير، فالمكان ظرفٌ للأشياء كالجبال والبحار والحيوان والنبات، والزمان ظرف للأعمال، فليكن هذا وهذا دليلك إلى ربك: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

الإيمان حدث يتجدد في حياة الإنسان حسب معرفته فيقوى ويضعف، ويزيد وينقص، بحسب ذلك : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فإذا زاد الإيمان حسنت الأعمال، وحسن الثواب:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

الدين مع أن خيره ونفعه راجع إلى من آمن به ، فكذلك تفضل الله على من قام به بالأجر العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

الله يخلق موجوداً من عدم، كما خلق العرش والماء، وهذا خاص بالله وحده : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر:٦٢] .

ويخلق معدوماً من موجود كما يخلق الثمرة من الشجرة، والكلام من اللسان: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

والإنسان يصنع معدوماً من موجود، يؤلف بين أجزاء المادة بإيجاد مادة من مادة موجودة كأنواع الصناعة والحدادة التي فتحها الله على الناس، والله خلق الإنسان، وخلق أفعاله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[الصافات:٩٦] .

فالله خلق العقل الذي يفكر، والمادة التي تصنع منها الأشياء، والعقل الذي يميز بين البدائل، والله عز وجل خلق الكون، وأمر الإنسان بالعمل ليعفِ نفسه وينفع غيره وفق الشرع، فإذا خالف الإنسان أمر من خلقه شقى في حياته، وأشقى غيره: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤]

سيد الحواس الخمس الذوق ؛ لأنه لذة وألم من الداخل : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١ ﴾[السجدة:٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩ ﴾ [الفرقان:١٩] .

الله ﷻ هو الرَّحْمَن الرَّحِيم، والرحمن صفة مبالغة تكون بالكمية، وتكون بالتكرار، فالرحمن كثير الرحمات لخلقه في المرة واحده ، ويكون بتكرار الرحمات مرات متعددة، كالأكال قد يكون كثير الأكل في المرة الواحدة ، وقد يقوم بتكرار مرات الأكل، والله عز وجل هو الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] .

فكم رحمة أنزلها علي خلقه ، وكم مره أنزلها على من أطاعه وعصاه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة:١٤٣] .

والله عز وجل ليس بظلام للعبيد لا من ناحية الكمية، ولا من ناحية التكرار بتكرار الظلم مع كل أحد، فالله منزه عنه : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦] .

فالله كريم يضاعف الحسنات، ويعطي المؤمن أجراً بلا عمل منه:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

- **قبول العمل له شرطان :**

الأول : الإخلاص لله عز وجل: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢ – ٣] .

الثاني : إن يأتي به الإنسان وفق السنه﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وقبول العمل سرٌ من أسرار الله لا يعلمه إلا هو، وعلامته صدق التقوى، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[المائدة:٢٧] .

جميع معجزات الأنبياء والرسل محسوسة ، ومعجزة محمد ﷺ معجزة عقليه هي القرآن العظيم الذي يعجز كل إنسان إلى يوم القيامة :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

اجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه أبدًا : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك أبدًا : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه أبدًا : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة:١٢٠] .

واجعل سؤلك لمن لا يموت أبداً:﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

حُب الثناء من طبيعة النفوس، فالثناء على النفوس بما قامت به من خير يشجع العبد على الاستمرار في الخير ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

فالله عز وجل اثني على رسوله والمؤمنين بصفاتهم ترغيبًا لهم في الطاعات، ودعوة لاقتداء بهم في التوحيد والإيمان والإعمال الصالحة .

من رحمة الله عز وجل أن جعل منابع الماء العذب عالية لتسقى ما حولها وما تحتها، ثم تصب في البحر المالح الذي هو مخزن للمنافع في ظاهره وباطنه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة:١٤٣] .

اختلاف الليل والنهار أن يأتي هذا بعد هذا، ويزيد هذا، وينقص هذا والليل مظلم، والنهار نور :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[آل عمران:١٩٠] .

الرباط هو أن تشعر عدوك أنك مستعد لمواجهته في كل وقت بالبدن والمال واللسان، دفاعًا عن الحق وغيرة عليه، وصدًا للباطل ومحاربته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠] .

والرباط يكون بقوة عسكرية تزهق الباطن، ويكون بقوة فكرية تصد كل باطل، وبقوة علميه تطرد الجهل وتبين شرائع الله، فكن من المرابطين في سبيل الله ، تفلح وتسعد وتسعد غيرك:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤]

التقوى أن تجعل بينك وبين غضب الله وقاية بالطاعة ، فالطاعة وسيله إلى رضا الله التي تقي من النار .

التقوى هي ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧١] .

وعناصر الفلاح هي :

أن تنفذ أوامر الله في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠] .

٩- الفصل التاسع

في سورة البقرة، تكلم الله ﷻ عن الإنسان واليهود ، وفي سورة آل عمران ، تكلم الله عن الإنسان والنصارى ، وعن إنسان خلقه الله خلاف العادة ، وهو عيسى ﷺ.

وفي سورة النساء، تكلم الله عن الحاضن لهذا الإنسان، وهو النساء، الوعاء الحاضن للنفس البشرية، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

والله ﷻ خلق السحب وعاءً للمياه، وخلق الشمس وعاءً للنور والحرارة، وخلق الأرض وعاءً للنبات، وخلق المرأة وعاءً لأكرم مخلوق خلقه الله ﷻ بيده ، وهو الإنسان: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم:٢١] .

فالإنسان له مهمةٌ عظيمة؛ ولهذا فترة تربيته طويلة، أربعة عشر عامًا في حضن أمه، يتربى على التوحيد، والإيمان، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]

مهمة الرجال مع الأجناس التي دونهم من الجماد، والنبات، والحيوان، ومجال المرأة مع الإنسان، تحضنه، وتربيه، وهذا تكريم لها، فهي أم الأنبياء والرسل، وأم العلماء والدعاة، وأم المجاهدين في سبيل الله .

الرجل حمل الإنسان خفيفاً، ووضعه شهوة ، فالإنسان خلق من منيٍ يمنى ، والمرأة حملته كرهًا ، ووضعته كرهًا ، وربته كرهًا ، لتهتم بتربيته بعد ذلك : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الأحقاف:١٥-١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[لقمان:١٤] .

الرب من رباك ، فخلقك من عدم ، وأمدك بنعمة العطاء والإمداد .

فالله ﷻ خلق الإنسان وأمده بثلاث نعم :

نعمة الخلق والإيجاد .. ونعمة العطاء والإمداد .. ونعمة الهداية والإسعاد: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣]

والله من تألهه وتحبه ، لعظمته وجلاله ، وإنعامه وإحسانه ، وتطيعه فيما أمر ، فالتربية فعل الرب ، والعبادة فعل العبد ، وأكثر الخلق يأخذون من عطاء الربوبية ، وأقلهم الذين يعبدون ربهم بالألوهية: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يوسف: ١٠٣] .

وكما خضعت لأوامر الرب في خلقك ، وصورتك ، ونوعك ، فيجب أن تخضع لما يحبه الرب لك ، وهو دينه العظيم ، الذي يصلك به ، ويكون سببًا لإسعادك في الدنيا ، والآخرة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ومن عبد الله عز وجل فهو من المفلحين ، الذين عرفوا ربهم، وعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾[البقرة:١-٥] .

- **ذكر الله عز وجل النساء في سور كثيرة من القرآن :**

في سورة النساء .. والمائدة .. والأحزاب .. والتحريم .. والطلاق .. والممتحنة .. المجادلة، تكريمًا وعناية بهذا الجنس الذي جعله الله حاضناً للبشرية إلى يوم القيامة .

والله خلق أدم من تراب، وخلق حواء من جنسه أنثى، وجعهما معًا سببًا لبقاء النوع البشري، وجعل بينهما مودة ورحمة، وأماناً للتناسل، وجعل اللذة محركا، لهما للإنجاب: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾[الروم: ٢١] .

فسبحان الخلاق العليم، الحكيم ، الخبير: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الذكر مخصب ، وهو في كل نوع أقل من الأنثى ، فذكور النخل أقل من الإناث؛ لأن مئات الإناث تحتاج إلى مخصب واحد ، وكذلك النساء ، فالله جعل الرجال كثير، والنساء أكثر: ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ۝٥٠ ﴾[الشورى: ٤٩ – ٥٠].

طفولة الطيور والحيوانات قصيرة ، أما الإنسان ، فقد جعل الله له حضانة طويلة عند أمه ، تكريمًا لها بحضانة الإنسان ذكرًا أو أنثى ، والذي سيكون مؤمنًا ، عابدًا ، داعيًا ، معلمًا ، مجاهدًا ، طبيبًا .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم خلقه ، وما أعظم حكمته : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[الملك: ١ - ٢]

إذا قال الله عز وجل يا أيها الذين أمنوا فإنما يريد أن يكلفك ليسعدك في الدنيا والآخرة فعليك بطاعته كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾[الحج:٧٧] .

وإذا قال الله يا أيها الناس فإنما يطلب منك أن تؤمن به ربًا وإلهًا فكما أمنت به ربًا خلقك ورزقك فعليك أن تؤمن به إلها تطيعه فيما أمر، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾

[البقرة: ٢١ - ٢٢]

العالم الإنساني إذا تقدم إلى الأمام زاد، و إذا رجع إلى الخلف رجع إلى اثنين رجلٌ وامرأة، ثم رجع إلى واحد وهو الله الذي خلقه، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[النساء:١]

ونحن نرى البشرية الآن في ازدياد، لكنهم يرجعون إلى رجل وامرأة وهم آدم وحواء، وآدم وحواء يرجعون إلى من خلقهم وهو الله الذي خلق كل شيء، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر:٦٢] .

اليتيم في الإنسان هو من فقد أباه، واليتيم في الحيوان هو من فقد أمه، لأن ذكور الأنعام تُلقح وتنتهي، وتبقى المسئولية على الأم، وأفضل يتيم من البشر محمد ﷺ: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ ﴾[الضحى: ٦ – ١١] .

حكم الله بإباحة تعدد الزوجات، وحُكم الله بإباحة التعدد للزوجات مربوطٌ بحكم الله بالعدل، فمن قدر على ذلك جاز له التعدد، والعدل المطلوب في المكان والزمان والطعام وسائر الحقوق التي يقدر عليها الزوجن، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ [النساء:٣] .

ذكور كل نوع من الإنسان، والحيوان، والنبات أقل من الإناث كما هو حاصل في النخل والأنعام، والذكور من الناس أقل من الإناث لذلك أباح الله عز وجل التعدد لوجود الفائض، حتى لا يقع الإنسان في الحرام ولكن بشرط العدل وهذا ما هو حاصل وجارٍ في سُنة الله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾[الأحزاب: ٦٢] .

الإسلام جاء ليلغي الرق، لا ليثبت الرق ، فالعتق كان في الجاهلية مصدره الوحيد إرادة السيد العتق، وأبواب الرق مفتوحة للاسترقاق، ولما جاء الإسلام أغلق جميع أبواب الرق في باب واحد هو الحرب بين المسلمين والكفار، وفتح أبواب العتق الكثيرة من إرادة الإنسان، أو كفارة يمين، أو كفارة ظهار، أو كفارة قتل خطأ وغيرها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة: ٢٤٣] .

- **الحدود نوعان:**

نوع لا يُتعدى كما في أوامر الله في الفرائض، والحدود، وعدد الركعات ونحو ذلك كما قال سبحانه : ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾[البقرة:٢٢٩] .

ونوع من الحدود لا يُقرب كما في النواهي، كالنهي عن الخمر والزنا والربا، كما قال سبحانه : ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾[البقرة:١٨٧] .

الدنيا موضوع الدين، والآخرة جزاء الدين، فموضوع الدين : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١]

والآخرة جزاء الدين كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢] .

الفوز هو الظفر بالمحبوب : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] .

والخسران هو الوقوع في المكروه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥]

والفلاح هو الفوز بالمحبوب، والنجاة من المرغوب : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥].

أنواع العذاب في النار :

النار سجن عظيم يعذب فيه الكفار والعصاة ، وأنواع العذاب مختلف فمنها عذاب عظيم، وعذاب مهين، وعذاب اليم، وعذاب شديد، وعذاب كبير، وهذا العذاب يزداد بحسب العمل :﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النحل:٨٨] .

ومن يطيق عذاب النار، فكيف إذا وصفه الله عز وجل بأنه عظيم وكبير ! ! وأليم ومهين وشديد، فكيف بدوامة أبد الآباد؟ !

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء:٥٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢] .

لاستبقاء الحياة أمر الله بكسب الرزق الطيب الحلال، ليعف الإنسان نفسه ، وينفق على أهله، ويتصدق على غيره، ولاستبقاء نوع الإنسانية الطيب أمر الله بالزواج الشرعي المُعلن، والزوجة هبةٌ من الله، جاءت بكلمة أنكحتك ،

وقبلت، فلا تخسرها بكلمة طلقتك: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: ٢١] .

من سنة الله أن كل شيء يتكاثر لابد له من إخصاب في النبات والحيوان فكل أنثى من الحيوان استبقاء للنوع تنادي ليأتي إليها الفحل ليلقحها، فإذا لقحها لم تمكن فحلاً أخرا منها، وينادي الأنثى إذا خرجت البويضة من الرحم ليأتي إليها الفحل ثم يلقحها .

أما النبات فكل نوع فيه ذكر وأنثى، والذكر يلقح الأنثى بواسطة الرياح، أو بواسطة الحشرات كالنحل، أو بواسطة المطر، أو بواسطة الإنسان الذي يضع من هذا على هذا كما يلقح النخل بطلع الذكر الفحل .

وذلك التلقيح في النبات والحيوان غريزيًا قسريًا، وهو سنة الله التي لا تتبدل أما الإنسان فقد قرن الله حفظ النوع بالشهوة، ليأتي النسل الطيب مع قضاء الشهوة بنكاح شرعي صحيح .

وحفظ النوع هو الأصل، ولهذا منع الله قضاء الشهوة من غير استبقاء النوع ، فيحرم إتيان الرجل للرجل، أو إتيان المرأة، للمرأة أو الزنا ؛ لأن الشهوة وقعت في إناء خبيث، فلا ترمى ماءك إلا في إناء لك وحدك، حتى لا ينشأ جيل خبيث، وأمراض خبيثة: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ۚ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

- **حواجب الغيب الثلاثة :**

الماضي كله غائب، والحاضر حجابه المكان، وحجاب المستقبل الزمان فالإنسان لا يعلم الماضي، ولا المستقبل، ولا يعلم من الحاضر إلا ما شاهده منه، والباقي غيبٌ عنه، أما الله عز وجل فهو وحده عالم الغيب

والشهادة :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

وعنده عالم الغيب كله: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

الحكمة: هي وضع الشيء في موضعه، والشيء إذا وُضع في موضعه صار حسنًا محكمًا، فالمؤمن آمن بالله الذي يستحق أن يُعبد، وأطاع من يجب أن يُطاع ، وذكر من يجب أن يُذكر، وشكر من يجب أن يُشكر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

أما وضع العبادة في غير موضعها فهو سفه كالكافر الذي يعبد الأحجار والأشجار والأصنام: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

من رحمة الله عز وجل أن جعل الزوجة مصرفًا للزوج إذا هاجت غرائزه، وهى كذلك، وأخرج منهما النسل الذي يعمر الكون: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل:٧٢] .

المهر ثمن البضع الذي كشفت المرأة عورتها من أجل زوجها: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤] .

• **الميثاق نوعان:**

الأول : ميثاقٌ غليظ، وهو العقد على المرأة في الزواج، فهذا ميثاق غليظ لما يترتب عليه من القيام بالحقوق العظيمة، ومن واجب حفظ النفس والعرض والمال والأولاد وأداء الأمانات: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾[النساء:٢٠ – ٢١] .

الثاني : ميثاق عادى، وهو سائر المواثيق والعهود من بيع وإجارة ونحوهما، فيجب الوفاء به، كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء:٣٤] .

سورة الإخلاص : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: ١-٤] .

هذه السورة العظيمة تسمى سورة التوحيد، وسورة الإيمان، وسورة البراءة، وسورة المعرفة، وسورة المعوذة ، فسورة الإخلاص أخلصت الإله الحق، من الإله الباطل ، والإخلاص سرٌ من أسرار الله، يودعه الله قلب من شاء من خلقه، لا يعلمه مَلكٌ فيكتبه، ولا شيطان فيفسده: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر:٢-٣] .

الأسباب عطاءٌ من الله، تأتى المسببات معها لا بها كما يحصل الولد من النكاح، ففعِل الأسباب ابتلاء، فالأسباب لها قوةٌ تخدع الإنسان، وهذه القوة مخلوقةٌ لله، والمسببات تنشأ معها لا بها ؛ لأن الله هو الفعَّال وحده، وهو الخالق وحده ؛ لأن السبب قد يجدي، وقد لا يجدي، فقد يوجد السبب ولا يأتي المُسبب فقد تشتعل النار ولا تحرق كما أُحرق إبراهيم في النار،

فجعلها الله برد وسلاما على إبراهيم ﷺ: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩] .

وقد يأتي المسبب بدون السبب كطعام مريم : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧] .

فالله له سنه وقدرة، فسنته الجارية يستفيد منها المؤمن والكافر وقدرته مطلقة لا يستفيد منها الا المؤمن، ونحن نفعل الأسباب بجوارحنا ونتوكل على الله بقلوبنا، لأنه هو الفاعل وحده، وكل ما سواه مفعول لا يفعل وحده: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الأنفال: ١٧] .

فالله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال: ٩-١٠] .

فالنصر ينزل من الناصر على أوليائه، كما ينزل المطر على الأرض، فتنبت من كل زوجا بهيج بأمر الله: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج: ٥ – ٧] .

الإخلاص إذا جاء توجه الإنسان في حوائجه إلى من يعبده، وأعرض عن غيره، ولا معبود بحق إلا الله وحده: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

فساد الكون ممتنع ؛ لأن الإله الذي يدبر الكون واحد لا شريك له : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله ﷻ:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

فما شاء الله كان، ومن لم يشأ لا يكون أبدًا، لا رد لقضائه، ولا مُعقب لحكمه .

وإنما يحصل الفساد بين البشر في البر والبحر، بسبب أفعال المشركين والعصاة : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الروم: ٤١]

الضدان أمران لا يجتمعان أبدًا، ولا يرتفعان معًا، مثل الليل والنهار، والساكن والمتحرك، فإذا جاء الليل لا يكون نهار، وإذا جاء النهار لا يكون ليل، فلا يجتمعان أبدًا، ولا يرتفعان معًا، وإذا انتفت الحركة بقي السكون، ولا يرتفعان معًا، فكل إنسان، وكل مخلوق، إما ثابتٌ وإما متحرك .

والنقيضان لا يجتمعان معًا ، لكن قد يرتفعان معًا، مثل الأبيض والأسود قد يرتفعان، ويوجد لون أخر كالأحمر والأزرق ونحو ذلك، فسبحان الخالق العليم الحكيم في خلقه وأمره وتدبيره :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

١٠- الفصل العاشر

ومعرفة وجود الله أمر فطري في القلوب:﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[إبراهيم:١٠] .

فلا يوجد وجود بدون مُوجد، ولا يوجد خلائق بدون خالق ، وإنما وقع الشرك في الإله هل لله شريكٌ في العبادة ؟

فأرسل الله الرُسُل لأمر الناس بعبادة الله الخالق وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾[النحل:٣٦] .

الإيمان اطمئنان القلب إلى قضية ما بحيث لا تظهر مرةٌ أخرى للمناقشة كالإيمان بالله، فمن اطمئن بذلك عبد ربه وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

الفرق بين قوة الله وقوة الخلق، أن قوة الخلق لا تتعدى إلى الضعيف، إنما نُعدي أثارها إلى الضعيف، ولا نجعله قويًا ، لكن الله هو القادر أن يجعل الضعيف قوياً، والغنى فقيرًا، والضال مهتديًا، ويُعدي أثر قوته إلى خلقه : ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ ﴾[الضحى: ٦-٨] .

فالله قدرته مطلقة لا أول لها ولا أخر، ولا بداية لها ولا نهاية، والمخلوق قدرته مقيدة، فهو قادرٌ بأقدار الله له، وقدرة الله مطلقةٌ ثابتة أما قدرة المخلوق فهي فانية محدودة موهوبة مسلوبة، وهكذا في باقي الأسماء والصفات .

الله عز وجل هو الفاعل الحق الذي خلق هذا الكون ودبره، وهو الإله الحق الذي يجب أن نعبده وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس:٣١-٣٢].

التوحيد أن تشهد إلهًا واحدًا لا شريك له ، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، فالله واحد وإن لم يُوحده أحد، ومحمود ولو لم يحمده أحد، وواحد قبل أن يُوحده أحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤] .

فمن قال لا اله إلا الله شهد شهادة الحق، ومن لم يقلها فقد جحد شهادة الحق والله واحد، وحدته أو أشركت به : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] .

كل إنسان يجب عليه أن يعرف الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وكذا يجب أن يعرف عن الله شرعه ويعمل به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

الله غيب، وصل بآياته ومخلوقاته إلى مرتبة الظهور والإشهار، فهو الحق المبين وهو آبين من كل بين:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣] .

والله نور، الله نور السماوات والأرض، وكل نور في العالم فمن آثار نوره .

والنور نرى به الأشياء، والله نور لا يمكن أن نراه في الدنيا ؛ لأن رؤيته نوع من الإحاطة به، والله محيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[طه: ١١٠] .

فالله لا يُدرك، ولو أدركناه لكنا قادرين عليه، فينقلب القادر مقدور عليه ؛ لأن الإدراك نوع من الإحاطة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

والله غيب، وغيبيته هي سر عظمته ؛ لأنه لو كان مشاهدا كان مقدور عليه، فهو غيب بذاته، ظاهرٌ بآياته ومخلوقاته .

من عظمة الحق سبحانه أن يكون غيباً عن الخلق ؛ لأن رؤيته تناقض إلهيته؛ لأنه يكون مقدورًا عليه، ورؤيته سبحانه في الدنيا تبطل حكمة التكليف؛

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

لأن من رآه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، لم يعصه أو يخالف أمره، ولو رأيناه لبطل سر الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ولكن في يوم القيامة نراه ولا نحيط به؛ لأنه محيط بكل محيط : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

الله عز وجل شهد لنفسه بالوحدانية، فهو واحدٌ قبل أن يخلق الموحدين له، وهو واحدٌ وإن لم يوحده أحد ، وشهادة الناس لله بالوحدانية لا تثبتها، وإنما تلتقي معها ؛ لأن شهادة الله لنفسه بالوحدانية شهادة الذات للذات هي الأصل، فقد أشهد الله نفسه على وحدانيته، ثم أشهد من في العالم العلوي وهم ملائكته، ثم أشهد أعظم من في العالم السفلي وهم العلماء فقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨] .

الاسم يدل على الذات، وكل ذاتٍ لا بد لها من صفات، واسم الله يدل على ذات الله، والله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

الله هو الواحد الأحد الصمد:

فالصمد هو الذي لا جوف له، الصمد هو المقصود في الحوائج لكماله، وعظمته ، وقوته ، وغناه، هو المقصود المعبود اختيارًا، وتسخيرًا . فالاختيار في الإنس ، والجن، والاضطرار في المخلوقات المسخرة: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج: ١٨].

هو الصمد الذي ليس كمثله أحدٌ في الصمدية : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤] .

يجب على المسلم كما نظر إلى عطاء الله في الربوبية أن ينظر إلى تكليفه في الألوهية، فيشكر ربه ويعبده : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦] .

فكما خضع الإنسان لربوبيته، فيجب أن يخضع لألوهيته، فيعبده وحده لا شريك له ، ويصدق أخباره ، ويمتثل أوامره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

كل جوارح الإنسان مطيعةٌ له في الخير والشر ؛ لأن الله خلقها مسخرةً له في الدنيا ، ويوم القيامة تشهد أمام ربها بما عملت : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[النور:٢٤] .

وجوارح الإنسان إذا أمرها بطاعة الله أطاعته وحمدته، وإذا أمرها بمعصية الله أطاعه الإنسان ولعنته: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾[الشمس: ١٤-١٥] .

الغيب ما غاب عنك ، والله وحده هو عالم الغيب والشهادة ، وما غاب عنك قد يكون مشهودًا لغيرك ، والله وحده عالم الغيب والشهادة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

من رحمة الله أن اختص وحده بعلم الغيوب في الأحداث والأشخاص ؛ ليظل غيب الخلق مستوراً عن الخلق، لتسير حركة الحياة بلا فضائح تفسد الحياة : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

صفة العلم والحياة للخالق سبحانه ذاتيه ، والصفة في المخلوق موهوبة ، والموهوب قد يُسلب ، ولا يسلبه إلا من وهبه ، وهو الله وحده لا شريك له :﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس: -٨٣] .

المتكبر صفة ذاتية للرب ؛ لأن له صفات الجلال ، والجمال ، والكمال ، ولأنه متكبر عن كل سوءٍ ، ونقص وعيب: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

فلا إله ألا الله، ما أعظم أسماءه وصفاته: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣] .

الله عز وجل هو الحكيم الذي أحكم الأمور ، الذي حكم وحده بالصواب في العقائد، والأخبار ، والأحكام ، والأخلاق : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأنعام: ٦٢] .

من له الحكم وحده يجب أن يعبده وحده: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يوسف:٤٠].

هو الحكيم الذي حكم بالأوامر الكونية ، وحكم بالأوامر الشرعية ، وحكم بالأوامر الجزائية، فله وحده الملك والحكم، والخلق والأمر : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الروم: ٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[آل عمران:١٥٤] .

الله ﷻ رب لجميع الخلق، ولكنه إلهٌ لمن آمن به، فمن آمن بالله في الدنيا ، واتقاه أخذ عطاء ربوبيته وعطاء ألوهيته في الدنيا والآخرة .

ومن كفر بالله عز وجل أخذ عطاء ربوبيته في الدنيا ؛ لأنه لا معطي إلا هو ، ولا خالق إلا هو ، ولا رازق إلا هو، وحرم عطاء ألوهيته في الدنيا والآخرة :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

فالمؤمن يأخذ عطاء الله عز وجل في الدنيا والآخرة، عطاء ربوبيته، وعطاء ألوهيته ، والكافر يأخذ من عطاء ربوبيته في الدنيا ، ويحرم عطاء ألوهيته في الدنيا والآخرة ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[لقمان: ٢٢ – ٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[البقرة: ١٢٦] .

الوجل خوفٍ في فزع يقشعر منه الجلد، ويضطرب منه القلب، وهو روح العبودية لله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

ذِكر الله يأتي بأحوالٍ متعددة، فتارةً إذا رأى العبد ربه بصفات جلاله اضطرب ووجل : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق:٦-٨] .

وتارةً إذا رأى العبد ربه ، وذكر معصيته له، استحى منه، واعتذر إليه فقال : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

وتارةً إذا رأى العبد صفات جمال الله اطمأن إليه ، وطمع في رحمته ، وفرح بطاعته : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

كل أسرةٍ تتعصب لنفسها في الزواج من الأقارب فقط، ينشأ فيهم ضعفٍ عقلي، وضعفٌ بدني، وضعفٌ مناعي، فالأفضل الزواج من الأباعد المؤمنين، لتجتمع الصفات الكريمة من هذا وهذا، فيقوى الولد من الجوانب الثلاث: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾[النساء: ٣] .

من رحمة الله أن إرسال الله إلى خلقه بالدين والشريعة مستمر : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾[النحل:٣٦] .

واكتمل ذلك بإرسال محمدٍ ﷺ رسولا للبشرية كافية إلى يوم القيامة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨] .

الاستطاعة أن يدخل الشيء في طاقتي من قدرةٍ بدنية، أو قدرةٍ مالية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٦].

وقال الله عز وجل:﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[التغابن: ١٦].

الإنسان ضعيف، لأنه مختارٌ في فعل ما يريد، فهو أحيانا يضعف عن الأوامر بسبب الشهوات ، ويضعف عن الصمود أمام الحرام ، وخلق الإنسان ضعيفاً ليتوجه إلى القوي الذي يدله على ما ينفعه، ويعلمه بما يضره :﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

المؤمن الذي آمن بالله يطيع من آمن به، لأنه تأمنه على مصالحه ، وما يسعده في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

إذا أمنت بالله فلا تكسر حكمًا من أحكامه ، ولا تقتحم المعاصي إلتى تسخطه، بل قل سمعنا وأطعنا لأوامر ربنا : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

مال الإنسان يستفيد منه الإنسان بنفسه ، ويفيد به غيره، عن طريق البيع والشراء والإجارة وما شابه ذلك .

فلكل احد أجرته حسب عمله، فإذا لم يكن عمل من الطرف الأخر كالربا، تجمع المال عند الأغنياء ، وتعطلت الأعمال ، وفسدت الحياة ، وجاء الكذب ، وجاءت السرقة ، وجاء الظلم والعدوان لهذا حذرنا الله عز وجل من الربا بحذافيره وأنواعه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[آل عمران:١٣٠-١٣٢] .

الذي يأكل الأموال بالباطل يتمتع بثمرة جهد غيره، وقد أحل الله البيع، وحرم الربا .

أكل الأموال بالباطل أن تأخذها بغير حقها كالربا والسرقة، والكذب والغش، والاختلاس والغصب والانتهاب ونحو ذلك، وهذا يفسد المجتمع، فالمرابي والسارق لا يعمل، والمسروق منه يخاف أن يعمل، فتتعطل حركه الحياة، وتضطرب النفوس، وتفسد الحياة .

فالذي يأكل الأموال بالباطل يتمتع بثمرة جهد غيره ، ويخوف غيره من العمل ، فتتعطل حركة العمل في الحياة، ويفسد غيره، لأن الناس ينظرون إلى ماله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾[النساء: ٢٩] .

من قتل نفسه فقد باد ربه بنفسه، وتعجل الموت ، وقطع الحياة التي أرادها الله له، والتي لا يأخذها إلا واهب الحياة وهو الله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون:٨٠] .

العدوان يكون بحق وبغير حق، فالعدوان بحق كم اعتدى على غيره بحق كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[البقرة:١٩٤] .

فهذا مباح .

أو بغير حق كمن ظلم غيره، والظلم هو أخذ الشيء بغير حق أو منع حق الغير، أو صرف الحق لغير مستحقه أو العدوان عليه بغير حق، فهذا كله محرم.

فعل الله يكون بكن فيكون، وفعل المخلوق يحتاج إلى معالجة ووقت كالبناء والتجارة والصناعة ونحو ذلك .

أما الله عز وجل فيقول للشيء كن فيكون : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس:٨٢-٨٣] .

فساد الإنسان من أين جاء ؟ جاء من توجيه اختياره إلى هوى نفسه، وترك هدى ربه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: ٥٠] .

فمن قدم مراد ربه منه، على شهوة نفسه، اسعد الله في الدنيا والآخرة ومن قدم هوى نفسه، على مراد ربه، شقي في الدنيا والآخرة ، فهو يسعد ويشقى بحسن اختياره، أو حمق اختياره ، فثواب العمل الصالح بالجنة يغري، وشهوات النفس تغري ، والحرب سجال، وهذا سر الابتلاء: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٤ - ١٦] .

غِذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَـوْءِ القُـرْآنِ وَالسَّـنَةِ

الباب الثاني

ويشتمل على الفصول التالية :

١ – الفصل الأول

٢ – الفصل الثاني

٣– الفصل الثالث

٤ – الفصل الرابع

٥ – الفصل الخامس

٦ – الفصل السادس

٧– الفصل السابع

٨– الفصل الثامن

٩ – الفصل التاسع

١٠ – الفصل العاشر

غِذاءُ القُلُوبِ

الباب الثاني

١ - الفصل الأول

قوة المحدث أعظم من قوه الحدث، فالله هو الحي القيوم القادر على كل شيء:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك: ١] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾[الزمر: ٦٧] .

من عبد غير الله فقد ظلم نفسه، وترك ما ينفعه ويسعده، إلى ما لا ينفعه ويضره ولا يدري به : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾[الأحقاف:٥-٦] .

القتل نقض البنية التي فيها الروح وائتلافها، وهو غير الموت ، فالموت أن يموت الإنسان، وجسده سليم ، والموت بيد الله وحده فهو الذي يحيي ويميت وحده لا شريك له ، فالموت سلب الحياة بدون نقض بنيه، والقتل نقض البنية التي يكون فيها الحي، وهذا اجله، وأنت السبب .

ومن هدم البنية فقد اجترأ بقتله على ما أراد الله حياته ، ولهذا كان القتل بغير حق أعظم الذنوب بعد الشرك وعقوبته أشد: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: ٦٨ – ٧٠] .

الدين هو حفظ الجميل لمن كان السبب في وجودك وإمدادك وهديتك وذلك بالإيمان به، وعبادته، وطاعته، وحده لا شريك لها :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢]

من عظمة الله عز وجل إلا نراه، والروح أعظم الأشياء وهى لا ترى، فإذا كنا لا نرى المخلوق، وهو في أجسادنا وبين أيدينا، فكيف نرى الخالق المحيط بكل محيط ؟

قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[طه: ١١٠]

المؤمن الذي يقاتل في سبيل الله يجب أن يموت بثمن يخصه، وهو الجنة ورضوان الله، والثمن الذي يخص غيره، وهو نصر المؤمنين ، ولا يجوز، أن يموت الإنسان بغير ثمن يخصه ويخص الأمة، فلا يجوز أن يقتل نفسه ، ولا يلقى بنفسه إلي التهلكة، فينقص المؤمنين بغير حق، وبغير ثمن، ويتسبب في هزيمتهم : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

الكبائر كل ما يحدث خللاً وفسادًا في الأمة الإسلامية من شرك أو قتل أو زنا أو سحر أو نحو ذلك : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

كل مخلوق له أمر خاص به، فالسماء لها أوامر، والأرض لها أوامر، والنبات له أوامر، والحيوان له أوامر، كل هذه المخلوقات وغيرها تسير على أوامر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

والإنس والجن لهم أوامر من ربهم، فمن سار حسب الأمر الإلهي سعد في الدنيا والآخرة ، ومن خالف الأمر الإلهي شقي في الدنيا والآخرة : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

الله عز وجل أقدر بعض خلقه على السحر، واحتفظ لنفسه بحصول الضرر والنفع، فكل شيء بيد الله عز وجل كما قال الله عن السحرة: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة:١٠٢].

الله عز وجل عليم حكيم خلق الغني والفقير، والقوى والضعيف، ليظهر قدرته في خلق الأغيار ، وليتوقع الغنى إن يلحقه الفقر ، ويتوقع الفقير أن يصيب الغنى ، ويتوقع القوى أن يكون ضعيفاً والضعيف إن يكون قوياً

فيتوجه إلى ربه ليديم النعمة، ويغير الحال من حال إلى حال احسن: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

إذا رأيتَ إنسانًا جائعًا فأعلم أنه جنايةُ من شبع بغير حق، أو منع الزكاة عنه بغير حق .

الصلاة عماد الدين، وفيها إعلان دوام العبودية والولاء لله الواحد الأحد ، ومن تركها فقد تمرد علي إعلان العبوديةِ والولاءِ لله الحق جَلَّ جَلَالُهُ .

ولهذا من رحمة الله بعبادة أن أمرهم بها، وأوجب الجماعةَ لها في كل يومٍ خمس مرات، وأكدها يوم الجمعة ، ليري كل العبيد لله جميع العبادِ لله، قائمون بعباده الله، فيري المخدوم الخادم، والخادم المخدوم، والغني الفقير وهكذا يري كلُ جِنس جِنسٍ غيرهُ .

فالصلاة إعلان العبودية لله من جميع الناس، كبيرهم وصغيرهم، وغَنِيُّهُم وفقيرهم: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

حسبُ الإنسان شرفاً أنهُ عبدٌ لربٍ يحتفي به في كل وقت فرضًا خمس مرات في كل يومٍ وليلة ، ونفلًا في كل وقت، يجده سميعًا قريبًا رحيمًا، ولا يمل الرب حتى يمل العبد .

وفي هذه الصلاة تكبير الكبير، وحمد الله علي النعم، وسؤالُه الحاجات، واستغفاره من الذنوب، وتقديم التحية لله علي نِعَمِهِ التي لا تُعَدّ ولا تُحصي، والصلاة والسلام علي من كان سببًا في الاتصال بة، وهو محمدٌ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج:٦٥] .

الإيمان منهجٌ عظيمٌ إن اتبعناه عشنا في أمن، والإسلام منهجٌ عظيمٌ إن اتبعناه عشنا في سلام، والمعاصي والكبائر تزلزل هذا الأمن والسلام : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

تكفير السيئات إماطةٌ للعقاب، والإحباط إماطةٌ للثواب، فالاستغفار يمحو العقاب، والشرك يحُبِطُ الأعمال وثوابها : ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء:٣١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾[المائدة:٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٥-٦٦] .

الله خلق كل جنس، وجعل كل جِنسٍ نوعين من الذكورِ والإناث، وربط بينهمَ بما يحفظ نوعهما من اِلقاحِ والنِكاح ، فاللقاحُ في النباتِ، والنُكاح في الحيوان والإنسان :﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الذاريات:٤٩] .

من سنةُ الله عز وجل أن خلق الإنسان جِنسًا يشمل الذكورة والأنوثة ، فبينهمَ قَدّرٌ مشترك كجنس من بني آدم، وبينهما اختلافٌ بحسب نوعهما، ولكل

واحدٍ وظيفة، وكل واحدٍ يُكَمِل الآخر ولا يُعارِضُه، وذلك من رحمة الله ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم:٢١] .

الزمن جِنسٌ ينقسم إلي ليلٍ ونهار، ولِكُل زمن وظيفة ، فالنهار مكان الحركةِ والعمل ، والليل مكان الراحةِ والسكون ، وهما متكاملان لا ضدان، لأن حركة الليل في السكون جُعِلَت لتصح حركة النهار في الحركةِ والمعاش: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠] .

السؤال: هو أن تطلب شيئاً جرت به العادة ، كأن تطلب ولدًا .

والتمني:أن تطلب شيئاً لم تجربة العادة كأن تطلب إحياء الميت ونحو ذلك.

الوعظ: هو النصح بالرفق والرقة واللين، في الوقت المناسب، والحال المناسب، وإقبال القلوب لسماع كلام الواعظ ، واختيار الوقت المناسب، والكلام المناسب، بالقدر المناسب للشخص المناسب :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

الرجال قوامون على النساء من الزوجات والبنات، والأمهات والأخوات والعمات والخالات ، والقوامة تحتاج من الرجل إلي جهد وكدح وصبر: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴾[النساء:٣٤] .

والنساء سكنٌ للرجال من الهم والتعب من أجلهن ، فالزوجة والمرآة سكنٌ للرجل : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم:٢١] .

وكل خلافٌ بين الرجل والمرآة ظل بينهما فقط سَهُلَ حَلُّه ، وكل زواجٍ بدأ بطاعة الله تولى الرحمن التوفيق بين الزوجين ، وكل زواج بدأ بمعصية الله تولي الشيطان التفريق بين الزوجين .

الصالح هو القائم على المهمة التي خلقه الله من أجلها ، كقيام الشمس علي الإنارة، وقيام الأرض علي الإنبات، وقيام المؤمن بعباده الله عز وجل .

كل شيءٍ له إدراكٌ، ثم وجدانُ، ثم نزوع، كالوردة الجميلة، رؤيتها إدراك، وشمها وريحها وجدان، وآخذها نزوعٌ واعتداء ، وكل شيءٍ سمح الله فيه بالإدراك والوجدان إلا المرآة الأجنبية، فقفل على الإنسانُ الإدراكُ والوجدانُ والنزوع ؛ لأن الإنسان إن أدرك جمالًا اشتهاه، ثم نزع إليه، فأُمِرَ بغض البصر وأُمِرَت المرأة بالحجاب، وعدم الخلوة ؛ لأن الإنسان إن نزع أفسد فأنتشر الزنا والفواحش وإن لم ينزع تعقد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[الأحزاب:٥٩] .

وقال الله عز وجل:﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾[النور:٣٠- ٣١] .

كل خلافٌ بين الزوجين ظل بينهما فقط سَهُلَ حَلُّه، فإن خرج عنهما إلي غيرهما جاء العناد بينهم، وحصل ما يكرهان، واتسعت دائرة الخلاف، ثم حصل الطلاق .

العبادة هي طاعة العابد لمعبودة في كل حال، في جميع أحواله في بَيتِهِ، وفي بَيتِ الله، وفي سوقِهِ، وفي حضرِهِ وسفرِهِ، وبيعِهِ وشراءِه :﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

أبواب الرق في الجاهلية أكثر من عِشرينَ بَابًا، وليس للخلاصِ منهُ إلا بَابًا واحد هو إرادة السيد العتق لذلك العبد ، أما في الإسلام فقد أغلق جميع أبواب الرق كُلِها إلا بَابًا واحدًا وهو الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار، وشرع للخلاصِ من الرق أبوابًا كثيرة من إرادة الأجر، وكفارة اليمين، وكفارة الظِهَار، وكفارة الإفطارِ في الصيام، وكفارة القتل الخطأ وغيرها: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾[البلد:١١-١٤] .

من تكبر فليس في بالِه الكبير المتكبر بذاته وهو الله سبحانه ، فمن عرف الكبير بذاتِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، وخزائِنِه، ووعدِه ووَعيدِه ومُلكِه وسُلطانِه، لم يتكبر ، وكيف يتكبر الإنسان علي غيره وهو عوره، خرج من عوره، ودخل في عوره، وخرج من عوره، ويري نفسه يموت ويجوع، ويمرض ويخاف ، فكيف يتكبر وهذه صفات النقصِ تحيط به من كُلِ جانب: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[يس: ٧٧]

أما الاختيال فهو حَركةٌ مرئية من الزِهوّ والتبختر ، والفخر حركة مسموعة باللسان تدل على الكِبر : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان:١٨] .

والذي يتكبر هو الذي لا يجد أمام عينه من هو أكبر منه، فإذا جاء من هو أكبر منه تَصاغَر له ، فإذا عرف المتكبر من هو الكبير، ذو الكبرياء بذاته عَظّمَ تصاغُره له فَخَرّ لِعَظمَتُه وسجد بين يديه، وتصاغَرَ لِكبريائِه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الحشر: ٢٢ -٢٤] .

نعيم الدنيا محدودٌ يزول، فهو إما أن تَفقِدَه او تموت و تَترُكَه، أما نعيم الآخرة فهو أبديٍ، و مُطلق غير محدود، و هو معك أبدا، و أنت معه حيٌ أبدًا : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[آل عمران:١٤ -١٥] .

العاقل من البشر يتعامل مع من يعطيه الأجر الأكبر في التجارة مع الخلق ، و كذا المؤمن يتعامل في تجارته مع من يعطيه على العمل القليل الأجر الكثير ، فيعطيه على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة إلي أضعاف كثيرة، إلى ما لاحد له من الأجر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

[الصف:١٠-١٣] .

البخيل إنما يبخل على نفسه بالماديات والحسنات، ويوفر ماله لغيره ويُيَسِر لغيره من الأغنياء الفرصة بالعطاء الذي فتحه الله له، و بخل هو به: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] .

البخيل استعجل شهوات الدنيا الفانية، وَحَرَمَ نفسه الشهوات الدائمة الآجلة : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء:٣٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[الليل: ٤ – ١٠] .

- **سلطان القوة وسلطان الحجة:**

سلطان القوة تخضع له الأجساد، وسلطان الحُجَة تخضع له القلوب، وسلطان القوة يجعلك تفعل على كُرهٍ منك، و سلطان الحجة والبرهان يجعلك تفعل برضًا منك ، وسلطان القوة يقهر القالب، وسلطان الحجة يقهر القلب، والأنبياء معهم سلطان الحجة، و الحكام معهم سلطان القوة : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[الحديد:٢٥] .

- **الفرق بين معصية من النفس أو من الشيطان .**

إن كانت المعصية واحده من فعل محُرَم من زِنَا أو سَرِقَة او شرب الخمر او غير ذلك، فهي من شهوات النفس فإن النفس تحُِبُ الشهوات بلا حدٍ ولا

قيد :﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[يوسف:٥٣] .

وإن كانت المعصية مختلفة كترك واجب، أو فعل محرم، فهي من الشيطان، لأن الشيطان يريدك عاصيًا بأي شكل، فإن وقفت له في هذه، زين لك معصيةً أخري، فاحذره .

فللشيطان خطواتٌ يجر بها الناس إلى معصية الله، و الكفر به، وقد حذرنا الله عز وجل من الشيطان فقال:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾[النور:٢١] .

والشيطان أعظم عدو للإنسان، يسير بالإنسان من المباحات و الشهوات إلى الصغائر، إلى الكبائر، إلى الردة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩] .

و قد آمرنا الله ﷻ بتصديق الأخبار في القرآن و السنة، و امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والشيطان يجر الخلق إلى خلاف ذلك، والله عز وجل أمرنا أن نَدخل في السلم كافة . كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٠٩ ﴾[البقرة:٢٠٨-٢٠٩] .

٢- الفصل الثاني

فقه أوامر التوحيد والأحكام:

الله عز وجل خالق كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء .

الهباءة لا تري إلا بشعاع نورٍ دخل في ظلام كما هو معلوم، ولكن الله يراها، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم :﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾[سبأ:٣] .

وإذا كان النور المخلوق أظهر لك الذرة التي لا تراها، فهل يخفى علي الملك نور السموات والأرض ذرة أو هباءة في ملكه: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج:٧٠] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦١﴾[يونس:٦١]

إذا كانت الأرض، وهي مخلوقة لله، تعطي مليارات المخلوقات في كل لحظة، والحبة الواحدة تعطي سبعمائة حبه بأمر الله فكم يكون حجم عطاء الخالق لمن آمن به في الدنيا، والآخرة ؟

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة:٢٦١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] ..

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٖ ﴿٥٤﴾ ﴾[ص:٥٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر:٢١] .

فقه أوامر التوحيد :

كلام القرآن يقرر التوحيد من أول يوم لا تدرج فيه، كما قال سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون:١-٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤] .

فكلام القرآن عن التوحيد ، والإيمان، من أول يوم لا تدرج فيه، بل من أول يوم الأمر بعباده الله وحده ، وترك عبادة ما سواه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

فقه أوامر الأحكام:

أما في مسائل الأحكام من أوامر ونواهي، فتدرج في تقريرها أو تركها، فالأوامر بالصلاة، والزكاة، والصيام، والمناهي كشرب الخمر، وأكل الربا، ونحو ذلك، فلما امتلأت قلوب الصحابة بالإيمان سارعوا إلى امتثال الأوامر، واجتناب المناهي، فرضي الله عنهم ورضوا عنه .

الجماع هو اللذة والشهوة التي يغيب فيها الإنسان عن خالقه، ولهذا أمر بعدها بغسل جميع البدن الذي تأثر بتلك الشهوة، الحمد لله رب العالمين أن جعل الغسل مزيلا لذلك التعلق .

الشيء المرئي دليله معه، فليس مع العين أين، فالعين ترى الشمس، والقمر ، والسماء، والأرض، والجبال، فليس مع العين أين، وإما المسموع فدليله يؤخذ من صدق قائله، وما قاله الله ورسوله من الحق أعظم مما رأته العين من الأشياء ثبوتًا :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام: ١١٥].

وصدق الله ورسوله، في القديم كان ركب النبوة مستمرًا، لأن المجتمعات بعيدة عن بعضها ، ومعزولة عن بعضها ، والداءات الخلقية منتشرة هنا، وهناك، فبعث الله لكل أمه رسولا في بقعة من الأرض، يعالج داءها، وأمراضها:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[الرعد: ٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ ﴾[إبراهيم:٤] .

وفي علم الله أن هذه الأمة سيفتح لها في العلم، فتقرب المسافات، وتسهل الاتصالات، فوحد الله الرسالة، وجعلها هذه الأمة خلفاء الرسول ﷺ في أمته، فهو آخر رسول، وأمته آخر الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠] .

الإنسان بفطرته وعقله لا ينتظر رسولًا ليدله علي الله، لأن وجود الله مركوزٌ في الفطر : ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ﴾[إبراهيم:١٠] .

إنما ينتظره ليبن له أحكام الله من الأوامر، والنواهي، والثواب، والعقاب، وما يحب الله، وما يكره الله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل: ٤٤] .

لا بد للمسلم أن يعرف الغاية، ثم يعرف السبيل المستقيم الموصل إليها، فالله هو الغاية ، ورضاه هو الغاية ، والدين ، هو السبيل الموصل إليه:﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[التوبة: ٦٢] .

الله ﷻ هو الملك العظيم القادر على كل شيء، يفعل ما يشاء، متى شاء، أما الإنسان فلا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بمشيئة الله ومعونته، لأن كل فعل يحتاج إلى قدرة، و زمن، و سبب، و إرادة وكل ذلك بيد الله وحدة:﴿إِنْ هُوَ

إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير: ٢٧ – ٢٩].

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾[الكهف: ٢٣ -٢٤].

الله عز وجل غفور رحيم : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: ٧٠].

فالله غفور في الماضي، ولا يزال الله غفورًا رحيما في الحال والمستقبل، وهو غفور رحيم قبل أن يخلق من يغفر له ويرحمه :﴿ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

وقال الله ﷻ:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾[البروج:١٣-١٤] .

أرجى أيه في كتاب الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

الافتراء : هو الكذب المتعمد المخالف لوحدانية الفطرة كالشرك والكذب ، فالشرك ظلم عظيم، لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقيها: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

الله عز وجل خالق المكان والزمان ، والزمان سبعه أيام ، فأيام الأسبوع سبعه (**الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس**) هذه كلها أرقام والجمعة يوم اجتماع الناس، و اجتماع المؤمنين، والسبت القطع محل السكون، وتذكير بالعذاب الذي حصل بسبب الاحتيال وذكر الله ﷻ يوم الجمعة ويوم السبت في القرآن دون غيرهما كما قال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾﴾[الجمعة:٩-] .

وقال عز وجل :﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة:٦٥] .

- **حكمة الصلاة:**

الصلاة صله بين العبد وربه، يكبر العبد فيها ربه، ويحمده على نعمه التي لا تعد و لا تحصى، و يسأله من فضله العظيم، ويستغفر من ذنوبه في كل صلاه، ويقدم التحية لخالق السماوات والأرض الذي كل نعمه منه:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣] .

ثم يصلي ويسلم على من كان سببًا في مشروعيه هذه الصلاة على الأمة .

حكمه صلاة الجماعة إعلان العبودية لله من جميع الناس، من الغني والفقير والقوي والضعيف، والكبير والصغير، والرئيس و المرؤوس، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ، فقد يعصي الإنسان ربه ما بينه وبين ربه، لكنه في الجماعة من يراه عظيمًا سجد معه لربه، فالرئيس مع المرؤوس، والغني مع الفقير، سواء في عباده الله الواحد الأحد الذي جميع الخلق محتاجون إليه، وهو الغني عن كل أحد :﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات:١٣] .

من رحمه الله عز وجل أنه يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك، لأن الشرك أكبر جريمة على وجه الأرض ، فهو جل جلاله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك حتى لا تعدد الآلهة، فيكون لكل واحدٍ آله يعبده، فيتفرقوا ويهلكوا، وتتعدد

الشركاء في الأرض، فتفسد الحياة، لأن الشرك ظلم عظيم ، لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقيها: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٢١ – ٢٢] .

التزكية: هي التطهير والنماء، تطهير من الأقذار والنجاسات كالشرك والمعاصي ، و النماء ينمي المال و يزيده ، و الزكاة تطهر المال من الحرام وتنميه بالحلال، فالتطهير يزيل الأقذار التي تمنع النماء، فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[التوبة:١٠٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧ – ١٠] .

تأويل الرؤيا فراسة لا دراسة، وهبةٌ لا اكتساب، يهبها الله لمن شاء من خلقه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣]

المؤمن يزكي نفسه بعبادة الله وحدة لا شريك له، ليصل الناس بمن زكاها :﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى : ١٤-١٥] .

المؤمن يزكي نفسه بالتوحيد والإيمان والتقوى : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

والكافر يزكي نفسه عند من لا يملك التزكية، وليس في يده شيء : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾[النساء:٤٩-٥٠] .

والله ﷻ من على عبده بالتزكية، ونفع التزكية عائد على العبد لا على الرب: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[فاطر:١٨] .

أسباب الحياة في الدنيا قد تعز على الإنسان، ويعجز عنها فتصيبه الكآبة ، فمن رحمه الله أن دعاه للإيمان بالرب الذي يملك الأسباب التي إن فقدها الإنسان انهار : ﴿﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم شأنه:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[يونس:٣١-٣٢].

أعظم مهمات الكتب السماوية ربط المخلوق بالخالق الذي خلقه، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

إذا عزت الأسباب، واستغلقت الأمور، فقلت يا رب فرج الله الكرب، لأن الرب جل جلاله هو الذي يتولى تربيه عباده في حال السراء والضراء، فمن قال يا رب فرج الله كربه، وفتح المنغلق عليه، وجاءت إليه الطمأنينة، لأن القلب التفت إلى مسبب الأسباب حين عجزت الأسباب، وتوكل عليه ولم يلتفت لأحد سواه، فجاءت الطمأنينة، وإجابة الدعاء، واستقبل المصائب والمكارة بثبات:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ

تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

ولهذا من التفت إلى الأسباب، وغفل عن الله، فإنه إذا عزت عليه الأسباب يضيق صدره فيتألم وقد ينتحر، لأنه وقف مع الأسباب، ولم يلتفت إلى من يملك الأسباب ، ولو التفت إلى مسبب الأسباب لقضى حاجته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر :١٣-١٥] .

الطاغوت : هو الذي كلما أطعته في ظلم طغى، وزاد ظلمًا آخر، من شيطان أو إنسان، فالطاغوت كلما أطعته زاد في طغيانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النازعات:٣٤ – ٤١] .

اللعن من الله يكون بالطرد والخزي والهلاك، كما طرد الله إبليس من الجنة، ومن رحمته ، والخزي لمن آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة: ٨٥] .

والهلاك يكون بالتدمير لمن كذب وعصى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[يونس: ١٣].

ليس إعطاء المال لأحد دليل على إكرامه، وليس منعه عنه دليل على الإهانة له، بل أعطى الله هذا ابتلاءً، ومنع هذا ابتلاء، فمن أعطي المال، وبخل به فسوف يحاسب على بخله، ومن حرم المال ، فلو أعطي المال لوقع في البخل وخسر دنياه و أخراه، فيكون المال شرًا عليه، والله بصير بعباده: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾[الفجر: ١٥-٢٠] .

الحسد: لا يصدر إلا من قلب حاقد على قسمة الله، والحسد أن تتمنى زوال النعمة عن الغير، والحاسد معترض على قدر الله وقسمته بين خلقه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف: ٣٢] .

والغبطة : أن تتمنى مثل ما أعطى الله الغير من الخير، وهي جائزة، والوقاية من الحسد أن تقول إذا رأيت نعمه عند أحد ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وكفار مكة واليهود في المدينة لم يؤمنوا حسدًا من عند أنفسهم، وخوفًا على سلطتهم أن تذهب : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤ -٥٥] .

آباء البشرية ثلاثة :

الأب الأول : هو آدم ﷺ.

الأب الثاني : هو نوح ﷺ الذي جعل الله النسل من ذريته .

الأب الثالث : إبراهيم ﷺ الذي جعل الله ذريته هم الباقون ، والله عز وجل أكرم إبراهيم ﷺ بأن جعله أمه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النحل:١٢٠- ١٢٢] .

وجعل الله عز وجل ذرية إبراهيم هم الباقون ، وأكرم فرعه الأول إسحاق – ﷺ بمجيء الأنبياء من ذريته، وأكرم فرعه الثاني إسماعيل ﷺ بأن بعث من نسله النبي الخاتم محمد ﷺ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤ -٥٥] .

الله ﷻ ابتلي الناس بالأوامر الكونية القدرية، وبالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية، فمنهاج الله عز وجل ضد شهوات النفس الحمقاء، إما شهوات النفس العليا فهي تتوافق مع منهج الله، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف:٣٢] .

فالحمقى والسفهاء استعجلوا الشهوات المحرمة، فعذبهم الله بها في الدنيا ، وسيعاقبهم عليها في الآخرة : ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ ﴾[التوبة:٨٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٧] .

فالعقلاء أخذوا الشهوات العليا، وابقوا شهواتهم الكاملة للجنة في الآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾[السجدة:١٧] .

٣- الفصل الثالث

فساد الإنسان جاء بسبب توجبه اختياره إلى هوى نفسه ، وترك هدي ربه:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: ٥٠] .

فمن قدم مراد ربه منه، على شهوة نفسه أسعده الله في الدنيا والآخرة، ومن قدم هوى نفسه على مراد ربه شقي في الدنيا، والآخرة، فهو يسعد ويشقي بحسب حسن اختياره، أو حمق اختياره، فثواب العمل الصالح في الجنة يغرى، وشهوات النفس في الدنيا تغري، وهذا سر الابتلاء فافهم: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

الإنسان في الدنيا يعيش مع النعمة، ولا يرى المنعم، وفي الآخرة يكون مع المنعم، فيتلذذ بالنعمة ، ويرى المنعم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

والإنسان في الدنيا يعيش مع الأسباب ، وفي الآخرة مع مسبب الأسباب في النعيم إن كان مؤمنًا .

والدنيا معبر، والآخرة هي الغاية : ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [الضحى:٤] .

كل وسيلة توصل إلى الغاية فهي محمودة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

الإنسان في الدنيا يفرح، لأنه مع أسباب خالقه، وهو الدين، ويوم القيامة يفرح أكثر إذا وصل إلى خالقه : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[مريم:٨٥-٨٦] .

الغاية من الوجود أن تكون في الدنيا مع أسباب الحق، فتعبد ربك كما يليق بجلاله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

فتسير في الدنيا على منهج الله، وعلى الصراط المستقيم ثم تصل بالموت إلى الحق ، ولكن العاطفة تغلب العقل، فيقع الإنسان في الشهوات ، ومن غلب عقله شهواته أفلح : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[فصلت:٣٠] .

الجلود ، والأعضاء، ليست هي المعذبة، بل هي الموصلة للعذاب للنفس الواعية التي كفرت ، وأشركت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء:٥٦] .

- **دوائر الإدراك ثلاث :**

البصر .. والسمع .. والعقل .

فدائرة الرؤية تكون بالبصر، وهي دائرة عظيمة واسعة ، وأعلى منها حاسة السمع، لأن الإنسان يسمع من كل جهة ، ومن كل أحد، ثم أعلى منها حاسة العقل الذي يملك التخيل والتصور: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا

تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

الأمانة شيء للغير عندك، ولا حجة لأصحابها عندك إلا أمانتك، وصدقك، ووفائك، إن شئت أقررت بها، وإن شئت أنكرتها، وقد أمر الله عز وجل بأداء الأمانات، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

فاللسان أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، والوقت أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، والوقت أمانة، والله عز وجل يأمرنا باستعمال هذه الأمانات وفق شرع الله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

الله عز وجل أعطانا أمانة الاختيار: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

ومن شاء أن يطيع، ومن شاء أن يعصي: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢ -٣] .

فمن أحسن الاختيار، وأدى الأمانة فاز، ومن أساء الاختيار وخان الأمانة خسر: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣].

- **المخلوقات قسمان :**

الأول: مخلوقات مسخرة بأمر الله كالشمس والقمر والسماء والأرض .

الثاني: ومخلوقات مخيرة، وهم الجن والأنس .

فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾[الكهف: ٢٩] .

والمُخير إذا اختار ما يحبه ربه يفوق المسخر، فكل ما سوى الجن والأنس عبادٌ مسخرون يشهدون بوحدانية الله، ويسبحون بحمده فالمُخير إذا اختار ما يحبه ربه يفوق المسخر ؛ لأنه سخر اختياره لاتباع منهج من خيره: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ ﴾[طه:٧٤-٧٥] .

اسم الله عز وجل متضمن وجامع لجميع صفات الجمال والجلال والكمال، من الخلق والقدرة، والعلم والحكمة وغيرها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه:٨] .

فاسم الله يدل على الذات، وعلى جميع الصفات، وما سواه أسماء الله كالعزيز فيدل على الذات، وعلى صفة العزة لله قال الله ﷻ:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾[الحشر: ٢٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[الأعراف:١٨٠] .

الله عز وجل يري آياته لعباده، وسيري الله عباده الآيات في الأفاق والأنفس التي تدل على وجود الله إلي يوم القيامة : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾[فصلت:٥٣] .

فالصحابة أمنوا؛ لأنهم رأوا النبي ﷺ، ورأوا قدرة الله عز وجل، ويفتح الله على الخلق ما يعرفهم بالله من الآيات الكونية التي تتجدد في كل يوم .

التسخير هو طلب المسخِر من المسخَر أن يكون مسخرًا لا خيار له، والتخيير أن يكون مخيرًا إن شاء فعل، وإن شاء ترك ، فكل ما سوى الله من المخلوقات إما مسير وإما مخير، فجميع المخلوقات مسخرةٌ بأمر الله، خاضعة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته ، ومسبحة بحمده وشاهدةٌ بوحدانيته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء:٤٣-٤٤] .

فجميع المخلوقات المسخرة ممتثلة لأمر ربها ، والفساد لا يوجد في المخلوقات المسخرة، إنما الفساد حصل في المخلوقات المخيرة وهم الجن والإنس : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

وكل شيء لا دخل للإنسان فيه مستقيم كالشمس والهواء والنبات وغيرها ، والفساد إنما جاء من المُخير الذي خالف الحق، فمن أراد الفلاح فليكن كالمخلوقات المسخرة، ويلتزم بمنهج من خيره، ويشارك المخلوقات في عبادة ربها:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج: ١٨]

وقال الله عز وجل:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

الحركة الانسيابية لا نشعر بها كحركة الشمس والقمر ، والحركة القفزية نراها كعقارب الساعة في الدقائق والثواني، فالكل يجرى، لكننا ندرك ونرى من يقفز يقفز، بسرعة أما الانسيابي فهو يجرى، لكننا لا ندرك حركته إلا بعد مدة :﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس:٣٧-٤٠] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم قدرته في آياته ومخلوقاته .

الملائكة اختاروا أن يكون عباد مُسخرين فهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:٢٠].

وهم مجبولون على الطاعة كما خبلت الشمس على الإنارة، والإنس والجن اختاروا أن يكونوا مخيرين، وكل منهم عباد الله، الملائكة ، والجن ، والإنس اختاروا: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[فصلت:٣٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٦ – ٢٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء: ١٩-٢٠] .

- **الأجل المسمى :**

هو المدة المحدودة من الزمن أو المسافة المحدودة . فالدنيا لها أجل وكل حي له أجل ، فالنبات له أجل ، والحيوان له أجل ، والإنسان له أجل : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف:٣٤] .

فالكون ومن فيه كله عابد لله وحده:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٤] .

- **المخلوقات قسمان :**

ثابت .. ومتحرك .

فالثابت كالجبل، والمتحرك كالإنسان، والنبات، والحيوان .

والجري إما أن يكون قفزًا نراه، أو يكون جريًا انسيابيًا لا نكاد نشعر به وهو لون من السرعة كمد الظل، ونمو النبات ، والحيوان ، والإنسان شيئًا فشيئًا: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس: ٣٧ – ٤٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الفرقان:٤٥] .

الشمس لها بروجٌ تخرج منها ينشأ عنها الحر، والبرد، والصيف، والشتاء . ولها ثلاثمائة وستون مشرقًا، وثلاثمائة وستون مغربًا :﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس:٣٨-٤٠] .

التدبر: أن تنظر إلى دُبر الأشياء ؛ فتدبر القرآن أن تعلم ماذا يرد الله منك ؟ وماذا تريد منه ؟ وماذا بعد الدنيا ؟ وماذا بعد العمل الصالح ؟ وماذا بعد العمل السيئ ؟

قال الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

والتدبر : هو الذي يحمي من حماقة التفكر ؛ فالنوم الكثير فيه لذة ؛ لكنه تعطيلٌ لمصالح اليقظة من أمور الدين والدنيا، والتنعم بالدنيا يشغل الإنسان عن نعيم الآخرة : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد:٢٠] .

لهذا يجب أن نسعى إلى ما يبقى ، وإلى ما فيه النعيم واللذة الأبدية : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

الأرض محدودة من كل جهة ؛ لأنك تسير من مكان، حتى تصل إلى ما بدأت منه، وهي مبسوطة لمعاش الخلق : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾[نوح:١٩ -٢٠] .

كل قطاعٍ من الأرض فيه خيراتٍ مساوية للقطاعات الأخرى من السهول ، والجبال ، والبحار ، والأنهار ، والثمرات ، والمعادن: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الرعد: ٤] .

ومن سنة الله أن الأرض مفتوحة كلها للأنام، فالأرض كل الأرض، للأنام كل الأنام ، ومن حد الأرض بدول جاء الشقاق في الأنام : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾[الرحمن:١٠] .

وكل ما في الأرض لكل الخلق:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٩]

البحار مالحة ، والأنهار عذبة ، والأنهار تجري، وتصب في البحار التي هي أخفض منها، ليأخذ الناس من ماء النهر ما يحتاجون إليه للشرب والسقي ، وسائر الحاجات ، والباقي يصب في البحر : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الرعد:٢-٣] .

الأرض قطع متجاورات، وهي كالبشر قبائل ، وشعوبٌ ، وأمم .

قطعٌ خصبة، وقطعٌ رخوة، وقطعٌ رخوة، وقطعً شديدة، وقطعٌ سوداء، وقطعٌ سوداء، وقطعٌ حمراء، وقطعٌ صفراء، وقطعٌ طينية، وقطعٌ رملية، وقطعٌ طيبة، وقطعٌ سبخة، وقطعٌ حُلوة، وقطعٌ مرة: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾[الرعد: ٤] .

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، وابداعه، وتصويره: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾[لقمان: ١١] .

الله عز وجل خلق النباتات والثمار أصنافًا، وأنواعًا، وفضل بعضها على بعض في الأُكل؛ فمنها ما يؤكل كله كالقمح، والعنب، ومنها ما يؤكل ما في داخله كالرمان، والبرتقال، ومنها ما يؤكل ظاهره كالمانجو، والتمر، وغيرها من النعم التي خلقها الله : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾[الرعد: ٤] .

الله ﷻ هو الخلَّاق العليم الذي خلق المكان والزمان .

فالمكان كالسموات والأرض وهما ظرفٌ للأشياء ، والزمان هو الليل والنهار .

وهما ظرفٌ للأعمال ، وكل حدث لا بد له من مكانٍ وزمان، فالسماوات والأرض هي المكان ، والزمان هو الليل والنهار ، والذي خلق ذلك كله الله ﷻ، ليبين للخلق كمال قدرته ، وكمال علمه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق:١٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾[آل عمران:١٩٠] .

والرب الذي هذا ملكه، وهذه قدرته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

الإيمان القهري يثبت القدرة، فجميع مخلوقات الله في العالم العلوي والعالم السفلي شاهدةٌ بوحدانية الله ، ومسبحةٌ بحمده ، وخاضعةٌ لأمره ، ومستجيبةٌ لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إرادته:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾[الحج: ١٨] .

والإيمان الاختياري يثبت المحبة لله ﷻ ، والإيمان الاختياري هو ما فطر الله ﷻ عليه الجن والإنس: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم:٣٠] .

فمن الناس من يأتي إلى الله اختيارًا لطاعته ، ومنهم من يفر من طاعته .

فمن استكبر على أوامر الله ، وتمرد على الله فيما جعل له فيه الاختيار من الإيمان أو الكفر، أو الطاعة أو المعصية فليتمرد على الله فما لا اختيار له فيه من الخلق ، والموت ، والمرض ولن يستطيع :﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الزمر:٦٢-٦٣] .

فإذا أمنت بالله ربًا خلقك ورزقك، فآمن بالله إلهًا يأمرك وينهاك لمصلحتك ، وإسعادك في الدنيا والآخرة ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات:١٧] .

قولك أيها العبد لا إله إلا الله لا يسند عرش الله أن يهتز، فالله لا إله إلا هو قلتها أو لم تقلها ، ولا إله إلا هو قبل أن يخلق الخلق الذين يوحدونه ؛ لأنه بصفات الكمال ، والجلال ، والجمال خلق كونه العظيم فليس هو بحاجةٍ إلى أحد بل الخلق كلهم محتجون إليه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

هو سبحانه الغني الذي له كل شيء: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان: ٢٦] .

النفس البشرية يجب أن تحرص على منفعة روحها، فإذا لم تنفع نفسها في زمنٍ ينقضي فقد خسرت، لأنها منعت نفسها من خيرٍ سيأتي : ﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾[الزمر:١٥] .

خسران الدنيا والعمر، وخسران الدنيا والآخرة ، وخسران النفس والأهل : ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾[الزمر:١٥] .

فما أضل الكفار وما أخسرهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[الكهف: ١٠٣-١٠٥] .

الله يريد من خلقه أن يتخلقوا بأحسن الأخلاق مع خلق الله، فلله قدرة تستعمل بحكمة، فخذ من قدرة الله، واستعملها بحكمة، والله عليم فخذ منه العلم، واستعمله بحكمة، ولله رحمة، فاستعملها بحكمة، فالمواقف تختلف، للرحمة مجال، وللشدة مجال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

فاسأل ربك الحكيم أن يؤتيك الحكمة:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

صلاح الحياة أن تمتثل أمر الله فيما أمر به ، وتجتنب نهي الله فيما نهى عنه ، وفساد الحياة بعكس ذلك : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فما أمر الله به نفعله ، وما نهى الله عنه نجتنبه ، وما لم يرد فيه أمر ولا نهي فهو المباح وهو الأكثر، فإن شئت فخذه، وإن شئت فاتركه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٢ – ٣٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة:٢٩] .

آفة الفساد في الكون أخذ العلماء سلطةٍ من باطن سلطة الله، فيشرعون ما شاءوا ، ويأمرون بما شاءوا، وينهون عما شاءوا، فإذا جاء الحق من الله

عارضوه ؛ لأنه يسلبهم سلطة العزة، والمكانة ، والتشريع، بين أقوامهم كما حصل من أهل الكتاب :﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[البقرة:١٠١-١٠٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[البقرة:٨٩] .

للكون أسرار تولد كما يولد الناس، وكما يولد النبات : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[النور:٤٤] .

فسبحان الرب العظيم الذي يقلب الأحوال على الخلق كما يقلب الليل والنهار على الأرض .

- **الأمور قسمان :**

أمورٌ تدخل فيها الأهواء، فالله حكمها بـ افعل كذا، ولا تفعل كذا، وهي الشريعة .

وأمورٌ لا تدخل فيها الأهواء، فالله تركها للناس ؛ لأنهم سيتفقون عليها ؛ لأنها ثبتت بالتجربة كقوانين الكهرباء ، والهاتف ، واللقاح، ووسائل المواصلات ونحو ذلك من الأمور التي يتفق عليها الناس لظهور دلائلها : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت: ٥٣] .

٤ - الفصل الرابع

كل شيءٍ فاضلٌ ومفضول، فهو فاضلٌ في وقت طلبه، وهو مفضولٌ عند عدم الحاجة إليه من الثمار، والأشياء، والبشر، أما الدين فهو فاضل أبداً، لأنه يسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

العجب : هو إبداء الدهشة من شيءٍ لا تعرف سببه، فالرسول ﷺ تعجب من كفار قريش حيثُ كانوا في الجاهلية يسمونه الأمين، ثم لما جاءهم بالدين الحق كذبوه وقالوا: ساحرٌ كذاب: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾[ص:٤-٧] .

وعجب كفار مكة أن قالوا كيف يعيدنا الله بعد الموت، أوليس الذي بدأ خلقهم قادرٌ على أن يعيدهم؟: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾[الرعد: ٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس:٧٧-٨٢] .

عطاء الربوبية تشريف وإنعام، وعطاء الألوهية تكليف وتشريف، والفضل لله وحده في هذا وهذا ، وكلٌ منهما نعمةٌ يجب شكر الله عليها .

عطاء الربوبية بالخلق والإيجاد ، والإنعام والإمداد والهداية والإسعاد، وعطاء الألوهية بالتكليف ، والتشريف بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧] .

الاستعجال : أن تطلب الشيء قبل زمنه، فهو تقصير الزمن عن الغاية، فكل حاجةٍ لها ميلاد ، وكل مخلوق له ميلاد ، وكل فعلٍ له ميلاد، فالكل تحت تقدير الله ﷻ فلا تستعجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩-٥٠] .

وكل شيء سيأتي في وقته المقدر له: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾[النحل:١] .

إذا صح العقل استعجل الحسنة قبل السيئة، وعمل بالطاعات، واجتنب المعاصي، وإذا فسد العقل استعجل السيئة قبل الحسنة، فعمل بالمعاصي، وترك الطاعات : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد :٦] .

ومن فسد يقينه فسد قوله وعمله:﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[العنكبوت:٥٤] .

جميع الأمم المكذبة للرسل سابقًا أخذها الله بعذاب الاستئصال كقوم نوحٍ وهودٍ وعادٍ وثمود وغيرها ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ

﴿ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

أما هذه الأمة فهي يمسها عذاب، ويسلط الله بعضهم على بعض، لكن بدون استئصال ؛ لأنها آخر الأمم تعبد الله، وتدعو إلى الله إلى يوم القيامة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فهذه الأمة خير الناس للناس، تخرج الناس بإذن الله من أهوائهم إلى هدى ربهم، فيفلحون في الدنيا والآخرة .

الآيات في الآفاق والنفس دليلٌ ظاهرٌ على وجود الله، وهي متحركةٌ وساكنة .

فالمتحرك يدل على عظمة الخالق وقدرته ورحمته، وكمال علمه وحكمته فالشمس تشرق في الصباح، وتغيب في المساء؛ لتذكر الناس بعظمة الخالق ورحمته وقدرته ، وتعاقب الليل والنهار يلفتنا إلى قدرة الخالق في التحريك والتسكين، والإبداء والإعادة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٠] .

وأنواع الزروع التي تسقى بماءٍ واحد تذكرنا بالمبدأ والمعاد .

ونزول المطر من السماء يذكرنا بألوهية من أنزله، فكل شيءٍ في الكون متحرك، يذكرنا بربنا إذا نسينا ، ويدلنا أن لهذا الكون خالقًا قادرًا عليمًا حكيمًا :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

الحمد لله أن وضع في نفوسنا إيمانًا فطريًا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم أيده بإيمانٍ كسبي عقلي، وذلك بالنظر في آياته الكونية، والتدبر لآياته القرآنية: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾[النساء:٨٢].

كل شيءٍ في هذا في الكون نعمة من الله، وهو يقتضي الحمد من الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان، ولكن الإنسان الغافل يمدح الموجود، وينسي الموجد الذي خلقه ليذكرنا به، فنؤمن به ونعبده : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق:١٢] .

الدين الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، دينٌ يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، ويستوجب منا الحمد والشكر لله رب العالمين؛ لأنه بيَّن فيه لنا طريق الخير، ورغبنا فيه، ويسره لنا، وأعاننا عليه، وأثابنا عليه ، وبيَّن لنا طريق الشر، وحذرنا منه، وكرهه إلينا: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ ﴾[الحجرات: ٧ – ٨] .

والرسل بينوا للناس أن خالق هذا الكون هو الله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه ، وبينوا ماذا يريد الله منا ؟ وكيف نعبده ؟ وبماذا نعبده ؟

قال الله تعالى:﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾[النحل:٨٩] .

الله عليمٌ حكيمٌ، وبابه مفتوحٌ للعطاء، يعطيك ما تريده إن كان خيرًا لك، ويمنع عنك ما تريده إن كان شرًا لك، فهو العليم بكل شيء، وهو المحمود على عطائه، والمحمود على منعه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء: ٣٠] .

والله سبحانه يعلم ما في نفسك، وما يصلحك؛ ولذلك فإنه يعطيك دون أن تسأل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج:٦٥] .

الحمد لله كلمة عظيمة، تمر على العقل الذي عرف مقدار النعم، ثم بعد ذلك تستقر في القلب، فينفعل بها، ثم تنطلق إلى اللسان ذكرًا، وحمدًا، وتمجيدًا ، وثناءً على المنعم جَلَّ جَلَالُهُ، وتفيض منها العين دمعًا: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩] .

وتتحرك بها الجوارح ركوعًا وسجودًا : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

فالدين كله شكر للرب العظيم: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[سبأ: ١٣] .

فمن عرف الجميل الكريم، عرف أنه يستحق الحمد والشكر، ثم ترجم الشكر له بالثناء عليه بقلبه ولسانه وجوارحه؛ ليرضيه : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة:٦٢] .

ثم حدث الناس عن جميله وكرمه وإحسانه؛ ليسارعوا إليه، ويستفيدوا من خزائنه، ويحمدوه ويشكروه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وبهذا تتسع دائر الحمد لله، ودائرة المؤمنين بالله وهكذا : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

وبهذا الحمد، والشكر، والتعظيم، والإجلال، تزيد النعم، ويظل الحمد دائمًا ، وتظل النعمة دائمة : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

كل حركةٍ للإنسان في الحياة، تستوجب منا الحمد، تستوجب منا الحمد لله؛ لأنه الذي خلقنا، ومنه أقواتنا، وهو الذي هدانا، وهو الذي يعيينا؛ ولهذا لابد أن يكون الإنسان حامدًا لربه دائمًا، بل يحمده على المكروه كما يحمده على المحمود: ﴿ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس:١٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف: ١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾[الأنعام:١] .

فكل ما يصيبنا نصبر عليه، لننال من الله الثواب عليه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١] .

الله عز وجل هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

فالله عز وجل عالم الغيب والشهادة، مكانًا، وزمانًا، وحالًا، وقدرًا، وحجمًا، ونوعًا، وحياةً، وموتًا : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

هو سبحانه علام الغيوب ، عالم غيب الماضي، والحاضر، والمستقبل : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة:٦-٧] .

الله كبير وكل ما سواه صغير ، والله غني وكل ما سواه فقير، والله قوي وكل ما سواه ضعيف، والله قادر وكل ما سواه عاجز، والله أكبر حين يخرجك من عمل كبير إلى ما هو أكبر منه من الأعمال كالصلوات الخمس والصوم والحج.

الله عز وجل هو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وخلق فيه من الآيات ما هو عظيمٌ وعجيب، فالأرحام التي خلقها الله في بطون الأمهات، غيضها أن ينزل الولد ناقص يدٍ، أو رجلٍ، أو عينٍ، أو مدة بأن ينزل قبل ستة أشهر، وقبل تسعة أشهر، وتزيد الأرحام بأن يكون الجنين له رأسان، أو أصابع زائدة، أو يتأخر في النزول في سنة أو سنتين، فالأرحام إما أن تزيد إما في الكمال الجسماني، أو العددي، أو العضوي، أو في المدة .

أو تنقص في الكمال الجسماني، أو العددي، أو العضوي، أو المدة فالله وحده يعلم كل ذلك: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[الرعد: ٨-٩] .

فالله يعلم ما في الأرحام من ذكرٍ أو أنثى، من طويلٍ أو قصير، من أبيضٍ أو أسود ، أو أسمر، من ذكيٍ أو غبي، من عاقلٍ أو مجنون، فالله يعلم كل ذلك قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن ينزل المني من أبيه، وقبل أن يبين خلقه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤] .

والملائكة المعقبات للإنسان في صالحه، فهم يتعاقبون عليه في الليل والنهار، ويتعقبون أفعاله كتابة حسناتٍ أو سيئات، فالله احتفى بهذا الإنسان بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وبمعقباتٍ يحفظونه من أمر الله، وأعد له ما يحتاجه في خلافته في هذه الأرض، والمعقبات تحفظه من الأشياء التي لا يحترس منها من الشرور، وهذا الحفظ من أمر الله عنايةً بهذا الخليفة: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد: ١١] .

فالمعقبات تحفظ الإنسان بأمر الله لها بالحفاظة له، وكل مخلوق له لغة يتفاهم بها مع جنسه ، ويسبح بها بحمد ربه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج:١٨] .

فكل مخلوقة تسبح بحمده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[النور:٤١-٤٢] .

إذا مات العبد الصالح بكى عليه موضعان :

مكان مصلاه في الأرض .. ومكان صعود عمله في السماء، كما قال الله عن الكفار: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الدخان:٢٩] .

فدل ذلك على أن المؤمن يبكي عليه مكان صلاته في الأرض، ومكان صعود عمله في السماء .

- **الدعاء نوع من الطلب والطلب ثلاثة أنواع :**

الأول : دعاء .

الثاني : التماس .

الثالث : أمر .

فان كان الطلب من الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء كأن أقول رب اغفرلى وارحمني واهداني .

وإن كان الطلب من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر، كقوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٢١]

وإن كان الطلب من مثله فهو التماس كما أقول لصديقي قم بكذا أو افعل كذا.

السجود لله أعظم أحوال الخضوع لله عز وجل؛ لأنه وضع للأعلى وهو الرأس في موقع الأدنى وهى الأرجل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾﴾[الرعد: ١٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النحل:٤٩-٥٠] .

رحمة الله من صفات الله التي لا تنفك عنه، فرحمة الله لا أول لها ولا أخر، ولا بداية لها ولا نهاية والجنة باقية بإبقاء الله لها والدنيا باقية بإبقاء الله لها، وأنت باق بإبقاء الله لك : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[الرعد:٣٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٤٩-٥٠] .

الصبر حبس النفس عن أن تذهب بها المكارة عن استقامتها لله عز وجل.

والصبر على المكارة نوعان :

أحدهما: صبر على ما يجري عليّ من مكروه بسبب فعلي : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى:٣٠] .

الثاني: صبر على مكروه وقع عليّ بغير اختياري، فهذا أصبر وأعلم إن مجريه على ارحم، من نفسي وهو الله : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾[الرعد: ٢٢] .

والصبر على هذا النوع أنواع :

الأول: صبرٌ على النفس بتحمل مشاق التكليف، وهذا صبر الذات على الذات : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف:٩٠] .

الثاني: صبرًا على الم جاء بسبب غيري سواء كان من الله أو من غيره : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان:١٧] .

هذا من الله، أما من الغير فقال سبحانه: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى:٤٣] .

وهذا يحتاج إلى صبر أشد .

والصبر على أذى الناس له ثلاث حالات مرتبه :

الأول : كظم الغيظ .

الثاني : العفو عن من أساء إليه .

الثالث : الإحسان إليه، وهذه أعلاها كما قال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

فهذه ثلاث درجات :

كظم الغيظ .. والعفو عن الإساءة.. والإحسان إلى من أساء إليه .

فينظر العبد إلى من أساء إليه أنه اعتدى على حق الله فيك، فجعل الله في صفي : ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال:٤٦] .

فنحسن إلى من جعل الله عز وجل في صفنا: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[المعارج: ٥] .

٥- الفصل الخامس

الذي ينال أجر الصبر هو من جاء بأنواع الصبر الثلاثة:

الأول: الصبر على طاعة الله .

الثاني: الصبر عن معصية الله .

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة .

والصبر المحمود هو الصبر ابتغاء وجه الله، لأن من صبر على المشقة والألم ابتغاء وجه الله يعلم إن له حكمه فيمن أصابه به، فيحمد ربه على ما أصابه به من جميع قضائه وقدره راضياً بحكمه، لكمال يقينه على ربه :﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠] .

كل ما يصيب المؤمن خير له في الدنيا والآخرة:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١]

فما أعظم ثواب الصابرين: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠] .

درء السيئات بالحسنات أنواع :

أعظمها دفع سيئة الشرك بالتوحيد، ودفع سيئة الكفر بالإيمان، ودفع سيئة الذنب بالتوبة، ودفع سيئة المنكر بالمعروف، وإتباع السيئة بالحسنة تمحها، فان الحسنات يذهبن السيئات:﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود:١١٤] .

أحسن المحاسن الاستقامة على الدين، والدعوة إلى الدين: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت: ٣٣ – ٣٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت:٣٤-٣٥] .

يجب على المسلمين إن يبادروا للاستفادة من عطاء ربوبية الله من ماء وهواء، وشمس وارض، وجماد ونبات، ليستغنوا عن غيرهم بما أكرمهم به ربهم :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[الجمعة: ٩ – ١٠] .

هذه الدنيا ليست غاية، بل الغاية الكبرى الجنة ورضوان الله عز وجل، وكل ما سواها دنيا، والدنيا جعلها الله وسيله إلى الآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨] .

فنأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، ونعطي للدين بقدر الطاقة: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص: ٧٧] .

فالدنيا دار الإيمان والعمل، والآخرة دار الثواب والعقاب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

الله يحب أن تؤمن، والرسول يحب أن تؤمن، والملائكة يحبون أن تؤمن والمؤمنون يحبون أن تؤمن بالله عز وجل، وكل شيء يحب أن تؤمن فلم لا تؤمن، لتأمن في الدنيا والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ ﴾[المائدة:٩] .

الوعاء القلبي كالوعاء البدني، لا يقبل أن يكون فيه جرمان أبدا ، فالأقوى يطرد الأدنى، فالحديد والماء في قدر، فالحديد يطرد الماء بقدر حجمه .

فكذلك التوحيد يطرد الشرك بقدر قوته، والإيمان يطرد الكفر بقدر قوته، والحق يطرد الباطل بقدر قوته:﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء:٨١] .

العاقل من الناس لديه عقل يميز به بين البدائل، ولهذا يحاسب العبد على أفعاله من الله، ومن الناس، أما المجنون فهو مسلوب العقل الذي يميز به بين البدائل، ولهذا لا يحاسب من الله، لأنه مرفوع عنه القلم، ولا من الناس، لأنه فاقد العقل، لكنه يضمن ما اتلف للناس .

وحسن الخلق ثمرة العلم، والنبي ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . أخرجه البخاري [1] .

الوعد تبشير بشيء محبوب لم يأتِ زمنه، والله إذا وعد فإنه لا يخلف الميعاد : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٢٧٣).

وقال الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾[آل عمران:٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

إما البشر فهم متفاوتون في أداء الأمانة، والوفاء بالوعد، فمنهم من يفي بما وعد كالمؤمنين الذين آمنوا بالله وأدوا الأمانة، ومنهم من لا يفي بما وعد، وهم الكفار الذين أشركوا بالله وعبدوا غير الله:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

فالبشر متفاوتون، منهم من يفي بما وعد، ومنهم من يموت قبل أن يفي بوعده ، ومنهم من يذهب ماله قبل أن يفي بوعده، ومنهم من يموت قبل إن يأخذ من الموعود منه : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾[آل عمران:٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الروم:٦] .

الله عز وجل طلب من عباه الذكر بغير عدد؛ لأن نعمه بغير عدد، فكما ملأ الله الكون بنعمه، فيجب على العباد إن يملؤوا الكون بذكره، وبحمده وشكره ، وذكرك لله نعمه منه عليك:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٣] .

لا إله إلا الله حياة قلبٍ بالتوحيد، وحياة عقل بالتفكير والتدبر، وحياه نفس بالرضا، ولغة حركةٍ بالعمل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

الله عز وجل هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر، العالم المقهور يوحده ، والعالم المغمور يسبحه، والعالم المختار يذكره، فالعالم المقهور يوحده:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾[الزخرف:٨٤] .

والعالم المغمور يسبحه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٤] .

والعالم المختار يذكره : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

الله عز وجل هو الواحد الأحد الصمد، المقصود بالحوائج، الملك الحق المتصرف في ملكه كما يشاء، الكريم الذي يعطى من الثواب أضعاف العمل: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

هو السلام الذي سلم من العيوب والنقائص والآفات، الذي ينشر السلام على خلقه ، المهيمن الذي سيطر على كل أحد بكمال قدرته، المصور الذي أعطى لكل مخلوق صورة خاصة به، السميع الذي يسمع كل شيء، البصير الذي يبصر كل شيء، الجميل الذي جمع الكمالات كلها ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، الحكيم الذي ترجع إليه الأمور والإحكام، العادل الذي ليس في

ملكه خلل، الواسع الذي وسع كرسيه السموات والأرض، الشهيد العليم البصير بالظواهر والبواطن : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ -٢٤] .

- **أسماء الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :**

الأول : ما يدل على الذات، الجامع لجميع الصفات، وهو اسم الله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

الثاني : ما يدل على صفات الله، وهو بقيه أسماء الله الحسنى، فكل حركه الكون تتجلى فيها أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى، لأنها تحتاج إلي خلق والى تدبير ، وإلى قوة ، وإلى علم ، وإلى قدرة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى، وأسماء الله عز وجل نشتق منها أفعال، فالعزيز يعز، والخالق يخلق، والحي يحيي، وأفعال الله لا نشتق منها أسماء، فليس كل فعل يشتق منه أسماء، فلا نقول لله عز وجل الماكر، وان كان يمكر، ولا نقول خادع، وان كان يخدع من خادعه .

صفات الله عز وجل مطلقة في ذاته، نسبيةٌ في خلقه، فالله عليم بكل شيء، والمخلوق يعلم شيئًا من كل شيء، وعلم الخالق ليس له حد، وليس له بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، وعلم المخلوق محدود موهوبٌ من الله

عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠] .

والله عز وجل يحب أسماءه، ويحب من اتصف بها على شاكلة العبودية، فالله شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، محسن يحب المحسنين، ويحب المتقين ، ويحب الصابرين، ويحب المتوكلين، ويحب المؤمنين .

الله ﷻ هو القادر على كل شيء، يمحو ما يشاء ويثبت، يمحو رسالة برسالة، ويمحو المعاصي بالتوبة، ويمحوا من الأحكام ويثبت، وعنده أم الكتاب: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[الرعد: ٣٩]

الدعوة الى الله أداء حقٍ لمن جاء بعدي، كما أداه إليّ من جاء قبلي: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨] .

محل الإحساس بالألم في الجلد، وما بعده لا ألم فيه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء:٥٦] .

كل حدثٍ له ظرف مكان، وظرف زمان، وظروف الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، والليل والنهار، وظروف المكان السموات والأرض .

وأشرف ما في العالم العلوي هم الملائكة ، وأشرف ما في العالم السفلى هم المؤمنون : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

- **الموجودات ثلاثة أقسام :**

الأول : موجودات مقهورة، وهم كل ما سوى الجن والإنس من المخلوقات .

الثاني : موجودات مغمورة، وهم كل ما غاب عنا من عالم الغيب .

الثالث : موجودات مختارة، وهم الإنس والجن .

وكلها تسبح بحمد من أوجدها : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾ [الجمعة: ١]

كل أمر غيبي دليل وجوده أن تسمعه ممن تثق به فتصدق به كعالم الملائكة، وعالم الجن، والجنة، والنار، فنؤمن به، لأن الله اخبرنا به: ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ [البقرة:١-٥] .

كل إنسان له روح يكون بها حي حياة بدنية، وهذه عامه في الإنسان والحيوان، وبها يحصل الحس والحركة.

أما الروح الأخرى فهي الروح التي يجيء بها منهج الله فتحمل الحق الذي يسعد به الإنسان في الدنيا والآخرة.

فالروح الأولى: يحس بها الحس والحركة وهى إلى فناء، فالجنين إذا كان في بطن أمه وتم له أربع أشهر يؤمر ملك فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر بأربع كلمات، رزقه ،وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد .

إما الروح الثانية: فهي التي تحمل الحق، وتضمن للإنسان حياة لا يزول نعيمها، ولا يزول المتمتع بها : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣] .

في الدنيا الإنسان يملك الأسباب التي يفعل بها ما شاء، ولكن في الآخرة تنتهي الأسباب، ويبقى الخلق مع مسبب الأسباب : ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ﴾[غافر:١٦] .

كل أفعال العباد بيد الله وحده ،فمن وجه العبادة وفقا لأمر الله كان من عباده المهتدين: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

ومن وجهها في معصية الله فلن يخرج من كونه من عبيد الله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ ﴾[مريم:٩٣-٩٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾[فصلت:٤٦] .

العالم الرباني هو من عرف ربه بآياته ومخلوقاته، وعرف أسرار الله في خلقه، وعرف أسرار الله في أحكامه وعرف أحكام ربه القدرية والشرعية والجزائية ، فهذا هو العالم الرباني الذي يخشى الله ، ويتقيه : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾[فاطر: ٢٨] .

والله عز وجل رحيمٌ كريم يأمرنا بالزكاة والصدقات لأنه يعلم إن الإنسان حريص على ما ينفعه فأمره بالأنفاق لينمي ماله ويضاعف حسناته، ويكفر سيئاته .

والإنفاق في سبيل الله يزيد المال ولا ينقصه ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ ﴾[البقرة:٢٧٦] .

والأرض المخلوقة تعطيها حبه، فتعطيك بأذن الله سبعمائة حبه، فكم يكون عطاء من خلقها إذا أطعته ؟

قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

والعقل خلقه الله عز وجل في الإنسان ليعقل الإنسان عن ما يشينه وما يضره من الأقوال والأفعال والأخلاق، ويعقل فكره إن يفكر فيما يحبه الله ولا يرضاه ، ويعقل الجوارح إن تفعل ما يخالف شرع الله : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

- **ومقومات حياه الإنسان ثلاثة :**

الأول : الهواء .

الثاني : الماء .

الثالث : الطعام .

فكلما اشتدت الحاجة إلى شيء جعله الله في كل مكان .

فالهواء يجده الإنسان أينما كان وحيثما كان ، والماء كذلك يجده في كل مكان لكنه اقل من الهواء ، والطعام يجده ولكنه اقل من الماء : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي**

خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

والله ﷻ خلق آدم ﷺ على صورته كامل الأعضاء والحواس، خلقه من تراب، وخلق نسله من ماء مهين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المرسلات:٢٠-٢٣] .

جميع المخلوقات مسخرةٌ ساجدةٌ لله بالإجماع، وشاهدةٌ بوحدانية، ومسبحةٌ بحمده .

أما المخلوقات المخيرة وهم الجن والإنس، فمنهم ساجد، ومنهم مستكبر: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج:١٨] .

التسخير قهر مخلوقٍ لمخلوق، ليؤدى له منفعة لم يطلبها، ولا قدرة له عليها كالشمس والقمر، والسحب والهواء وغيرها من نعم الله المسخرة للإنسان ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ

ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

في نطفة مني رجل واحد عدد سكان العام ، ولا يحيا منها إلا القوى الذي يسبق إلى بويضة المرأة، سواء كان الحيوان المنوي ذكراً أو أنثى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[يس:٧٧] .

والحيوان المنوي من الرجل، والمرأة تستقبل الحيوان المنوي ذكرًا كان أو أنثى بواسطة البويضة الحاضنة، فيلقحها حيوان واحد، والباقي بعدد سكان العام كله يموت بإذن الله: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النحل:١٧-١٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾[الحجر:٨٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ومن هذا خلقه، هو الرب الذي تجب عبادته وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

٦- الفصل السادس

جميع مخلوقات الله مخيرة، ولكن منها من اختار أن يكون مسخرًا مرة واحدة بمزاج سمعنا وأطعنا كالسماء، والأرض، والشمس، والقمر، وغير ذلك من مخلوقات الله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

ومن خلق الله من اختار أن يكون مخيرًا في كل وقت؛ وهو الإنسان فتحمل الأمانة، وهي التكليف، فأخل بالأمانة؛ لأنه نظر إلى وقت التحمل، ولم ينظر إلى وقت الأداء، فأكثر الناس أخلوا بالأمانة، والقليل من البشر من أدى الأمانة، وهم المؤمنون: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يوسف:١٠٤-١٠٣] .

أما من أدى الأمانة فهم المؤمنون، وأما من خان الأمانة فهم الكافرون .

العبادة : طاعة المعبود فيما أمر به، والكفار يعبدون الأصنام هروبًا من عبادة الله؛ لأن الأصنام أولًا مخلوقة، والأصنام ليس لها أوامر ولا نواهي، وليس عندها ثواب ولا عقاب، وليس لها ما تستحق به العبادة من الخلق، والرزق، والإحسان، والصفات العلا .

فهي معبود بلا منهج ، ولا ثواب لمن عبد : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟

دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾[فاطر :١٣-١٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[الأنعام:٧١] .

فالذي يستحق العبادة هو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه:٨] .

الذي يستحق العبادة هو الذي يخلق، ويرزق، ويهدي، ويثيب على العمل الصالح وهو الله وحده : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

كمالات الإنسان موهوبة من الله، أما كمالات الرب فهي ذاتية، والموهوب سوف يسلب الله حياته، أو يسلب ماله، أو يسلب جاهه؛ وذلك كله بيد الله عز وجل؛ فالذي أعطى هو الذي يأخذ، والذي أحيا هو الذي يميت، والذي رفع هو الذي يخفض: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥] .

من منع نفسه من الأكل والشرب وما به حياتها فهو ظالمٌ لها ، ومن منعها من الإيمان والعمل الصالح، فهو ظالم لنفسه :﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾﴾[النساء:١١٠] .

الله عز وجل قادر على كل شيء وقدرته مطلقة، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ خلق أدم من غير أب ولا أم، وخلق زوجه حواء من غير أم، وخلق عيسى ﷺ من غير أب، وخلق بقية الناس من أب وأم :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم خلقه، وما أعظم قدرته، وما أعظم ملكه .

الماء الذي ينزله الله من السماء ليس خاضعًا للأسباب؛ وإنما هو محكوم بقدرة القادر الذي خلقه، والذي يصرفه كيف يشاء: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى: ٢٨] .

إذا نظرنا إلى ما في الكون من الآيات والمخلوقات امتلأت قلوبنا بعظمة الله، والإيمان به، ومحبته: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وكلما تدبرنا في الآيات الكونية، والآيات القرآنية ؛ امتلأت قلوبنا بعظمة الله وكبريائه ومحبته، لما تشاهده من عظمة الجبار جَلَّ جَلَالُهُ، ولما تراه من إحسانه وإكرامه، وعظمة ملكه وسلطانه .

فإذا امتلأت القلوب بالإيمان، والتعظيم لله عز وجل، والحب له، جاءت طاعته، ثم جاءت الرغبة في دعوة الناس إلى طاعته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

الله ﷻ أيد رسله، وأنبياءه بمعجزات إذا رآها البشر آمنوا بالله عز وجل فمعجزه عصا موسي ﷺ كانت خرق لنواميس الكون التي تحكم الجماد بأمر الله ، وحين ضرب بها موسى البحر كانت خرقا لنواميس الكون التي تحكم الماء: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾[الشعراء:٦٠-٦٨] .

فما أعظم قدرة الله، بأمر واحد، في بحر واحد، في وقت واحد، أنجى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وجنوده .

هذا بالنسبة للبحر، أما بالنسبة للحجر فكما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[البقرة:٦٠] .

فالأمور كلها بيد الله وحده، ومخلوقاته كلها بيده وحده، يفعل فيها ما يشاء: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٦] .

فموسي ضرب البحر بالعصا فخرج الحجر ، وفي آية الاستسقاء ضرب الحجر فخرج منها اثنتا عشرة عينا، هذه قدره الله عز وجل أن ضرب موسى البحر بالعصا فخرج منها طريقًا في البحر يبسًا ، ولما خرجوا من البحر طلبوا الماء فاستسقى موسى ﷺ فقال الله له اضرب بعصاك الحجر فخرج منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم هذه لا إله إلا الله فالله بيده كل شيء ، والمخلوق ليس بيده أي شيء: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

وامتناع النار عن إحراق إبراهيم ﷺ كانت خرقا لخاصية النار في الإحراق فالنار طبيعتها الإحراق ، والماء طبيعته الإغراق، فإبراهيم توجه إلي ربه ، وما التفت لأحد سواه فماذا قال الله للنار ؟

قال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩] .

فبدل أن تحرقه جعلها الله تحرسه:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس: ٨٢] .

رحمة الله عز وجل شاملة لجميع خلقه وأخص الخلق بها هم البشر الذين خلقهم الله، وأمدهم بمقومات حياتهم من طعام، وشراب، وهواء، وغيرها من النعم، وطلب منهم مقابل ذلك طاعته، وعبادته وحده لا شريك له، ليحقق لهم بذلك حياة كريمةً، وأمنًا، وسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

فمن أطاع ربه شملته رحمة في الدنيا، والآخرة ، ومن عصى ربه، ولم يعبده بما يتناسب مع نعمة عليه، فقد أسقط عن نفسه موجبات رحمة الله في الآخرة، وعامله ربه بعدله الذي يقتضي معامله كل إنسان وفقًا لعمله في الدنيا ، فالله يعامل المؤمنين والكفار في الدنيا بفضله، ورحمته، فالكل يأكل من رزق الله، ويسكن في ملك الله مؤمنًا أو كافرًا .

أما في الآخرة فيخص المؤمنين بفضله وإحسانه، ويعاقب الكفار بعدله جل جلاله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[القصص:٨٤] .

فمن أطاع ربه أكرمه، ومن عصاه عاقبه:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

فرحمة الله في الدنيا وسعت جميع الخلق، أما في الآخرة فرحمته للمؤمنين دون الكافرين ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾[الأعراف:١٥٦] .

كل ما صنعة الإنسان أو اكتشفه أو اخترعه إنما وصل إليه بالعقل الذي خلقه الله فيه، وبالمادة التي خلقها الله له، بل جميع قدرات البشرية إنما هي عطاءٌ من قدره الله عز وجل، وهبها لمن شاء من عباده : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[الصافات:٩٦] .

التفكر والتدبر في صفات الله، وآياته، ومخلوقاته، فريضة علي كل مسلم، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

والنظر والتفكر في المخلوقات، والآيات، يلفت النظر لعظمة الله، ومحبته ، والإيمان به : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾ [ق:٦ -٨] .

أما التفكر في ذات الله فالله قادر غير مقدور عليه، والله محيط بكل أحد، ولا يحيط به أحد: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ ﴾[طه: ١١٠] .

والعقل البشري في علمه محدود بحدود الكون المحدود، والله محيط لا يحيط به أحد، بل هو المحيط بكل محيط، وليس كمثله شيء حتى نتصوره : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى:١١] .

ومن أراد أن يتصور الخالق فليتأمل في صفة النور، فالله نور، وهل يوجد نور من غير نور؟

قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[النور:٣٥] .

الدعاء بأسماء الله الحسنى أن تدعو الله بالاسم الذي يتضمن حاجتك كأن تقول : يا رازق أرزقني، ويا رحيم أرحمني، ويا عفو أعفو عني، ويا تواب تُب عَليِ، ويا شافي اشفني وهكذا :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠] .

ومن الدعاء بالأسماء الحسني أن ترددها وتكررها كأن تقول : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ -٢٤] .

الدعاء نداء من الأدنى إلي الأعلى، ولا يتوجه أحد بالدعاء إلا لمن قدرته فوق قدرة الداعي، وهو الله عز وجل فمن أراد شيئاً، وعجزت أسبابه عن تحقيقه، استغاث بربه الأعلى القادر على كل شيء، والقوي الذي يحكم الأسباب، ولا تحكمه الأسباب ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل:٦٢] .

من سأل هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ .

فيقال له الله عز وجل ليس مخلوقًا حتى نسأل عن خالقه ، بل هو الخالق الذي خلق كل مخلوق، وكل ما سواه مخلوقٌ له : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر:٦٢-٦٦] .

فهو الأول الموجود بلا بداية، وهو الأخر بلا نهاية، وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن فليس دونه شيء: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣ ﴾[الحديد: ٣] .

وكل ما سوى الله مخلوقٌ له تاريخ ميلاد أوجده الله فيه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

من صفات الله عز وجل التي أختص بها دون خلقة الواحد، الأحد، الخالق ؛ لأنه سبحانه يخلق من العدم المطلق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾[البقرة:١١٧] .

أما الإنسان فإنه يخلق ويصنع معدومًا من موجود، فهو يصنع السيارة من الحديد، بالعقل المخلوق الذي خلقة الله، والمادة المخلوقة التي خلقها الله، فهو يحول شيئاً من شيءٍ .

ومن صفات الله عز وجل التي اختص بها أنه يعلم ذاته علمًا مطلقًا فيعلم أنه لا إله إلا هو، وأنه حي، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه بكل شيءٍ عليم وغير ذلك من الصفات :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾[آل عمران:١٨] .

ومن صفاته الخاصة به أنه حي قيوم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾[آل عمران: ٢] .

هو الأول بلا بداية، والأخر بلا نهاية، القيوم القائم بذاته، المقيم لغيرة، الحي الذي لا تنقطع حياته بموتٍ أبدًا : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٥] .

والصفات التي وهبها الله لخِلقة له منها أعلاها وأكملها، فالله هو العلي الأعلى، والعلي من الخلق هو العلي الأدنى ، والله هو العَليم المطلق الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، والعالم من الخلق هو العالم الأدنى وهكذا . فالله عز وجل يحب أسماءه وصفاته ويحب من خَلقِهِ من اتصف بها علي شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[الأعراف: ١٨٠] .

مهمة اللسان القول، ومهمة جميع الجوارح العمل، والأذن أول جارحة تعمل، وهي تعمل على الدوام في حال اليقظة والنوم، وتسمع الأصوات من جميع الجهات: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

الله ﷻ قدّر الطاعة، وأثاب عليها، وقدر المعصية، وعاقب عليها، لكنه أمر بالطاعة، ورغب فيها، ويسرها، وأثاب عليها، ونهى عن المعصية، وحذر منها وعاقب عليها، والله خلق الإنسان مختارًا يفعل ما يشاء من الخير والشر: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾[المزمل: ١٩] .

وعلم الله بأفعال العباد علمٌ ينكشفُ بعد الفعل، وهو علم انكشاف لا علم إجبار لأن الله يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، فالله كتب كل شيء من قبل، لأنه الذي خلق، وهو الذي يعلم ما يفعل العباد، وماذا سيموتون عليه، لأن علمه مطلق يعلم ما كان وما يكون وما سيكون .

فالله علم أنك ستفعل كذا، في يوم كذا، وتموتُ مؤمناً، أو تفعل كذا، في يوم كذا، وتموتُ كافرًا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج:٧٠] .

الفعل هو توجيهُ جارِحَةُ لعمل خيرٌ أو شر بإرادةٍ مخلوقة لله ، فالجارحةٌ مخلوقة لله، والإرادة محكومة لله، والإنسان يوجه الجارحة للعمل للاختيار الذي أعطاه الله إياه ، فالمؤمن وجهها إلى الخير، والكافر وجهها إلي الشر .

ففي كل إنسان مصرفان، مصرف للطاعة، ومصرفٌ للمعصية والإنسان يوجه مخلوقًا لله إلي ما يحبه الله، أو ما يكرهه الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[الإنسان: ٢٩ – ٣١].

فكفر الكافر مرادٌ كوني، لأنه لا يقع في ملك الله ما لا يريده، وإيمان المؤمن مطلوب شرعي، ومرادٌ كوني: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾[الإنسان: ٢٩ – ٣١] . .

خلق الله الإنسانَ مختارًا، فلا يقول له افعل إلا وهو قادٌر أن لا يفعل، ولا يقول له لا تفعل إلا وهو قادر أن يفعل : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقال الله عزو جل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله عزو جل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

أما المُكرَه والمجنون والصغير فلا تكليف عليهم ؛ لأن المُكرَه مسلوب القدرة، والمجنون مسلوب العقل، والصغير ناقص العقل، ولهذا رفع عنهم القلم كما قال النبي ﷺ: « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يحْتَلِمَ ، وَعَنِ المُجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ » . أخرجه أبو داود[1] .

العالم قديمًا كان علي هيئة انعزال، وأجواء الأمم مختلفة، فلهذا بعث الله في كل قومٌ هاد ، ولكل أُمةُ رسول، وقد يبعث الله رسولًا واحدًا أو رسولين في وقت واحد، لصعوبة الاتصال ، فلما تيسر الاتصال أرسل الله رسولًا واحدًا كلها إلي يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وقال سبحانه عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨] .

أراد الله عز وجل أن تكون البعثة النبوية، والصيحة الإيمانية، في مكة حيث سادات العرب، وأشراف الناس، ووجهاء الناس، حتى لا يقال فرض علي الضعفاء الدين، لأنه ليست لهم قوة :﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٤٠٣).

٧- الفصل السابع

الدنيا أهم من أن تنسي، لأنها وسيله لكسب الحسنات، وتحصيل الأجور في الدنيا ، ولكنها أقل وأتفه من أن تكون غاية، لأنها دارٌ فانية، وهي مطية الآخرة ففيها تكون عبادة الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله والجهاد في سبيل الله، فهي مطيةٌ للآخرة وميدان المسارعة إلي الخيرات : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد:٢٠] .

فعمل المؤمن في الدنيا المسابقة والمسارعة إلي الخيرات : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١].

والمسارعة إلى الخيرات يكون بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

الرسول له مهمتان :

الأولي : إبلاغ الدين للناس: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧] .

الثانية : أن الرسول أسوة سلوك في أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفى أخلاقة العالية : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

والملَك يمكن أن يبلغ، ولكنه لا يكون أسوة سلوك، لما له من الصفات المغايرة للبشر : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء : ١٩٣-١٩٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾[الإسراء: ٩٤ - ٩٥].

كل ذرة في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أشهدها الله على ربوبيته، وكل إنسان فيه ذرة من جسد آدم حية شهدت لربها بالوحدانية، كالماء المكون بقدرة الله عز وجل إذا وضعناه في قارورة، ثم لوناه باللون الأحمر، ثم وضعناه في برميل، فيتلون البرميل كله، ثم نضعه في البحر فيتلون البحر بأمر نسبي وإن كان لا يري إلا بصعوبة وهكذا ذرية آدم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٢] .

عجبًا لأمر الكافر ظله ساجدٌ، وعقله جاحد، وجوارحه متمردة، ودلائل التوحيد بين يديه ظاهرة!:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل: ٤٨ - ٥٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٥].

وقال الله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾[الجاثية:٦] .

الله عز وجل هو الملك الحق الذي له ملك العالم العلوي، والعالم السفلي وهو منزهُ عن المكان والزمان، لأنه الذي خلقهما، وهو محيط بجميع الزمان والمكان، وكل مخلوق : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[النساء:١٢٦].

جميع المخلوقات خاضعة لأمر الله الكوني بالإيجاد، وجميع المخلوقات مسخرة في الطاعة، إلا الأنس والجن فهم مخيرون في الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية :﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢] .

فالذي أدى الأمانة فاز، والذي خان الأمانة خسر: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام:١٣٠] .

الله عز وجل هو الملك الحق الذي له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك السماوات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله ملك ما في السماوات والأرض، وله ملك جنود السموات والأرض، وله ملك خزائن السماوات والأرض، وله ملك غيب السماوات والأرض، وله ملك مقاليد السموات والأرض، وله ملك ميراث السماوات والأرض :﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١] .

فله جَلَّ جَلَالُهُ التدبير في السماوات والأرض وله الدين واصبًا دائمًا في السماوات والأرض : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٢-٥٣] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله، وما أعظم ملكه وسلطانه.

والرب الذي هذا ملكه هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فأنت مملوكٌ لمالكٍ قويٍ قادر، رحيم كريم، فأطعه لجلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، وإنعامه وإحسانه ولا تعصِه : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

لتأليف القلوب لابد من إحسان الظن بالغير، فسوء الظن يقطع باب الإفادة والاستفادة، فما وصلت إليه من الحكم صوابُ يحتمل الخطأ، وما وصل إلية غيرك خطأُ يحتمل الصواب، وبهذا تجتمع القلوب بإذن الله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

الله ﷻ أكرم بني آدم بكل نعمة كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وكرمهم بأحسن أنواع التكريم كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠] .

فالله عز وجل أعطانا العقول التي نفكر بها في أمور دنيانا ، وظَبَطَ حياتنا بالشرع الذي ينظم حياة الإنسان في الدنيا، ويسعده في الآخرة :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

والرب الذي هذه أفعاله، وهذه نعمه، هو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة: ١٥٢] .

المكر السيئ أن تمكر بمن يظن بك خيرًا بما يوقعه في سوء، والمكر الحسن أن تمكر في إبطال مكر الماكر السيئ :﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئُ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ ﴾[فاطر: ٤٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٠] .

الله جل جلاله رحيم بعباده كما عمل لهم الصالح في قالبهم من الطعام والشراب، والماء والهواء وغيرها من النعم، عمل لهم الصالح في قلوبهم من الإيمان، والتوحيد، وهذا الدين الذي أرسل به محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بأن يأكلوا من الطيبات، ويعملوا صالحا، لان الدنيا دار الإيمان والعمل، والآخرة دار الشهوات واللذات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[المؤمنون:٥١] .

جميع المخلوقات التي خلقها الله عز وجل متفقون في شيءٍ واحد، وهو العبودية لله عز وجل ، فليس في الكون إلا خالق ومخاليق، وملك وعبيد،

فهم متفقون في العبودية لله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النحل: ٤٩ – ٥٠] .

وهم مختلفون في الصفات، فلكل مخلوق طبعةٌ خاصة، وشكل خاص، وحياة خاصة، ووظيفة خاصة، فوظيفة الشمس الإنارة والحرارة، ووظيفة السحب إنزال الغيث، ووظيفة الأرض الإنبات ووظيفة الإنسان أن يعبد الله وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٧ -٢٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس:٣٨-٣٩] .

الله عز وجل عنده جميع الحاجات، وله عليك طلبات : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

فيجب علينا طاعة من عنده حاجتنا، وامتثال أوامره لصالحنا، فان الله غنيٌّ عن العالمين : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾ [العنكبوت:٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

فيجب علي الخلق طاعة من خلقهم، ورزقهم، وهداهم، وفطرهم على التوحيد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

النور اسم الله جل جلاله، والتنوير إظهار نوره الحسي المخلوق كنور الشمس والقمر والنجوم، والمعنوي وهو نور القرآن .

النور الحسي يكشف لكَ الطريق حتى لا تتعثر والنور المعنوي يكشف لكَ الحق، حتى لا تقع في الباطل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣].

فسبحان ربنا النور الذي خلق كل نور في العالم العلوي والعالم السفلى، وكل نور في الكون فمن نوره جل جلاله : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾[النور:٣٥] .

الكلام ينطق به اللسان حسب البيئة التي تعيش فيها، فما سمعة الإنسان بأُذنه نطق به بلسانه، فلكل قوم لغة يأخذها الصغير عن الكبير: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم:٢٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[إبراهيم: ٤] .

فالكلام فرع السمع، والسمع فرع الحياة، والطاعة والمعصية فرع الحياة الإنسانية ، فالطاعة فرع الإيمان، والمعصية فرع الكفر :﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

لله ظاهرٌ في كونه أسمه الملك، وله غيبٌ في كونه أسمه الملكوت :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنعام:٧٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٣] .

كل يوم يكشف الله لنا من غيبة ما يشاء في الأشياء والحركات، وبذلك يدعو الناس إلي الإيمان بالله وتوحيده:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

الغيب : هو ما غاب عن المدركات الحسيه، وهى الحواس الخمس، السمع، والبصرُ، والشم، والذوقُ، واللمس، وما غاب كذلك عن العقول من الإدراكات المعنوية، والله ﷻ وحدهُ عالمُ الغيب والشهادة، فلا يعلمُ ما في الغيب إلا عالمُ الغيب: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[السجدة: ٦ – ٨] .

والغيبُ ثلاثة أنوع:

نوعٌ له مقدمات توصل إليه، كالمخترعات التي يكتشفها الإنسان، فهي غيبٌ في عصر، مشهودةٌ في عصرٍ آخر، والله عز وجل يظهرها بعقول البشر، وهذه مطلوبة إذا كانت تعينُ على قضاء حاجاتنا، وعلى عبادةِ ربنا: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[البقرة:٢٩] .

فهذه هي الغيبيات التي يكتشفها البشر، أو تأتي من غير مقدمات .

ولكل غيبٍ ميلادٌ يظهرُ فيه، في الوقت الذي يريدهُ الله، يظهرهُ ليكون دليلاً على عظمته ، وعلى كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت:٥٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر:٤٩-٥٠] .

ونوعٌ خاصٌ من الغيب لا يعلمهُ إلا الله، ويعلِمهُ الله من شاء من خلقه كأنبيائه ورسله .

ونوعٌ لم يعلمهُ الله أحدًا من الخلق، كالروح، وعلم الساعة، ونزول الغيث، ونحو ذلك من أمور الغيب الخمسة التي ذكر الله ﷻ في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤] .

فسبحان عالم الغيب الذي يعلم الغيب والشهادة، ويُعلم من شاء من خلقه بشيءٍ من ذلك الغيب : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن:٢٦-٢٨] .

وعلمُ الغيب نوعان :

الأول : غيبُ الأكوان .

والثاني : غيبُ الإنسان .

فغيب الأكوان : هو معرفة أسرار المخلوقات، واكتشاف نواميسها بالنظر والتدبر : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وغيبُ الإنسان خاصٌ بالإنسان لا يعلمهُ غيره ، وهذا من رحمة الله بعباده، ليظلوا أخوةً متحابين ، فالله لا يريد أن يهتك غيب أحدٍ عند الناس ، وإلا لو أبيح لك أن تعلم غيب غيرك وأسراره، فأبح لغيرك أن يعلم غيبك .

واللهُ يريدُ أن يثرى نفع الناسِ بالناس ، فلو كان احدٌ عنده منافع كثيرة، لكن عنده سيئةٍ لو علمتها زهدت في علمه ومنافعه ، فمن رحمة الله أن سترها، لينتفع بما عنده من الخير: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣] .

إذا عرفت ذلك عن ربك: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]

اللمح بالعين : انتقالُ حدقة العين من جهةٍ إلى جهة لترى، والنظر بكل العين ، والرمق بأعلى العين، واللحظ بجانب العين، والرؤية بكل العين، وكلها أحداثٌ تدل على الرؤية الكلية أو الجزئية .

فهذه الأحداث تدل على الرؤية الكلية أو الجزئية بواسطة العين ، فهي جزئيات حركةٌ للعين في جزئيات زمن : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

فعلينا أن ننظر بهذه العين التي خلقها الله في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، ليزيدُ إيماننا، ولا نعطل ذلك فنخسر دنيانا وأخرانا :﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

والسمعُ والبصرُ يملأن القلب بالمعلومات التي يتحرك البدن بموجبها ، وأحسن ما يسمع الإنسان، وأحسن ما يبصر الإنسان، ما يدلُ على خالقه ، وعظيم قدرته ، وعظيم إنعامه وإحسانه .

فيجبُ استعمال هذه الأمانات فيما أمر الله به، لأنه سوف يسأل عنها :﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

والسؤال عنها يوم القيامة : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[الإسراء:٣٦] .

الله ﷻ أمدنا بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾[إبراهيم: ٣٤] .

وأعظم هذه النعم ثلاث :

نعمة الإيجاد بالخلق .. ونعمة الإمداد بالأقوات .. ونعمة الإسعاد بالهداية :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

والله عز وجل خلق الإنسان ، وأكرمه بثلاث كرامات ؛ ليعرف بذلك أمور دينه، وأمور دنياه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

فقدم الله السمع ووحده ؛ لأن السمع يعمل في كل حال ، والمسموع غالبًا واحد ، والسمع يعمل قبل العين بعد الولادة مباشرة .

والناس يتحدون في المسموع بخلاف العين؛ فكلٌ يرى بعينه ما يشاء، وعند النوم ينام البصر بخلاف السمع، وكذلك الأفئدة تمتلئ بالعلوم المختلفة:﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك:٢٣]

وكل إنسان سيسأل عما رأته عيناه، وما سمعته أذناه، وما حواه فؤاده:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء: ٣٦] .

الله عز وجل أنعم على الإنسان بالسكن .

والسكن نوعان :

الأول: سكن قالب، وهو البيت الذي يسكنه الإنسان حسب قدرته من طين أو مسلح أو شعرٍ أو وبرٍ أو خيمةٍ ، وغيرها من أنواع السكن التي يسكنه في جزء من الأرض :﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ

تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

[النحل:٨٠-٨١] .

والثاني : سكن قلب، وهو الزوجة الصالحة التي تسره إذا نظر إليها، وتحفظه، في أهله وماله : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم:٢١] .

والسرابيل : هي ما يستر الإنسان من قميص، أو إزار، أو رداء ، يستر الإنسان، ويقيه الحر والبرد .

والسرابيل نوعان :

الأول: الثياب التي تقي الإنسان من الحر والبرد .

الثاني: سرابيل تقي بأس الحرب من الدروع، والمغفر الذي يحفظ الرأس إلى ذلك من السرابيل .

والله جَلَّ جَلَالُهُ رءوفٌ بالعباد ، وهو أرحم بالخلق من أنفسهم ؛ يبتليهم بالمحبوب والمكروه، ليظهر عبوديتهم حال السراء ، وحال الضراء ؛ فهو يحب الصابرين ، ويحب الشاكرين، ولا يرفع الله قضاءً مكروهًا عن أحد حتى يرضى به ، فإذا رضيت به رفعه الله عنك، وإذا لم يرفع عنك فأعلم أنك لم ترض به؛ ولهذا يطول وقت رفع البلاء عنك حتى ترضى بما قدره الله : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

فلا يقض الله قضاءً للعبد إلا وهو خيرٌ له . إِنْ أَصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ، وإِنْ أَصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وليسَ ذلكَ لأَحَدٍ إلا للمُؤْمنِ :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١]

فاللهم أعطنا ما يرضينا عنك، ورضنا بما تعطينا ، نحمدك على جميع قضائك حمد الراضي بحكمك، لعلمه ويقينه بكمال حكمتك .

ومن أراد أن يخف الله عنه القضاء المكروه ، ويرفع عنه البلاء؛ فليرض بما قدره الله عليه ، فلا عبادة أعظم من التسليم لحكمه جَلَّ جَلَالُهُ كما في قصة إبراهيم بذبح ابنه ؛ فإبراهيم ﷺ سلم لربه، وامتثل الأمر ليذبح ابنه ؛ فالله عز وجل حفظ الولد وهو إسماعيل ، وأخرج من نسله سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ .

وسلم إبراهيم ﷺ بدنه للنار ؛ فسلمه الله من النار : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء:٦٩] .

فمن سَلم سلِم ، ومن سلمَ استلم دار السلام :﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة:١١٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

٨- الفصل الثامن

دين الله حق لا تصلح الحياة إلا به ، فان لم يأخذه الناس دينًا فليأخذوه نظامًا تصلح به حياتهم : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

من لم يستسلم الله في الدنيا اختيارًا سوف يستسلم إليه يوم القيامة اضطراراً: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات: ٢٤- ٢٦] .

وزر الضلال عظيم ، وأعظم منه وزر الإضلال : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[المائدة:٧٧] .

فوزر الضلال عظيم ؛ لأنه شقاءٌ في الدنيا والآخرة ، وأعظم منه وزر الإضلال، فما أخسر حياة من جمع بين الضلال والإضلال، وما أشد عقوبته يوم القيامة:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النحل:٨٨] .

فاللهم : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة:٦-٧] .

من لم يعبد الله لذاته فليعبده لنعمته ، وليعبده لحاجته الله، وليعبده لضيافته ، ويعبده لرحمته ، ويعبده لعظيم خلقه ، ويعبده لعظيم ملكه .

يعبده لذاته؛ لأنه الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

فمن لم يعبد الله لذاته فليعبده لعظيم نعمه :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

ويعبده لحاجته إليه في الخلق ، والإيجاد ، والحفظ، والرعاية، والعناية :﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

ويعبده لضيافته : فأنت في ضيافته في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، وفي الجنة يوم القيامة إن كنت مؤمنًا، وليعبده لرحمته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر:٧]

وليعبده لعظيم خلقه :﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل:١٧-١٨] .

ويعبده لعظيم ملكه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[فاطر :١٣]

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن به، وعبده وحده لا شريك له:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

أجمع آيات القرآن للخيرات ، والبركات، والفضائل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

العدل هو : الإنصاف في كل أمر اعتقادًا ، أو قولًا ، أو فعلًا ، أو حكمًا : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾[الحديد:٢٥] .

من قال لا إله فقد أخطأ، ومن قال بآلهةٍ متعددة فقد أخطأ، ومن قال بإله واحد له صفاتٍ حسنى متعددة، وهو الله، فهذا هو العدل، وهو الحق : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام:٧١] .

حفظ النفس لتحيا بالطعام والشراب ، وحفظ النوع ليبقى بالنكاح الشرعي، فهذا عدل ، وما سواه ظلم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾[المؤمنون:٥-٧] .

- **الفرق بين العدل والإحسان:**

العدل : أن تأخذ حقك ،

والإحسان : أن تترك حقك ، أو بعضه لغيرك؛ ابتغاء وجه الله عز وجل .

العدل : أن تؤدي ما عليك من الفرائض ، والواجبات ،

والإحسان: أن تزيد عليه شيئًا من السنن التي شرعها الله عز وجل .

والإحسان : أن تفعل فوق ما فرض الله عليك من جنس ما فرض الله عليك كأن تزكي بزيادة ، وتتبع صوم الفرض بالنفل .

الإحسان : إما في الكمية ، أو الكيفية : فالكمية الإكثار من أنواع الإحسان كمًا من الصدقات ، والصيام ، وغير ذلك ، والكيفية أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

العدل : استواء السريرة ، والعلانية .

والإحسان : أن تعلوا السريرة على العلانية .

والمنكر : أن تعلوا العلانية على السريرة .

العالم الرباني من استوى عنده التراب والذهب ، واشتغل بأوامر ربه عن شهوات نفسه ، وكانت عبادته في الخفاء أقوى منها في العلانية، وكان بين يدي ربه عابدًا، شاكرًا، صابرًا، وبين يدي خلقه، داعيًا، ومعلمًا، ومحسنًا: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

الظالم من الناس هو من حقق لنفسه شهوةً عاجلة توجب عقوبةً آجلة، واشتغل بمحبوبات نفسه عن أوامر ربه، فهذا هو الظالم لنفسه بالشرك، والمعاصي، واتباع هواه﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

أعظم شهود التوحيد الله، وملائكته، والعلماء، وأعظم الشهود هو الله عز وجل، وهذه شهادة الذات للذات بالوحدانية ، والملائكة شهادة المشاهدة ، وشهادة أولوا العلم بالدليل ، والبرهان :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨] .

عهد الله : هو عهد الإيمان بالله ، وهو أعظم العهود التي يجب الوفاء بها، إيمانًا بالحق ، وعملًا بالحق ، ودعوةً إلى الحق ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[النحل:٩١].

والعهود مع الله بالتوحيد، والإيمان، والطاعة، تجعل الأقدام ثابتة، ونقض العهود سببٌ لزلة الأقدام :﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل:٩٤-٩٦] .

إذا أعطيت أحدًا فلا تنظر إلى من أعطيت، ولكن اذكر من أعطاك، لتشكره على ما أعطاك، وهداك للعطاء مما أعطاك :﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢] .

وإذا علمت فلانًا فلا تنظر إلى من تعلم، ولكن اذكر الذي علمك؛ لتشكره على ما علمك مما لم تكن تعلم، فهو الذي هداك، وعلمك، وهداك لتعليم خلقه مما علمك :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ:﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء:١١٣] .

الابتلاء ليس نكبة ؛ لأن الإنسان قد يربح فيه، أو يخسر، وقد يفوز، أو يخسر: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٣-٢].

فاصبر يا عبد الله، فالله ما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي، وما قبض إلا ليبسط: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم: ٦٠].

الله عزَّ وجلَّ يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، والإنسان يفعل باختياره ما يشاء ، والله يحكم بهدايته إن كان مؤمنًا، ويحكم بضلاله إن رفض الإيمان: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾[الإنسان: ٢ – ٣] .

الله يحكم على الإنسان بالضلالة، أو الهدى، حسب عمله، كاللجنة التي تقرر نجاح فلان ، أو رسوبه، حسب إجابته :﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾[فاطر: ٨-٧] .

فالله عزَّ وجلَّ هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧ ﴾[الأنعام:١١٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

فلكل عملٍ نتيجة ، وثمرة، من كان مؤمنًا فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن كان كافرًا فإنه سيشقى في الدنيا والآخرة: ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ ﴾[القلم:٣٥ -٣٦] .

أعظم أعداء الإنسان النفس، والشيطان، وشهوات الدنيا، وإتباع الهوى، والكفار، والمشركون، والمنافقون .

وقد أمرنا الله ﷻ أن نستعيذ به من كل شر.

فالاستعاذة : هي الالتجاء إلى قويٍ تحتمي به من شرٍ تخافه .

والمؤمن يستعيذ بالله من كل، شر، سواءٌ كان خارجيًا ، أو داخليًا ، فالشر الخارجي ذكره الله في سورة الفلق، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق:١-٥] .

والشر الداخلي شر الشيطان، وهو أخطر الشرور، ذكره الله ﷻ في سورة الناس، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[الناس: ١ – ٦]

والمؤمن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن ؛ لأن قراءة القرآن إقبالٌ على كلام من آمنا به ؛ لنصدق أخباره ، ونطبق أحكامه .

فقراءتنا للقرآن إقبالٌ على كلام من آمنا به ، وتصديقٌ للمنزل عليه وهو الرسول ﷺ، واستقبال أحكام الله التي في كتابه، والشيطان يريد أن يحرم الإنسان من هذه الأعمال الصالحة فنستعيذ بالله من الشيطان الرجيم أن يصرفنا عن هذه الأمور، والعمل بها : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[النحل: ٩٨ – ١٠٠] .

والسلطان: الأصل فيه الزيت الذي يضاء به السراج، وسميت الحجة سلطانًا؛ لأنها تضيء للإنسان وجه الحق من وجه الباطل وسميت القوة : سلطانًا ؛ لأنها تلزمك بالفعل .

فتنفيذ المطلوب له قوتان :

قوةٌ إلزاميةٌ بالسلاح .. أو حجةً تقنع الفاعل .

والشيطان ليس معه قوةٌ تقهر، ولا حجةٌ تقنع، ولكن معه الوسوسة، والوعود الكاذبة، والتزيين، كما قال سبحانه عن الشيطان : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم:٢٢] .

الفرق بين معصيةٍ من النفس، ومعصيةٍ من الشيطان، أن النفس تريد شهوة واحدة، وتصر عليها حتى تفعلها: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

أما الشيطان فهو يريد الإنسان عاصيًا بأي وجه، فإن قدر عليه في الكبيرة فعل، وإلا تحول إلى الصغيرة، ثم تحول إلى المباحات التي تشغل الإنسان عن الطاعات .

وكذا ينقل الإنسان من معصية، إلى معصية حتى يظفر به .

والله عزَّ وجلَّ أمرنا أن نطيعه، وحذرنا من خطوات الشيطان بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٨] .

والشيطان ليس له سلطانٌ على المؤمنين إنما سلطانه على من تولاه : ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾[النحل: ١٠٠] .

الآيات أنواع ، والآية هي الشيء العجيب الذي يأسر العقول، ويذهلها، وتطلق على آيات الكون العجيبة كالليل والنهار، والشمس والقمر: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ ﴾[فصلت:٣٧] .

وآيات الله كثيرة لا تعد ولا تحصى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥ ﴾[الروم: ٢٠ – ٢٥]

فهذه الآيات لا تتبدل ، ولا تتغير : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ ﴾[فاطر: ٤٣] .

وتطلق الآيات على المعجزات التي أيد الله بها رسله .

وتطلق الآيات على آيات القرآن الحاملة للأحكام : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران:٧] .

فآيات الله في الكون، وآيات القرآن، لا تتبدل ، ولا تبدل، أما آيات الأنبياء فتختلف من نبي لغيره، فآية موسى العصا، وآية عيسى ﷺ إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وآيات محمد ﷺ القرآن : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[يونس: ٦٢ – ٦٤] .

والتقوى قسمان :

إتقوا الله حق تقاته هي المطلوب الأعلى من الإنسان القوى، ليرتقى في المقام عند ربه ، وهذا حكم باق في الأمة إلى يوم القيامة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ [الحج:٧٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة:٩٣] .

وهذا يطيقه خواص من الخلق، أما عامة الأمة فالله خفف عن الجميع بقوله : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ يَشَآءُ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

ولهذا صار أهل الجنة سابقين، وأصحاب يمين .

الذين لا يؤمنون بالله لا يهديهم الله هداية معونة، ولكن هداهم هداية الدلالة، فلم يستجيبوا كما قل سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[فصلت:١٧-١٨] .

الإيمان أن تشهد إن لا إله إلا الله، و إن محمد رسول الله، بالقلب واللسان والجوارح، فمنم شهد بقلبه ولسانه وجوارحه فهو مؤمن ومن لم يشهد بقلبه ولسانه وجوارحه فهو كافر ، ومن شهد بلسانه وجوارحه دون قلبه فهو منافق، ومن شهد بقلبه دون لسانه مُكرهًا فهذا معذور، ولا إثم عليه .

فهذه أربع حالات للإنسان، فالكافر والمنافق في النار، والمؤمن في الجنة .

والمُكره المطمئن بإيمانه في الجنة، كما قال سبحانه : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[النحل:١٠٦-١٠٩]

فمن نطق كلمة الكفر مكرهًا، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا إثم عليه، لأنه استعمل الرخصة، ليسلم من القتل، وهذا تخفيف من الله عز وجل كما فعل عمار بن ياسر، ومن لم ينطق بكلمة الكفر، وقتل بسبب إيمانه، فقد استعمل العزيمة، وهذا أعلى ، كما فعل حبيب بن زايد ﷺ مع مسيلمة الكذاب حين

أكرهه على الكفر، فلم يجيبه فقتله ، والمؤمن مخير في العزيمة والرخصة والعزيمة أفضل لمن قدر عليها .

الدنيا أهم من أن تنسى ، ولكنها أقل من تجعل غاية، بل هي وسيله للآخرة : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب الإنسان أبدًا، فكما لا يجتمع الماء مع الهواء في الكأس، لأن أحدهما يطرد الأخر ، فكذا الإيمان والكفر لا يجتمعان في القلب ، ومن يريد الإيمان فليخرج الكفر من قلبه، ثم يبحث في أدله الإيمان، وأدله الكفر، ثم يختار الحق الذي يوافق العقل وهو الإيمان ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾ [الأحزاب:٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة:٢٥٦] .

٩- الفصل التاسع

الله ﷻ عظيم ، لا يعطي إلا العظيم، ولا يأمر إلا بالعظيم ولا يعطي في الدنيا والآخرة لمن يحب إلا العظيم، ملكه عظيم، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم.

يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة: ٢٦١] .

ويعطي من فضله بلا عمل من العبد المؤمن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾[النساء: ٤٠] .

فمن عمل لله، بما شرعه الله، بغير حساب، أعطاه الله عز وجل الأجر بغير حساب، ومن صبر على قضاء الله وقدره، وعلى طاعة الله، وعن معاصي الله ، فليبشر بالثواب العظيم ، الذي لا ينقطع أبداً:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠] .

الله عز وجل يضرب الأمثال بما شاء من خلقه ؛ لأنه لا مثل له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولهذا الإنسان لا يضرب الأمثال لله ؛ لأنه لا مثل له : ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل:٧٤] .

الله عز وجل أفقر جميع خلقه إليه؛ ليقفوا ببابه، ويسألوه من فضله، فالجوع يأتي أولًا للإنسان؛ ليتضرع بين يدي ربه ، وهو يأتي أولًا في البطن، ثم الشحم، ثم اللحم، ثم العظم، ثم يذبل الإنسان ويصفر ، فإذا جاع ولم يجد الطعام، أكل الجسم من الشحم الزائد في الجسم، ثم أكل من اللحم، ثم أكل

من نقي العظام، ولذلك يهزل الإنسان من شدة الجوع، ويذوق الجوع من جميع أجزاء الجسم .

الجوع آلم البدن، والخوف آلم القلب، والله وحده هو الذي أطعم من جوع، وآمن من خوف: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾[قريش:١-٤] .

كل شيء له وقود خاص به، ليؤدي به وظيفته، فالسراج الذي صنعه الإنسان له وقود خاص به، والسيارة لها وقود، والطائرة لها وقود، وهكذا الإنسان له قوت يحفظ حياته من الطيبات التي أحلها الله، فإذا تجاوز ذلك إلى الخبائث اعتل وشقي وتألم :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾[البقرة: ١٧٢- ١٧٣] .

وللإنسان قوت أعظم من قوت البدن، وهو قوت القلوب، وهو الإيمان، فإذا تجاوزه إلى الشرك والكفر والمعاصي شقي وتعب : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فنحمد الله على نعمه المادية والروحية : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[الفاتحة: ٢-٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[فاطر: ١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام:١] .

وقال الله عز وجل:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾[الكهف: ١-٢] .

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

الاضطرار هو أن يكون الإنسان في حال إن لم يأكل أو يشرب يمت ، فهذا يجوز له أكل الميتة، لكن غير باغ بتجاوزه الحلال إلى الحرام، ولا عاد بالأكل أكثر من الحاجة لحفظ الحياة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾[البقرة: ١٧٣] .

مهمة الخنزير لم القاذورات والنجاسات كلها فلا يجوز أكله، لأن هذه وظيفته، ومهمة الثعابين والعقارب جمع السم، الذي به علاج بعض الأمراض، فعلاج الضغط الذي يخفض الضغط هو مأخوذ من سم الثعبان، فلا يجوز أكل هذه الحشرات؛ لأن في خلقها حكمة ومنافع ومصالح للعباد ، عرفنا بعضها ولم نعرف البعض الآخر .

ولله عز وجل في كل شيء حكمة ورحمة:

خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، أولها الأحد، وآخرها السبت :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

اختار موسي ﷺ لليهود أن يكون يوم عيدهم وقت راحتهم الجمعة، يفرغونه للعبادة، لكن قوم موسى اختاروا بدلا منه يوم السبت؛ لأنه أخر أيام الخلق.

والنصارى اختاروا الأحد ، أول أيام الخلق، وأمه محمد ﷺ اختاروا يوم الجمعة، فهو عيد المسلمين الأسبوعي .

قال رَسُولِ اللهَّ ﷺ: « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ ، فَهُمْ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ فَالْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ » . متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ: « أَضَلَّ اللهُ عَن الجُمُعة مَنْ كان قَبْلَنا ، فَكانَ لِلْيَهُودِ السَّبْتِ ، وكَانَ لِلنَّصارى يَوْمُ الأَحَدِ ، فجاء اللهُ بِنَا ، فَهَدَانَا ليومِ الجمعة فَجَعَلَ الجُمُعَةَ والسّبْتَ والأَحَدَ ، وكَذلِكَ هُم تَبَعٌ لَنَا يَومَ القِيَامَةِ ، نحن الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنيا ، والأَوَّلونَ يَوْمَ القِيامَةِ ، المَقْضيُّ لهم قبل الخلائِق » . أخرجه مسلم[2] .

ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، فيه خلق ادم، وفيه ادخل الجنة، وفيه اخرج منها، وفيه تقوم الساعة .

النصح ثقيل، فغلفه بالحكمة واللين ، كما تغلف الدواء المر بالغلاف الحلو، لتقبله النفوس:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[آل عمران:٧٣-٧٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٧٦) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٥٦).

وقال الله عز وجل:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقال الله ﷻ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[آل عمران :١٥٩ -١٦٠] .

من ظُلم من الخلق فله خالق يدافع عنه، ويغار عليه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾[الحج:٣٨] .

فمن ظُلم من الخلق فله خالق يغار عليه، ويكون معه علي من ظلمه، ولو علم الظالم ما أعده الله للمظلوم لضن عليه بالظلم : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾[الفرقان:١٩] .

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي:« يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا ، فَلَا تَظَالمُوا »رواه مسلم(١) .

التقوى فعل ما أمر الله به، وتركه ما نهى الله عنه، ابتغاء مرضات الله .

التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك .

والإحسان أن تفعل ما أمرك الله به، وتتجنب ما نهاك الله عنه، وتزيد فوق ذلك من جنس ما أمر الله فتتبع الفرائض بالنوافل ، وتتبع الواجبات بالسنن : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل:١٢٨] .

لما مات عم النبي ﷺ أبوطالب، وزوجته خديجة، في عام واحد، سمي عام الحزن؛ لأن النبي ﷺ فقد الحماية الداخلية، والحماية الخارجية .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

فذهب إلي الطائف، ولكن أهلها طردوه وضربوه وشتموه، فرجع مهمومًا إلي مكة، فلم يستفق إلا بقرن الثعالب، ثم جاءته الكرامات، وصلى بالجن، ثم دخل مكة، ثم أُسري به إلي بيت المقدس، ثم عُرج به إلي السماء، ثم فرض الله عز وجل عليه خمس صلوات كما قال سبحانه :﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

إذا رأيت في القران وما أدراك، فاعلم أنه سيدريك، كما قال تعالي : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ [القارعة: ٥-١] .

وقال عن النار: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة: ١٠ -١١]

وإذا قال وما يدريك فاعلم أنه لن يدريك ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الأحزاب:٦٣] .

العلم ثلاثة أقسام :

علم يقين .. وعين يقين .. وحق اليقين .

فإذا اخبرنا الله عن الجنة والنار فهذا علم اليقين، يجب التصديق به ، فإذا رآهما الخلق فهذا عين اليقين ، فإذا دخلوهما فهذا حق اليقين ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾[التكاثر:٥-٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[الواقعة: ٩٥ – ٩٦]

أخر ما يدخل الإنسان هو الروح، وذلك حين يتم الجنين أربعه أشهر، فيرسل الملك إليه ويؤمر بنفخ روحه، ثم يؤمر أن يكتب رزقه، واجله، وعمله، وشقي أم سعيد .

وأول ما يخرج من الإنسان عند الموت هو الروح : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الواقعة:٨٣-٨٧] .

والروح من علم الله الذي لا يعلمه إلا هو : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

الله ﷻ جعل الجبال للأرض أوتادًا ترسيها لئلا تميد ، وجعل الجبال أوتادًا تُمسك القبة الهوائية على الأرض كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾[النبأ:٦-٧] .

الله ﷻ أنعم على الخلق بكل نعمة، النوم نعمة من نعم الله، واليقظة نعمة من نعم الله، والحياة نعمة، والموت نعمة، والشمس نعمة، وكل ما في الكون من المخلوقات نعمة أنعم الله بها على خلقه:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾[النبأ:٦-١٧].

النوم قطعٌ للإنسان عن الحركة المؤقتة، والموت قطع للحياة في الدنيا أبدًا، والنوم ردع ذاتي منبه للإنسان أنه غير صالح للحركة مؤقتاً، والموت ردع ذاتي منبه للإنسان أنه غير صالح للحركة أبداً، وذلك من آيات الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ

عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[الزمر: ٤٢] .

إلهٌ بغير عمل، إلهٌ بغير منه، إلهٌ بغير ثواب ولا عقاب، إلهٌ لا يعلم بمن يعبده . كل هذا اله باطل ، والإله الحق هو الله وحده لا شريك له:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾[فاطر: ١٣ – ١٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم:٤٠] .

الله عز وجل أبدع الخلق بقدرته ، وأودع فيه أسراره بحكمته، وعم خلقه جميعًا برحمته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] .

وإذا علمتم بذلك عظمتم الله، وكبرتموه، وأحببتموه، وعبدتموه وحده لا شريك له : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[البقرة:١١٧] .

فسبحان من عم خلقه جميعًا برحمته : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر: ٢٢] .

إذا أمنت بالله ربًا خلقك ورزقك، فأمن به إلهًا تطيعه فيما أمرك به ، وتصدقه فيما أخبرك به ، وتؤمن بما وعدك به :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الشمس سراج وهاج : ﴿ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾﴾[النبأ:١٣] .

والقمر سراج منير : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾[الفرقان: ٦١]
الشمس فيها إنارة وحرارة ، والقمر فيه إنارة وبرودة : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾[الإسراء:١٢] .
سماء الدنيا وأرضها سماء وأرض معاش، وسماء الآخرة وأرضها سماء وأرض معاد، وأرض المعاش أرض أسباب، وأرض المعاد النعم فيها بغير أسباب:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[إبراهيم:٤٨] .
الله رب السماوات والأرض ومن فيهن، والإنسان سيد الخلق : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠] .
والنبي ﷺ سيد البشر : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]
حكمة اليوم الآخر أن الإنسان المؤمن يُكرم، والإنسان الكافر يُهان، ويبلغ فيه المؤمن أعلى درجات النعيم: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧] .
وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾[طه: ٧٤-٧٥] .
وقال الله عز وجل:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[النجم:٣١] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾[الكهف: ١٠٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾[النساء:٥٦] .

فهو سبحانه القادر على كل شيء، يبدأ الخلق ثم يعيده، إظهارًا لقدرته، وتنبيهاً لبريته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾[الروم:٢٧] .

ولو أن الله، ما خلق اليوم الآخر، لكان الكافر أحظ من المؤمن ؛ لأن المؤمن قيد حركته بأوامر الله ، والكافر أطلق جوارحه في شهوات نفسه ، فمن عدل الله ورحمته أن خلق دارًا يجزي فيها المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته:

﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ ﴾[القلم: ٣٥-٣٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

العهد هو العقد الموثق الذي يجب على العبد الوفاء به، وهو أقسام :

الأول: أن يكون بين الإنسان وربه بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾[الإسراء:٣٤] .

الثاني: أن يكون العهد بين العبد وبين الخلق، وهي عقود النكاح والبيوع ونحو ذلك .

الثالث: أن يكون بين العبد وبين نفسه كالنذر ونحوه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ ﴾ [المائدة:١] .

فهذه العهود كلها يجب الوفاء بها.

- العقود جمع عقد، والعقد يكون بين طرفين .

والعقد مع الله قسمان :

الأول : عقد الذر، يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: ١٧٢] .

والعقد الثاني : عقد الخلافة، فالإنسان مستخلف في الأرض والخليفة ينفذ أوامر المستخلف بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:٣٠]

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص:٢٦] .

الله عز وجل له ملك السموات والأرض جعل بيته العتيق في مكة، وجعل لبيته العتيق فناءًا، وهو المسجد الحرام، وجعل للحرم فناءًا، وهو المواقيت وجعل للمواقيت فناءًا، وهو جزيرة العرب، فلا يجوز لليهود والنصارى أن يدخلوا جزيرة العرب، لئلا يجتمع في جزيرة العرب دينان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[التوبة: ٢٨] .

من جاء قاصدًا ربه، ومعظمًا له ولبيته العظيم، فعليه أن يجتنب كل ما يشغله عنه من قتل الصيد، وقطع الشجر، ووطء النساء ومس الطيب وغير ذلك مما

يشغله عن ربه أثناء الإحرام: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران: ٩٦ – ٩٧]

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة:٩٧] .

شعائر الله هي جميع معالم الدين، زمانية كانت، أو مكانية، أو حُكمية، ولكن غلبت على مناسك الحج والعمرة .

الإحرام بالحج والعمرة انعزالٌ عن النعمة، بقصد المُنعم إجلالا له، وتعظيمًا له وتعظيمًا لبيته، وتعظيمًا لإحكامه، وكف الجوارح عن الانشغال بغير ذكره، وتنفيذ أوامره : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾[البقرة:١٩٦] .

في الإحرام سلامٌ مع الجماد، وسلام مع النبات، وسلام مع الحيوان، وسلام مع الإنسان، في وقت معين وإسلام بترك كل شي تمهيدًا لنزول السلام في كل شيء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٨] .

فالله عز وجل أشاع السلام في الحرم، وفي الإحرام، وفي الأشهر الحرم، ترغيبا للإنسان في السلام في جميع أحواله، فضلا من الله، وإكراما لهذا الإنسان، ليدخل بالسلام إلى دار السلام :﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٧] .

١٠- الفصل العاشر

أوامر الله ﷻ ، أفعل كذا، ولا تفعل كذا ، فأفعل الواجب والمسنون، ولا تفعل المحرم والمكروه، وما سوى ذلك مباح، يستوي فعله وتركه ، فإن نويت به التقرب إلى الله صار عباده لله عز وجل .

قال النبيﷺ: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى »أخرجه البخاري[1] .

فأوامر الله هي شريعته:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] ..

وقال الله عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة:٩-١٠] .

مصائر أهل الإثم لابد أن تنتهي بمأساة في النفس ، أو المال ، حتى لا تفسد الحياة ، فإن العاقبة للمتقين ، والتدمير للظالمين ، كما حصل لفرعون مع ملكه ، ولقارون مع ماله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف:٥٥] .

وقال سبحانه عن قارون : ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[القصص:٨١] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١).

إذ قال الله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[المائدة:٣] .

أو﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة:١٨٣] .

أو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦] .

هذا الأسلوب يقرر أن الإنسان له علاقة في هذه الأحكام، فالله حرم الميتة، والإنسان شريك في طاعة من حرم، والله كتب الصيام، والإنسان شريك في طاعة من كتب الصيام، فحرمت من الله، وكتب من الله كإله، ومنك كمؤمن يجب أن تطيع الله، الذي كتب، أو حرم:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء: ٦٩ – ٧٠].

الموت أن يموت الحي بدون نقض بنية ، والقتل أن يموت بهدم البنية ، بالذبح ، أو القتل ، أو الانتحار ؛ لأن الروح لا تحل إلا في جسد سليم البنية ، والله وحده بيده الحياة ، فالذي يملك الحياة ، هو الذي يملك الموت : ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾[يونس:٥٦] .

فالموت خروج الروح أولًا ، والقتل هدم سكن الروح أولًا .

مهمة العقل الذي أكرمك الله به أن يوصلك إلى الطبيب، لا أن يعارض الطبيب ، فكذلك مهمة العقل، أن ينتهي إلى معرفة الإله، والإيمان به، ثم يخضع له في كل ما أمر به، ولا يعارضه؛ لأنه لا إله غيره ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥] .

المريض يؤمن بالطبيب، وينفذ أمره، مع أنه بشر يخطئ، ويصيب، وكذا المؤمن، يؤمن بربه، وينفذ أمره، الذي لا أحسن منه :﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١ ﴾[الأنعام:٧١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢ ﴾[البقرة:١١٢] .

العقل كالمطية، يوصلك إلى باب السلطان، ولكنه لا يدخل معك عليه، وكذلك العقل يوصلك إلى الله، وذلك بالنظر في الآيات الكونية ، والتدبر في الآيات القرآنية، فالعقل يوصلك إلى الله ، ولكن ليس لك مع الله أمر، بل عليك طاعته:﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٦-٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

الماشي على الأرض مسبح يمشي على مسبح، والكحة مسبح في فم مسبح، والصوت مسبح دخل لسان في مسبح، فكل شيء يسبح بحمده، ويخضع لأمره، ويستجيب لمشيئته، ويشهد بوحدانيته ، من العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السموات ومن فيهن، وإلى الأرضين ومن فيهن :

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤] .

كل ما في الكون منعمٌ، ومنعمٌ عليه:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

ومقومات حياة الإنسان والحيوان ثلاثة :

الطعام ..والماء ..والهواء .

وهذه من أعظم نعم الله المادية على الخلق .

فالإنسان في الطعام يستطيع أن يصبر إلى ثلاثين يومًا؛ لأنه يتغذى عند الجوع من الشحم المخزون في جسمه ، يستخدمه حين لا يجد الطعام، فالإنسان عند الضرورة يتغذى من الشحم، ثم من اللحم، ثم من نقي العظام بما فيها من الدهون .

أما الماء فيتغذى من ماء جسمه إلى عشرة أيام، أما الهواء فلا يستطيع الإنسان الصبر عنه، إلا مقدار الزفير، والشهيق: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

ومن رحمة الله أن جعل الهواء مبذولًا في كل مكان، ولا يملكه أحد إلا الله، فالحياة أساسها النفس، والنفسُ، والنفَس، والنفيس ثلاث كلمات .

فالنفسُ هي نفس الإنسان، وأساسها حياتها النفَس، فيجب على النفس أن لا تكون حياتها إلا من أجل الشيء النفيس، وهو الإيمان، والتقوى، ورضوان الله ، والجنة : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١ - ١٦٣] .

بسم الله والله أكبر، نقولها عند الذبح باسم من ذللها وأباحها لنا نذبحها، والله أكبر مني ومنها: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الحج: ٣٦] .

الاستقسام بالأزلام كان موجوداً في الجاهلية، وقد أمر الله عز وجل باجتنابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

والاستقسام طلب القسمة، وكان عند أهل الجاهلية ثلاثة أزلام :

مكتوب على واحد : أمرني ربي .

وعلى الثاني نهاني ربي .

والثالث غفلٌ لا كتابة فيه، فإذا خرج له أعاده مرة أخرى ، حتى يخرج أمرني، أو نهاني، ثم يسافر، أو يتزوج، أو يمتنع، أو يبيع، أو يشتري، ونحو ذلك من الأمور التي سنها الشيطان لبشر .

فجاء الله عز وجل بهذا الدين العظيم ، الذي شرعه الله لنا ؛ لنتلقى الأوامر من ربنا ، لا من أهواء أنفسنا :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤] .

الصحابة رضي الله عنهم حفظوا آيات القرآن في الصدور، وكتبوها في السطور، وزيد بن ثابت ﷺ كان لا يكتب آية من القرآن، حتى يجدها في السطور مكتوبة ، ويشهد عليها اثنان حفظوها في الصدور ، فجمع الله القرآن على يده بهذا الشكل :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

أكمل الله لهذه الأمة دينها ، فيئس الكفار من إتمامه ؛ لأنه تم ، ويئسوا من نسيانه ؛ لأنه محفوظ في الصدور ، والسطور :﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣] .

إذا قال الله في القرآن :

يا أيها الناس، فهو يدعو الناس إلى أن يؤمنوا بالله ، ويعبدوه وحده ، لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١]

وإذا قال سبحانه: يا أيها الذين آمنوا، فهو يدعو المؤمنين إلى عملٍ أوجبه على من آمنوا، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

- **نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى ، ويتعلق بالنعمة ثلاثة :**

المُنعم بكل نعمة ، وهو الله .. والنعمة .. والمُنعم عليه ، وهو ما سوى الله .

قال الله عز وجل :﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

فالمُنعم هو الله ، الذي أنعم بكل نعمة : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

والنعمة هي ما خلقه الله من النعم ، وما مّن به من الدين .

والمُنعم عليه هو الإنسان ، وغيره : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل: ١٨] .

فالمُنعم غفور رحيم ، والمُنعم عليه من البشر ظلوم كفار : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] ..

الأمة إذا آمنت بالله ، وعملت بشرعه ، أمنت وسعدت في الدنيا ، والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وإذا كفرت، وخالفت أوامر الله، اضطربت، واحترقت، كما يحترق الكهرباء إذا خالفنا أصوله ، ويحرق ما سواه : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٤] .

كل ما أمر به الله عز وجل فهو خير، وكل ما نهى الله عنه فهو شر، وكل ما أحل الله فهو طيب، وكل ما حرم الله فهو خبيث، فمن أخذ الخير، والطيب، واجتنب الشر، والخبيث ، فقد أفلح، ونجا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

ومن خالف خاب وخسر: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٢-٣٣] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى، والله ﷻ سريع الحساب في الدنيا، يجازي من أحسن، ويعاقب من أساء ، وسريع الحساب في الآخرة، فيحاسبهم جميعًا في لحظة واحدة، كما يرزقهم جميعًا في لحظة واحدة: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾[الرعد:٤١] .

وكل عمل يعمله الإنسان في الدنيا ، إن كان مؤمنًا ، فأن الله يجزيه به سعادة في الدنيا ، وجنة في الآخرة﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾[الكهف: ١٠٧] .

وإن كان كافرًا ، فكل ما عمله من الأعمال الصالحة بدون إيمان ، فأنه يجازى عليه في الدنيا بصحة في البدن ، وكثرةً في المال ، والولد ، وليس له في الآخرة من نصيب ؛ لعدم إيمانه:﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[الفرقان: ٢٣] .

فكل عمل صالح لا إيمان معه لا قيمة له:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾[النور:٣٩] .

الله ﷻ قد أباح لنا الطيبات، وأباح لنا طعام الذين أوتوا الكتاب، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾[المائدة:٥] .

فطعام الذين أوتوا الكتاب حل لنا ، إذا كان مما أحل الله في شرعنا ، ونساء أهل الكتاب حلٌ لنا ، إذا كن مما أحل الله في شرعنا .

والمسافحات هن من تزني مع كل إنسان ، والأخدان الصديقات الخليلات التي تزني مع الرجل وحده ، ومن كفر بالله ، أو كفر بكتابه ، أو كفر بحكم من أحكامه ، فقد حبط عمله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة:٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الزمر: ٦٥] .

من نفع البشرية كالأطباء ، والمخترعين ، والمهندسين ، فهؤلاء عملوا للإنسانية عملًا نافعًا ، ولم يكن الله في بالهم ، فلم يؤمنوا به ، فأعطتهم البشرية أجرهم بالتقدير ، والشهادات ، فليس لهم حظ في الآخرة ، إن لم يؤمنوا بالله ، فهم كمن أحسن إلى الناس ، وعق أباه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور:٣٩] .

الصلاة استدامة طاعة للخالق، الذي آمنت به، الذي أمدك بكل خير، وصرف عنك كل شر، فهذا الرب العظيم لابد أن تتصل به، كل يوم خمس مرات، تكبره، وتحمده، وتسأله، وتستغفره، وتقدم التحية له لعظيم إحسانه: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وهذا الاتصال لابد أن يسبقه إعدادات .

إعداد بدني بالطهارة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾[المائدة:٦] .

فالاتصال بالله في الصلاة ، لابد أن يسبقه إعدادات، إعداد بدني بالطهارة، وإعداد روحي بإخلاص النية لله، وإعداد مكاني بمكانٍ طاهر، وإعداد زماني في وقت الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء:١٠٣].

وإعداد اتجاهي باستقبال القبلة : ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة:١٤٤] .

وقال الله عز وجل:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢] .

وشرع الله الصلاة خمس مرات، وأمر بها أمرًا لازمًا؛ ليقطع الإنسان سبيل الغفلة عنه، وأخذه من الانشغال بالنعم إلى عبادة المنعم ، فيكبر ربه، ويعظمه، ويحمده، ويشكره، ويسأله، ويستغفره، ويقدم التحية له، ليزيده، ويوالي عليه نعمه.

وكل ما كانت معرفة العبد بربه أكثر، كانت عبادته أحسن، وأتبع الفرائض بالنوافل:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي:« وما تقرب إليّ عبدي بأفضل من الفرائض، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ »رواه البخاري[1] .

تقسيم الدين الى عبادات ، ومعاملات تقسيم فقهي، تصنيفي، وإلا كل شيء أمر الله به فهو عبادة : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦١ – ١٦٣]

وقال سبحانه: ﴿ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] ..

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

غِذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَـوْءِ القُـرْآنِ وَالسَّـنَةِ

الباب الثالث

ويشتمل على الفصول التالية :

١ – الفصل الأول

٢ – الفصل الثاني

٣– الفصل الثالث

٤ – الفصل الرابع

٥ – الفصل الخامس

٦ – الفصل السادس

٧– الفصل السابع

٨– الفصل الثامن

٩ – الفصل التاسع

١٠ – الفصل العاشر

غِذاءُ القُلُوبِ

الباب الثالث

١ - الفصل الأول

محبة الله للصلاة ، وحبه لاتصال عبده به .

فرض الله الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففها إلى خمس بأجر خمسين، وأكد وجوبها في أوقاتٍ عظيمة قبل طلوع الشمس، وعند استواء الشمس، وعند غروب الشمس، وفى ظلمة الليل، وعند قرب ظهور النهار: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

والله عز وجل يحب استدامة اتصال المسلم به، ولهذا أباح لنا التيمم عند فقد الماء، أو العجز عن استعماله، ليتصل المسلم بربه فيكبره، ويحمده، ويسأله، ويستغفره ويقدم التحية له؛ لأن الماء محصورٌ، والتراب غير محصورً في مكان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[المائدة:٦] .

- **وأنواع الطهارة كثيرة :**

أحدهما: طهارة بالماء لأربعة أعضاء مع المضمضة ، والاستنشاق .

الثاني: طهارة بالتيمم للوجه ، واليدين .

الثالث: طهارة شاملة بالغسل من الجنابة، أو الحيض بالنسبة للمرأة بالماء إن كان موجودًا، أو بالتيمم إن كان غير موجودًا : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥] .

والطهارة أن تكون صالحًا لمناجاة ربك في الصلاة بالتطهر بالماء، أو التراب إن لم تجد الماء، على الكيفية المشروعة، أما النظافة فهي غسل البدن من الأوساخ بالماء .

فالطهارة الشرعية تطهر بما منه خلقت ، وهو الماء، أو التراب على الكيفية المشروعة، فالطهارة غير النظافة .

من تمام النعمة على المؤمنين أن الله أذن لهم بالاتصال به في الصلاة، فبعد أن عشتم مع نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، يريدكم أن تنعموا بمناجاته، والوقوف بين يديه، فتكبروه، وتحمدوه، وتشكروه، وتسألوه، وتستغفروه، وتقدموا التحية له، وتروا من أنعم عليكم، وتقفوا بين يديه بالخضوع، والخشوع، والدموع:﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[المؤمنون:١-٢] .

أن تخشع بقلبك ، والدموع أن تبكى بعينيك : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾[الإسراء: ١٠٩]

فسارع أيها المؤمن للاتصال بربك:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾[الجمعة:٩-١٠] .

الله عز وجل أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى ، وفى الصلاة يأخذنا الله عز وجل من النعمة إلى المنعم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، فنقول الله أكبر، فنرى المنعم بعد تنعمنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ونكون في حضرته ، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ، والنفوس إذا تنعمت بالنعمة أحبت، واشتاقت أن ترى المنعم ؛ لتشكره ، وتكبره ، وتحمده : ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾[المائدة:٦] .

يجب علينا أن نشكر الله على كل نعمة، ونعم الله لا تعد ولا تحصى .

وأصولها ثلاث نعم :

نعمة الخلق والإيجاد .. ونعمة الأقوات والإمداد .. ونعمة الهداية والإسعاد: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

الميثاق هو العهد المؤكد بين طرفين، والميثاق بين الله وخلقه هو الدين .

والميثاق ينقسم إلى قسمين:

الميثاق الأول : بين العبد وربه بالإقرار لله بالربوبية ، وللإنسان بالعبودية ، وهذا ميثاق الذر والفطرة قبل أن توجد النفس ، وشهواتها ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤ ﴾[الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

والميثاق الثاني : ميثاق العقل الذي نستدل به على الخالق ، وهو الميثاق الذي جاء بواسطة الرسل بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له .

فالأول: ميثاقٌ فطرى بالإيمان بالله عز وجل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

والثاني: إيمانٌ كسبي بالإيمان بما جاءت به الرسل ، والنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [المائدة:٧] .

رضا الله عز وجل على العبد بحسب قوة إيمانه ، وتقواه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

وغضب الله على العبد بحسب قوة كفره ، وفجوره : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء:٥٦] .

والجنة جندي من جنود رحمة الله ، والنار جندي من جنود غضب الله، والنجاة منها بتقوى الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم: ٧١ – ٧٢] .

التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، لا يجدك حيث نهاك .

والتقوى أن تجعل بينك وبين صفات الجلال لله وقاية .

فالتقوى صفة جمال ، وهى فعل الأوامر ، واجتناب النواهي، ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

الله عز وجل أمرنا أن نكون قوامين لله بالعبادة، والدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق، وغير ذلك من الأعمال في جميع الأوقات: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦١ – ١٦٣]

والمجتمع الإسلامي يريد الله منه أن يكون أصحابه بين قوام ، وقائم ، ومقيم ، وقيام، بين يدي الله تكبيرًا ، وحمدًا ، وسؤالًا ، واستغفارًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[المزمل: ١-٤] .

وقيّامٌ بين يدي الناس بالدعوة ، والتعليم والإحسان : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[المدثر: ١- ٣] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله ﷻ:﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

وقال الله ﷻ:﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥] .

الله عز وجل يأمرنا لنعف أنفسنا، ونواسي غيرنا، أن نعمل بقدر الطاقة، لا بقدر الحاجة، حتى تتسع دائرة أرزاقنا لنا، ولغيرنا بزكاة، أو صدقة، أو هدية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟

ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة:٩-١٠] .

المسلم قائمٌ بأمر الله، وقوامٌ بجميع أوامر الله، ومقيم لأمر الله على نفسه، وعلى غيره، ومقيم للخلق بالدعوة؛ ليعبدوا الله، وليقوموا بأمر الله، ويعملوا بما شرع الله:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

القول في اللسان ، والفعل في الجوارح ، ويجمعهما العمل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الصف:٢] .

وقال الله ﷻ:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

- **أعظم جنود الله عشرة :**

الجبال الراسيات، ثم الحديد يقطع الجبال، ثم النار تذيب الحديد، ثم الماء يطفئ النار، ثم السحاب يحمل الماء، ثم الرياح تحمل السحاب، وابن آدم يغلب الريح، ثم السكر يغلب الإنسان ، ثم النوم يغلب السكر، ثم الهم يغلب النوم .

فهذه أشد جنود الله ، وأشدها الهم: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾[الفتح: ٧].

- **الدين ركنان :**

عبادة الحق .. والإحسان إلى الحق: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ

ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء: ٣٦] .

فعبادة الحق تكون بالذكر ، والتكبير ، والاستغفار ، والحمد ، والشكر ، والدعاء ، والصلاة ، ونحوها من أنواع العبادات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

والإحسان إلى الخلق يكون بالدعوة إلى الله ، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى المحتاج، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والهدية، والصدقة، والزكاة ، والقرض الحسن ، والنصح ، وبذل المعروف وكف الأذى، وغير ذلك من أعمال البر :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال النبي ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ " للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

القرض أفضل من الصدقة ؛ لأن الإنسان كلما صبر أثابه الله ، والمقترض محتاج، أما المتصدق عليه فقد يكون غير محتاج كحاجة المقترض، والله عز وجل ولى النعم كلها ، وطلب منا القرض ، وهو الغنى عن كل ما سواه ؛ لأنه قدر ، واحترم حركة الإنسان وجهده في كسب المعاش ، وجعل القرض له ، وهو لغيره، ترغيبًا في الإقراض، وقضاء الحاجات: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[البقرة:٢٤٥] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[التغابن:١٧-١٨] .

اليمين، والشمال مظلة، وخير الأمور الوسط : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣] .

الإبرامُ ربط، والنقص فك، ومن نقص عهده مع الله بالكفر بعد الإيمان ، فقد استحق لعنة الله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣] .

مراتب الضلال عند أهل الكتاب ، أنهم نسوا حظًا مما ذكروا به، والذي لم ينسوه كتموا بعضه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[البقرة:١٥٩] .

والذي لم يكتموه حرفوه : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[النساء:٤٦] .

وقالوا هو من عند الله ، وهو من عند غير الله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة:٧٩] .

من كان في معية الله فلا يخاف أحدًا، من كان في معية الله لا تدركه الأبصار ، لا تراه الأبصار، من كان في معيته الله فليبشر بالأمن والحفاظة والنصر: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

[التوبة:٤٠] .

لكل جارحة في الإنسان عمل ، وللقلوب عمل .

فعمل القلوب التوحيد ، والإيمان ، واليقين ، والتوكل على الله .

وعمل الجوارح الأذن تسمع، والعين تنظر، واللسان يتكلم، واليد تعمل، والرجل تمشى، فلكل جارحة مهمة إيمانية تقف عندها، فالتوكل بالجوارح نعمل، والقلوب تتوكل:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

٢- الفصل الثاني

النعمة اسم جنس يشمل جميع النعم المادية ، والروحية ، الدنيوية ، والأخروية، وذكر النعمة يؤدى إلى شكر المنعم بها ، والاستحياء من معصية المنعم جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم:٣٤] ..

ونعم الله على عباده لا تعد ، ولا تحصى .

والنعم تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : نعمٌ مادية خارجية من الطعام ، والشراب ، والنور ، والهواء ، وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

والثاني : نعمٌ داخلية في الإنسان من حسن الخلق، والعافية، والسمع ، والبصر، والعقل، وسائر الجوارح:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤- ٦] .

وقال الله ﷻ:﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨] .

والثالث : نعمٌ قلبيةٌ من التوحيد ، والإيمان ، والتقوى :﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله ﷻ:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧] .

لهذا وجب شكر الله على هذه النعم العظيمة : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[الفاتحة: ٢-٤] .

وقال الله ﷻ:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ ﴾[فاطر: ١] .

وقال الله ﷻ:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام: ١] .

وقال الله ﷻ:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف:١] .

الله ﷻ هو المؤمن الذي خلق الأمن ، ومنّ به على كل مؤمن ومؤمنة : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴿٤﴾ ﴾[قريش:١-٤] .

وجعل الحرمُ أمنًا إرادة شرعية أي اجعلوه آمنا؛ لأنه بيتُ المؤمن الذي خلق الأمن ، ومنّ به على من شاء من عباده: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٧] .

الإرادة الكونية هي ما لا اختيار لنا فيه كطولنا ، ولوننا ، ونوعنا ، والإرادة الشرعية هي ما لنا فيه اختيار أن نفعله ، أو لا نفعله ، كما قال سبحانه : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾[آل عمران:١٥٢] .

وخيرنا في ذلك فقال : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾[الكهف: ٢٩] .

الجبار هو الذي يقهر، ولا يُقهر الذي يكون فعلاً لما يريد ، وقد يكون مكرهًا للخلق على ما فيه صلاحهم، الذي يستعمل جبروته في الخير ، فيقهر الأعداء عنا ، الذي يبتلينا ؛ ليصلحنا ، الجبار الذي يجبر قلوب المنكسرين ، والجبار صفة ذاتيه للرب ، فهو جبار السموات والأرض ، وهو جابر قلوب المنكسرين بين يديه ، فالجبار صفة جلال وجمال: ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ ﴾[الحشر: ٢٣] .

إذا كانت إرادتك تفعل بها ما تريد من قيام ، وقعود ، وعمل ما تشاء ، فاعلم أن الله بإرادته يفعل ما يريد : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ﴾[هود: ١٠٧] .

فالملكُ ملكه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ، وإليه يُرجع الأمر كله ، والله كريم وهبك هذه الإرادة ، فاشكره ، واعلم أنه يفعل ما يريد : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾[يس:٨٢] .

الله عز وجل خلق الخادم قبل أن يخلق المخدوم ، فالله خلق الدنيا بما فيها من أرضٍ ، وجبال ، وبحار ، وخلق المخلوقات قبل أن يُنزل آدم ، وذريته ، وجعلها قبله ؛ ليعلم ويشكر الرب الذي خلقه ، وخلق كل شيء من أجله ، وجعله سيدًا لهذا الكون بما فيه من عالم الجماد ، والنبات ، والحيوان: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة:٣٠]

وقال الله ﷻ:﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

عطاء الربوبية عامٌ للكافر ، والمسلم ، والحيوان ؛ لأنه لا رب للخلائق إلا الله الذي خلقهم ، وهو يربيهم بنعمه، لكمال ذاته ، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله، وعطاء الألوهية عطاءٌ فوق ذلك ، وهو التكليف بامتثال أوامر الرب الذي أعطى ، والذي يسعد به الإنسان في الدنيا ، والآخرة :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله ﷻ:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[المائدة:٣] .

الله ﷻ هو الحي الذي أحيا كل حي ، وبيده الحياة ، والموت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران: ٢] .

هو الحي الذي بيده الحياة والموت:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:١-٢] .

وقال الله ﷻ :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٠] .

والحياة تنقسم إلى قسمين :

الأولى : حياة حيوانية ، وتحصل بالنفخ للروح في البدن ، وهذه يشترك فيها الحيوان ، والإنسان ، كما قال الله عز وجل للملائكة : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص:٧١-٧٢] .

الثانية : حياة إيمانية ، وتحصل بمعرفة الله ، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له ، كما قال سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

فللحياة البدنية لابد من نفخة الروح من الرسول الملكي ، فإن الملك يرسله الله عز وجل إذا بلغ الجنين أربعة أشهر ، فينفخ فيه الروح ، ثم يؤمر بأربع كلمات رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقيٌ ، أو سعيد .

وللنجاة في الدنيا والآخرة لابد من نفخة الرسول البشري بقبول ما جاء به من الدين الحق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

الحياة في الدنيا تنتهي بالموت ، والحياة في الآخرة لا تنتهي أبدًا : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤] .

كل مخلوق من المخلوقات يتكاثر، لابد أن يكون من زوجين من النبات ، والحيوان ، والإنسان . فخلق الله آدم ﷺ ثم خلق من أحد أضلاعه حواء ، ثم بث منهم الرجال ، والنساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النساء:١] .

كل شي يتكاثر أنشأه الله من زوجين متباعدين، وتفرده و بالوحدانية: ﴿ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤] .

فكل شيء يتكاثر أنشأه الله من زوجين متباعدين ، فالبشر الرجل والمرأة ، والحيوان الذكر والأنثى ، والنبات لقاح الذكر للأنثى ، والجماد التقاء العنصر بالعنصر: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات:٤٩] .

الصلاح هو بقاء الصالح على صلاحه ، وزيادة صلاحه ، والفساد إخراج الصالح عن صلاحه .

والفساد في الأرض ينقسمُ إلى قسمين :

الأول : فسادٌ في الكون من جمادٍ ، أو نباتٍ ، أو حيوان بأن يفسدها الإنسان بحرق ، أو تخريب ، أو قتل، أو تدمير، فهذا فسادٌ عظيم قد نهانا الله عنه بقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[الأعراف: ٥٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

الثاني : فسادٌ في البشر بالقتل ، أو الرعب ، أو التجويع ، أو الكفر ، أو فساد الأخلاق ، أو غصب الأموال ، أو انتهاك الأعراض ، وهذا الفساد أعظمه ، والإنسان سيد المظروفات في الأرض ، والأرض ظرفٌ للمخلوقات التي عليها ، ولهذا قتل الإنسان الوحد كقتل الناس جميعًا ، وإحياؤه كإحياء الناس جمعيًا ، لأنه خليفة في الأرض ، والاعتداء على الخليفة اعتداء

عظيم، وجرم كبير: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[المائدة:٣٢-٣٤] .

أعظم الحروب هي محاربة الله ، و رسوله ، وأول حرب لله أن تستولي على حقه في ملكه ، وهو التشريع نخلقه ، فتشرع بهواك ، وتستبعد شرع من خلقك ، وسواك:﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[المائدة:٤٩-٥٠] .

فالحكمُ بيد الحاكم الحكيم وحده لا شريك له ، الذي يحكم خلقه بما يشاء : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يوسف:٤٠].

ومحاربة الرسول ﷺ أن تقاتله على ما جاء به من الحق في حياته ، كما فعل المشركون، فالله أهلكهم ، وابقي دينه إلى يوم القيامة .

فمحاربة الرسول ﷺ أن تقاتله على ما جاء به من الحق في حياته ، وتحارب سنته ودينه بعد موته بتركها ، وإتباع هواك .

ومن حارب الله ورسوله ، فقد حارب في أعظم شيءٍ يجلب له الخسارة في الدنيا ، والآخرة ، وهو أن تستولي على سلطانه في التشريع:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ

ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥] .

وقال الله ﷻ:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾[المائدة: ٣٣ - ٣٤].

من مصلحة الإنسان الخير أن ينشر خيره للناس فيدعو الناس إلى الإيمان بالله: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم:٥٢] .

ويعلم الناس شرع الله :﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩] .

ويحسن إلى الخلق بأنواع الإحسان: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[البقرة:٨٣] .

إذا أخذت ما ليس لك ، سلب الله منك ما كان لك ، ومن سرق تقطع يده ؛ ليكون عبرة لنفسه ، ولغيره : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[البقرة:١٧٩] .

ومن أخذ غير حقه حرم الله عليه ما كان مباحًا له ، ومن سرق مال غيره منع عطاءً له من غيره لو لم يسرق ، وابتلى بصرفه فيما يحزنه:﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء: ١٢٣]

والذي سرق أخذ رزقه من حرام، ولو صبر لجاءه رزقه حلالاً فى مكانه .

والله عز وجل بصير بالعباد خلق الخلائق ، وقد أرزاقها مكانًا ، و زمانًا ، وكميةً ، ونوعية ، ورزقك يعرف عنوانك ، وأنت لا تعرف عنوانه ، فاطلب الرزق بوجوه مشروعة ، وانتظر الفرج ، فإنه سيأتيك ما قسم الله لك من رزقك :﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾[هود:٦] .

من تمرد على منهج الله فعصاه ، فلن يستطيع التمرد على قدر الله له في خلقه ، وجنسه ، ولونه ، ونوعه، وعافيته، ومرضه، أو موته ، فيجب على الإنسان كما خضع لربه في خلقه، أن يخضع لربه في شرعه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

كل مؤمن ، وكل عالم ، وكل داعٍ إلى الله سيقول الناس فيه ما ليس فيه، ليتوجه إلى ربه الذي آمن به، ويشكوا حاله إليه:﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ ﴾[الحجر:٦].

والله الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، و الأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى لم يسلم من الكفر به، والإشراك به ، والكذب عليه: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[آل عمران: ١٨١] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة: ٦٤] .

وقال الله ﷻ:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[المائدة: ٧٣] .

وذلك لأن المؤمن مبتلى إما بالشكر ، أو بالصبر : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠] .

في الدنيا نؤمن بالله ، ونعبده ، ونعمل من أجله، ابتغاء مرضاته : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وفى الآخرة نراه سبحانه، ونكون في ضيافته : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

الله عز وجل يريد القلب لا القالب ، ويريد القيمة لا القامة ، ويريد الحقيقة لا الصورة : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

وإذا صلح القلب بالإيمان صلح الجسد بالأعمال الصالحة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾

[الأنفال:٢- ٤].

والله سبحانه خلق الخلق ؛ ليشهدوا لله بالوحدانية ، ويعبدوه بموجب هذه الشهادة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

الله سبحانه أرسل رسله بالحق فيما تختلف فيه الأهواء من العقيدة ، والأحكام ، والأخلاق، أما ما لا تختلف فيه الأهواء كالتجارب العلمية ، فالناس كلهم خاضعون لها، منتفعون بها:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾[الحديد: ٢٥] .

من عرف الله الحق ، آمن بكتابه الحق ، وأطاع رسوله الحق ، وامتثل أمره الحق ، ونال ثوابه الحق﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢ ﴾[الحج: ٦٢] .

النفس ، والشيطان، يريدان من الإنسان أن يأخذ الشهوة العابرة ، في الدنيا العابرة ، والله يريد أن يمنع الإنسان من الشهوات المفسدة ، في زمن محدود ؛ ليعطيه الشهوات المصلحة ، في زمن غير محدود :﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣ ﴾[يوسف:٥٣] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾[فاطر: ٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧]

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »(١) أخرجه مسلم .

الحب قسمان :

أحدهما: حب عقلي ، وهو إيثار النافع ، وترك الضار .

الثاني: حب عاطفي ، وهو الميل القلبي .

فالله نحبه لما له من الأسماء الحسني ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، ولما له من الإحسان ، والإنعام على خلقه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥] .

والحب العقلي يتبعه الحب العاطفي : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

التدين أمرٌ فطريٌ في النفوس ، وذلك من رحمة الله بعباده: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

إذا ارتد الناس عن الدين ، فسوف يأتي الله بقومٍ يقومون بهذا الدين رحمةً من الله ، فبعد كل ردة يأتي الله بقومٍ يحبهم ، ويحبونه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٢٤).

ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة:٥٤].

الردة الكبرى كانت بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم قام أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بجهاد من ارتد ، وعاد الناس إلى الإيمان مرة أخرى ، فرضي الله عنه وأرضاه .

ثم وقعت في عهد عمر رضي الله عنه ردة واحدة ، هي ردة جبلة بن الأيهم الغساني ، الذي كان يطوف بالكعبة، ولطم أحد الصحابة ، فألزمه عمر بإقامة القصاص منه، لطمه بلطمه ، ففر وارتد إلى الشام .

يوم الولادة بالنسبة لك قوس ، ويوم الموت قوس ، وذلك كله في يد الله : ﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾[يونس:٥٦] .

وما بين القوسين هو الحياة التي خير الله الإنسان فيها أن يؤمن ، أو يكفر ، أو يطيع ، أو يعصى ، فذاك أمره الكوني ، وذاك أمره الشرعي، فكما خضعت له فيما أراد كونًا ، فاخضع له فيما أراد منك شرعًا ، تظفر بالسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧١] .

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

٣- الفصل الثالث

الله ﷻ خالق كل شيء، خلق العرش العظيم ، وخلق الكرسي الكريم ، ومن أعظم مخلوقاته المرئية مهابة وجلالة، المكان والزمان ، ولهذا حمد الله نفسه على خلقهما بقوله:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام:١] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام:١] .

فالمكان هو السموات ، والأرض ، والزمان هو الأيام ، والليالي ، فالمكان هو الفضاء الممتد الذي لا نهاية له ، والخلاء الذي لا غاية له .

أما الزمان فهو الوقت المحيط بالمكان ، فكل مكان يمر عليه الزمان ، ويمر عليه الليل ، والنهار ، فلا يخلو مخلوق منه ، والمكان ، والزمان خلقٌ من خلق الله فيهما آيات ، وعبر﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

فسبحان من وسع المكان ظاهرًا وباطنًا ، ووسع الزمان أولًا و آخرًا، المنزه عن المكان والزمان : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣] .

فهو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء .

العلو ، والعظمة درجتان من درجات الكمال لله عز وجل إلا أن درجة العظمة أعظم من درجة العلو ، وفوقهما درجة الكبرياء ، فالكبرياء رداؤه جَلَّ جَلَالُهُ والعظمة إزاره ، والرداء أعظم من الإزار ، كما قال النبي ﷺ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قذفتُه في النَّارِ » .أخرجه أبو داود[1] .

وفوق هذه الصفات كلها صفة الجلال لله عز وجل، كما قال سبحانه :﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾[الرحمن:٧٨] .

فسبحان ذي الجبروت ، والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة .

من أراد الدخول على السلطان العظيم، فيجب عليه أن يتحلى بمكارم الأخلاق بعد أن يتطهر من الأنجاس، والأدناس، وهذه حال المصلى إذا وقف أمام ربه الملك العظيم، فيقف بين يدي ربه بالتوحيد والإيمان، والخضوع، والخشوع، ويطهر نفسه مما سوى الله، فيطهر نفسه من دنس الذنوب بالتوبة، ويطهرها من دنس الحرام ، والمشتبه بتركه، ويطهرها من التفات قلبه إلى أعماله، ويطهرها من الالتفات إلى حسناته، ويطهرها من الالتفات إلى حوله، وقوته، ويقف بين يدي ربه بالذل، والافتقا، والانكسار للعزيز الجبار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٩٠)، وأحمد برقم: (٩٣٥٩) واللفظ لهما، وابن ماجه برقم: (٤١٧٤) باختلاف يسير.

إذا أردت أن تعرف عظمة الله، وكبرياءه، وعظمة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، فقبل أن نقول الله أكبر في الصلاة استحضر في نفسك جميع مخلوقات الله من عالم الأجساد، وعالم الأرواح، واستحضر في عقلك جميع ما في هذا العالم العظيم من الجماد ، والنبات، والحيوان، والمعادن، والذرات، والجبال، والبحار، وغيرها من مخلوقات العالم السفلى، ثم ترقى منها إلى سماء الدنيا ناظراً إلى عظمتها، واتساعها، ثم من سماء إلى سماء حتى تنتهي إلى سدرة المنتهى، ثم الكرسي الكريم، ثم العرش العظيم المحيط بالسموات والأرض: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس: ١٠١] .

ثم انتقل من عالم الأجساد إلى عالم الأرواح العلوية والسفلية من الملائكة ، والجن ، ثم قل الله أكبر، الله أكبر من أن يشبهه أحد من خلقه ، الله اكبر من أن تصل إليه عقول الخلق ، وأفهامهم ، و أوهامهم ، الله أكبر من أن يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته ، فطاعتهم قاصرة على القيام بحقه ، وثناؤهم قاصرٌ عن كبريائه وحمده ، وعلومهم قاصرة عن معرفة كنه صمديته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه:٨] .

في الصلاة نقول الله أكبر، عند الدخول في الصلاة إقرارًا منك لربك بالكبرياء ، ولنفسك بالذلة ، والمسكنة .

ثم تنزل من صفة الكبرياء إلى صفة العظمة ، فتقول في الركوع سبحان ربى العظيم؛ لأنه العظيم بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله العظيم بآياته ، ومخلوقاته، لتأتى في قلبك عظمة ربك بعد أن عرفت كبرياءه .

ثم تنزل من صفة العظمة إلى صفة العلو ، فتقول في سجودك سبحان ربى الأعلى؛ لأن السجود أكثر تواضعًا من الركوع ، فأنت في أدني درجات

الذل ، والخضوع ، والله في أعلى درجات الكبرياء، والعظمة، والعلو: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظمه، وما أعظم ملكه، وما أعظم نعمه :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

في سورة الفاتحة عشرة أشياء، خمسة من صفات الرب وهي:

الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[الفاتحة: ٢-٤] .

وفى سورة الفاتحة كذلك خمس من صفات العبودية وهي:

العبودية، والاستعانة، وطلب الهداية، وطلب الاستقامة، وطلب النعمة:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة : ٥-٧] .

فانطبقت تلك الأسماء الخمسة: الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك على أحوال العبد الخمسة ، فكأنه قيل:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ؛ لأنك أنت الله الذي لا إله غيره

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؛ لأنك أنت الرب الذي لا رب سواه

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ؛ لأنك أنت الرحمن

وارزقنا الاستقامة ؛ لأنك أنت الرحيم

وأفض علينا سجال نعمك ، وكرمك ؛ لأنك ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾.

جهات القبلة أربع:

١- العرش العظيم الذي تطوف به الملائكة .

٢- والبيت المعمور الذي تطوف به ملائكة السماء، وهذان في السماء .

٣- والكعبة ، وبيت المقدس، في الأرض .

٤- ثم استقرت القبلة في الأرض جهة الكعبة إلى الأبد : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[البقرة:١٤٤] .

، والقلوب تتوجه إلى الله العظيم : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾[قريش:١-٤] .

الله ﷻ عليم بكل شيء، يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، يراك أن تحركت، ويسمعك أن تكلمت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ ﴾[الحشر: ٢٢].

هو وحده العليم بكل شيء:﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾[الأنعام:٥٩] .

هو العليم بكل شيء ، والعلم بحر لا ساحل له ، وبحور العلم عند الله عز وجل وحده، أعطى الرسل من تلك البحور أنهارًا ، ثم أعطى الرسل من أنهارهم أودية إلى العلماء ، ثم أعطت العلماء من أوديتهم إلى العامة جداول صغار على قدر طاقتهم ، ولو سال البحر إلى النهر ، ولو سال النهر إلى الوادي ، لحصل الفساد .

فسبحان العليم الحكيم ، الذي يعلم خلقه من علمه ما يناسب خلقهم ، وما يسعدهم في الدنيا ، والآخرة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج: ٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥] .

فسبحان العليم بكل شيء ، السميع لكل أحد ، البصير بكل أحد : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السجدة:٦-٧] .

- **الأحكام الشرعية التي كلفنا الله بها قسمان :**

الأول: ما نعرف وجه الحكمة فيه بعقولنا ، وهي عامة أحكام الشريعة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وغيرها .

الثاني: ما لا نعرف وجه الحكمة فيه ، كرمي الجمار ، وتقبيل الحجر الأسود ، وعدم الوضوء من لحم الغنم ، والوضوء من لحم الإبل .

فكما يحسن من الله الأمر بالنوع الأول، مما تعلم منه حكمته، فكذلك يحسن منه الأمر بالنوع الثاني؛ لأن الطاعة في النوع الأول، لا تدل على كمال الانقياد، لاحتمال أن المأمور به أتى به لمعرفته بعقله، وجه المصلحة فيه، أما الطاعة في النوع الثاني ، فهي تدل على كمال الانقياد ، ونهاية التسليم ، وهذا هو المطلوب :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥] .

وقال الله ﷻ:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

وكذا الإنسان إذا أحاط بمعرفة الشيء ، سقط وقعه في القلب ، وإذا لم يقف على حكمته مع إيمانه بالحكيم ، بقي قلبه متعلقًا بربه ، ذاكرًا له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال الله ﷻ:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

النبي ﷺ أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به من المسجد الأقصى إلى أعلى ملكوت الله، ثم عُرج به من عالم الشهادة إلى عالم الغيب: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١] .

- **أنواع الابتلاء :**

الإنسان مُبتلى في حياته بأمور كثيرة .

فهو مُبتلى بملك وشيطان، ودين ودنيا، وعقل وهوى، وخير وشر، وحق وباطل، وصدق وكذب، وفقر وغنى، وعافية وبلاء، وقناعة وحرص : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء:٣٥] .

فالدنيا دار البلاء والامتحان، والآخرة دار الحساب والجزاء:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٢ –٣]

وقال ﷺ: « أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ »أخرجه الحاكم[1] .

- الصلاة جامعة بين المعراج الجسماني ، والروحاني .

أما الجسماني فبالأفعال، من قيامٍ، وقعود، وركوع، وسجود، وأما الروحاني فبالأذكار، والأدعية، فمن أراد الشروع في هذا المعراج، فلينظر، ويناجي ربه ، في مكان طاهر، في جسد طاهر، بلباس طاهر، بقلب طاهر : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[النور:٣٦-٣٨] .

كما أن لجنة الآخرة ثمانية أبواب ، فكذلك لجنة المعرفة في الدنيا ثمانية أبواب ، وكلها مذكورة في فاتحة الكتاب :

الأول : باب المعرفة ، فمن عرف الله قام بين يديه ، ولم يلتفت إلى مخلوق غيره: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

الثاني : باب الذكر ، وهو قول : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الفاتحة: ١]

الثالث : باب الشكر ، والحمد ، وهو قول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[الفاتحة: ٢] .

الرابع : باب الرجاء ، وهو قول : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾[الفاتحة:٣] .

الخامس : باب الخوف ، وهو قول : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[الفاتحة:٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم: (٥٤٦٣).

السادس : باب الإخلاص، والتوكل، وهو قول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة : ٥] .

السابع : باب الدعاء ، والتضرع ، وهو قول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة:٦] .

الثامن : باب الاقتداء بالأرواح الطيبة ، واجتناب ضدها ، وهو قول : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

- **وأعظم هذه الأبواب، هو باب معرفة الله ، ولمعرفة الله سبعة أبواب :**

معرفة وجوده، ومعرفة أسمائه، ومعرفة صفاته، ومعرفة أفعاله، ومعرفة خزائنه، ومعرفة وعده، ومعرفة وعيده: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

من دخل جنة المعرفة في الدنيا، أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة، وجنة الآخرة مبنية على معرفة جنة الدنيا ، وهي معرفة الله عز وجل، ومن عرف الله، آمن به، واتقاه، والتقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك.

والتقوى ألا تختار على الله سوى الله، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله، فتصدق أخباره، وتمتثل أوامره ، وتجتنب نواهيه .

والتقوى أن تزين سرك للحق ، كما زينت ظاهرك للخلق .

والتقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وتترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله، ومن عرف الله حقًا، اتقاه حقًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

الله عز وجل أرسل بهذا الدين الحق أنبياءه، ورسله ، وكتبه ، والأنبياء ، والرسل يبلغون دين الله إلى خلقه ، فهم أصدق الناس :﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٩] .

لهذا لابد من معرفة الأنبياء ، ومعرفة سيرتهم ، وأخلاقهم ، ومناهجهم في الدعوة إلى الله، لأن هذه الأمة شرفها الله بمثل عملهم:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم:٥١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ [مريم:٥٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص:٤٥-٤٧] .

- **عصمة الأنبياء والرسل:**

الأنبياء والرسل معصومون عن الكذب في باب الاعتقاد ، وفي باب التبليغ ، وفي الفتيا ، والأحكام ، وفي باب أفعالهم ، وسيرتهم؛ وأخلاقهم، لأن الله اصطفاهم ، وعصمهم ، ورباهم ، وعصمتهم وقت النبوة ، لا قبل النبوة :﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[الحج:٧٥] .

وقال الله ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤] .

كل نعمة من فضل الله على خلقه ، وكل تكليف في الشرع من فضل الله على خلقه ؛ لأنه يعود عليهم بالأجر ، والثواب :﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١].

الحب في الله يزداد ، والحب لغير الله ينقص ، بحسب المعرفة ، أو المصلحة ، فإذا كان الحب بين اثنين يزداد كل يوم ، فأعلم أنه حبٌ في الله ، وإن كان ينقص ، فأعلم أنه لغير الله ؛ لأنه حب محدود لمحدود ، والحب لغير المحدود لا حد له ، والله يرضي هذا وهذا بما شاء من فضله :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[البقرة:١٦٥] .

فنسأل الله أن يجعلنا ، وإياكم من المتحابين في الله ، فمن أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد أستكمل الإيمان: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

٤ - الفصل الرابع

المؤمن وليه الله ، ورسوله ، والمؤمنون : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

فالمؤمن وليه الله ، ورسوله ، والمؤمنون ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، فمن أراد أن تكون معه معية الله، وقدرته ، فليؤمن بالله: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

وما أصاب المسلم من مكروه فهو خير له:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

ومن توكل على الله كفاه:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج:٧٨] .

فالله مولى المؤمنين، والكفار لا مولى لهم:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾[محمد: ١١] .

الحق عزيز، والباطل ذليل، فالحق أعز من نفسك، وأعز من مالك، وأعز من وقتك، وأعز من دنياك، فأصبر عليه إيمانًا بمن أنزله ، وعملًا بأحكامه ، ودعوة إليه ، وتعليمًا له :﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ - ٣]

فالله هو الحق، وما سواه من المعبودات فباطل:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢] .

وقال الله عزوجل: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

- **أركان الإسلام خمسة، الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج .**

وأركان المسلم اثنان :الشهادتان .. والصلاة .

فالصوم لا يجب على المريض، والزكاة لا تجب على الفقير، والحج لا يجب إلا على القادر، فكل مؤمن بربه، لابد أن يتصل به كل يوم في الصلاة خمس مرات، مكبرًا له ، حامدًا له، سائلًا له ، مستغفرًا له، مقدمًا له التحية على نعمه التي لا تعد ، ولا تحصى .

فإذا أهمك أمر فأفعل الأسباب التي تزيله شرعًا ؛ لأن الله شرعها، مبتغيًا الثواب عليها ، متعلقًا قلبك بربك وحده دون سواه: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾[النجم: ٤٢] .

فإذا عزت الأسباب التي يمكنك فعلها ، فأفزع إلى مسبب الأب ، قائمًا بين يديه في الصلاة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة: ١٥٣].

والإنسان مأمورٌ أن يدفع الجوع بالأكل ، والظمأ بالماء ، والمرض بالدواء ، وهذه أسباب ، ولكن مسبب الأسباب هو: ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء: ٧٧ – ٨٠] .

وقال الله عزوجل: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

فالله عز وجل وكل أمور خلقه بأسباب أوجدها لهم ، فيدفعون هذا بهذا ، امتثالًا لأمر الله ، وتوكلًا عليه ، فإذا عزت الأسباب في حلها ، فتوجه مضطرًا إلى خالق الأسباب ، ومالك الأسباب ، والذي يفعل بالأسباب ،

وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢] .

الله ﷻ أكرم الإنسان بثلاث نعم أساسية هي :

السمع .. والبصر .. والعقل :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

والعقل هي الأداة التي تميز بين البدائل ، والنافع ، والضار ، والحسن ، والأحسن ، فالعقل يؤدي مهمة الاختيار بين البدائل ، والعقل يزن الأمور ، ويخرج بأحسن الأمور ، وآفة الرأي الهوى .

والعقل يعقل الإنسان عن إتباع هوى يضره ويشينه ، ومن اشترى دنياه بآخرته ، فهو عاقل ، ومن باع آخرته بدنياه ، فليس بعاقل ؛ لأنه باع العظيم الباقي ، بالقليل الفاني : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة:١٦] .

خلق الله العقل يكبح جماح الهوى ، لا ليبرر إتباع الهوى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الرعد:٤] .

وقال الله ﷻ:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

- **دخل الناس النار من ثلاثة أبواب :**

أحدهما: باب شبهة أورثت الشك في دين الله ، فلم يعبدوه ، فماتوا على كفرهم ، فخسروا دنياهم ، وأخراهم: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[البقرة:١٢١] .

الثاني: باب شهوة أورثت تقديم الهوى على هدى الله ، وطاعة الله ، فأشغلتهم دنياهم عن دينهم ، وعبادة ربهم : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

الثالث: باب غضب أورث العدوان على خلق الله، وكبر أورث احتقار خلق الله .

ولا يغلق هذه الأبواب إلا مفتاح الإيمان ، والتقوى : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

الكتم هو حبس المعلومة في القلب أن تخرج ، وأعظم ما كتم الإنسان الشهادة لله بالتوحيد ، والدعوة إلى الحق ، والهدى ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠] .

تابوا من بعد ظلمهم ، وأصلحوا ما أفسدوا ، وبينوا ما كتموا .

ثم يلي ذلك كتم الشهادة ، للمخلوق بحقه ، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

كل جريمة عقوبتها تتأخر عنها إلا الحقد ، والحسد ، فإن عقوبته تسبقه ؛ لأن قلب الحاقد والحاسد ، يتقطع قبل أن تعلم به : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء:٥٤ -٥٥] .

الإثم هو الجرم من أي لونٍ كان قوليًا ، أو فعليًا ، والعدوان الإثم المتعلق بغيرك من الناس ، أو المخلوقات ، فالحقد ، والحسد إثم يأكل النفس، والعدوان أن تسرق ، أو تزني ، أو تقتل، أو تظلم ، وهذه من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله عز وجل :﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٣] .

السُحت هو كل مال حرام، من ربا، أو سرقة، أو رشوة، أو غصب، أو نهب، أو خطف، أو اختلاس، ونحو ذلك من التعدي على حق الغير بغير حق :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[النساء: ٢٩- ٣٠] .

وقال الله ﷻ :﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة:١٩٠] .

كل جارحة من جوارح الإنسان لها عمل ، فعمل العين الرؤية ، وعمل الأذن السمع ، وعمل اللسان الكلام ، وعمل اليد الأخذ والعطاء ، وعمل الرجل المشي ، فالقول عمل اللسان ، والفعل عمل الجوارح ، والقول والفعل هو العمل ، كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢-٣] .

وقال في العمل :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

اليدُ تطلق على الجارحة المعلومة للإنسان، أو الحيوان، وتطلق على النعمة، وتطلق على القدرة، وتطلق على الملكية، وتطلق على من له الولاية : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

فالله عز وجل له سمع، وبصر، ويد، وقدم، ولكن ليس كمثله شيء في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فكما لا نعلم كيفية ذاته، كذلك لا نعلم كيفية صفاته، فالله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة ، وهو السميع البصير ، المتصف بصفات الكمال . وهو الرحمن الذي ليس كمثله شيء في الرحمة ، وهو السميع البصير ، وهكذا في بقية الأسماء: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

يدُ الله مبسوطةٌ بالعطاء والأنفاق، وإن منع فمنعه إنفاق؛ لأنه أعطاه ما ينفعه بالمنع، ومنعه عما يضره من سبل الانحراف، ووسيلة الانحراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء: ٣٠] .

وقال الله ﷻ:﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[سبأ: ٣٦] .

عطاء الإيجاب أن رزقك يكثر ، وعطاء السلب والمنع ، أن يمنع عنك مصرف سوءٍ ، بمنعك وسيلته ، من قوة ، أو مال ، أو جاه ، والناس يرون هذا ، ولا يرون هذا ، وكل ذلك نعمة ، العطاء ، والمنع، وكل ذلك بيد الله وحده .

فاللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

الله وحده الذي يطفئ نار الحرب ، فمتى رأينا نارًا للحرب قد انطفأت ، علمنا أننا جنود الرحمن ، ومتى ضلت الحرب مشتعلة ، علمنا أننا جنود الهوى ، والشيطان ، والأسباب : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[الصافات: ١٧١ – ١٧٣] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم:٤٧] .

فالله عز وجل يطفئ نار الحرب ، رحمة بالعباد، كما قال عن اليهود : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[المائدة:٦٤].

اليهود ، والمشركون ، أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، وذلك لحبهم الدنيا، وكبرهم، وحسدهم لغيرهم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[المائدة:٨٢] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[البقرة:٩٦] .

- **خطر اليهود على البشرية:**

اليهود أعظم أعداء المؤمنين ، اليهود كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ، فإذا لم يقدروا سعوا في الأرض فسادًا .

وفسادهم في الأرض له صور :

١- إما عن طريق العلوم التي تشكك في الدين .

٢- وإما عن طريق صناعة حكومات تصارع بعضها حتى يضعف الكل أو يفنى ؛ لتقوم بعدها حكومتهم اليهودية .

٣- أو صناعة مبادئ تصادم بعضها بعضًا .

٤- أو إغراء الشباب بالنساء عن طريق الغناء، والأزياء، والتبرج .

٥- أو عن طريق استعباد الناس بواسطة الربا .

٦- أو عن طريق تربية الشباب على الأفكار الفاسدة ، ثم إعادتهم إلى بلاد المسلمين ، ليفسدوها نيابة عنهم .

٧- أو عن طريق الإعلام ، والتعليم المرئي ، والمسموع ، والمقروء: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[المائدة:٦٤].

كل بيتٍ لابد له من عامود يحمله، ومن أوتاد تشده ، فلا ينفع عامود بلا أوتاد ؛ لأن الخيمة تسقط ، ولا تنفع أوتادٌ بلا عامود ؛ لأن الخيمة لا ترتفع ، كذلك الإيمان ، لا يكفي وحده بلا عمل ، ولا ينفع العمل بلا إيمان: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠] .

وقال الله ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال الله ﷻ:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾[المائدة:٦٥] .

الإنسان خلقه الله سيدًا لهذا الكون ، وجعله خليفة في الأرض ، لكنه مقهور على أشياء في نوعه ، ولونه ، ومختار في أفعاله ، إن شاء أن يؤمن ، وإن شاء أن يكفر ، وإن شاء أن يأخذ هذا ، أو يترك هذا ، فمن باب أولى أن يكون ما سواه من المخلوقات مقهورٌ للجبار الذي سخرها له: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

الإيمان اعتقاد في القلب ، وثمرته التقوى ، فإن من عرف ربه اتقاه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] .

والله عز وجل يعلم ما يفعل هؤلاء ، وسوف يحاسبهم الله يوم القيامة ، وهو شهيد عليهم في الدنيا والآخرة ، وسيجزي كلًا بعمله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحج:١٧] .

والصابئون من قوم نوح ، صبئوا عن دين الله ، وعبدوا الكواكب .

الإنسان سيد ، وما سواه من المخلوقات مخلوق مقهور له ، والإنسان محتاج إليه وهو دونه ، فالسيد ما دام محتاجًا إلى من دونه ، كيف يكون إلهًا وهو محتاج إلى من دونه ، والإله غني لا يحتاج إلى أحد ، بل يحتاجه كل أحد : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة:٧٢] .

وكيف يكون إلهًا وهو يأكل الطعام ؟ :﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾[المائدة: ٧٥ - ٧٦]

- **النصارى أربع فرق :**

١ - المؤمنون الذين قالوا الله ربنا وحده ، وعيسى ﷺ عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الصف: ١٤] .

٢- والكفار هم الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم .

٣- والذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .

٤ - والذين قالوا عيسى وأمه إلهين من دون الله .

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[المائدة:٧٢-٧٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ

﴿ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة:١١٦] .

فالله ﷻ يحكم بين هذه الفرق ، وغيرها يوم القيامة ، فمن آمن فله الجنة ، ومن عبد غير الله فله النار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[المائدة:٦٩] .

اليهود قالوا في عيسى إنه كذاب ، وابن زانية ، والنصارى غلوا فيه حتى جعلوه إلهًا ، فقال الله للجميع : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٧-٧٩] .

- **حراسة منهج الله في الحياة تتم بأمرين :**

الأول : فطرة الإنسان الإيمانية ، التي فطره الله عليها ، فجعله يستقيم على دين الله ، ويحذر معصية الله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

الثانية : إذا عصى الإنسان ربه ، يأمره غيره بالمعروف، وينهاه عن المنكر .

فإذا طم الشر وعم ، أرسل الله رسولًا يرد الناس إلى ربهم ، وهذا سر تتابع الرسل :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ

فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله ﷻ:﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[الحديد:١٦] .

وقال الله ﷻ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠] .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والمشركون ؛ لأن لهم سلطة زمانية ، وسلطة علمية ، وسلطة مالية ، وسلطة قهرية، أما النصارى فهم أقرب مودة للذين آمنوا، لأنه ليس لهم سلطة زمانية ، ومنهم قسيسون، وهم العلماء، ورهبان، وهم العباد، وهم يتواضعون للحق، كما قال سبحانه :﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

[المائدة: ٨٢ – ٨٦].

- **كل واحدة من الحواس الخمس لها ثلاث درجات :**

إدراك .. ثم وجدان .. ثم نزوع .

فإذا رأت العين مثلًا زهرة ، فقد أدركت شكلها ، ثم إذا شمتها النفس وجدت رائحتها في القلب ، ثم إذا امتدت يد الإنسان إليها فقطفها ، فهذا نزوع ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[الأنعام: ١١٣] .

فالكفار يسمعون الحق، وهذا إدراك، ثم يكرهونه، وهذا وجدان، ثم يحاربونه، وهذا نزوع .

كل إنسان يحب نفسه ، ويحب إسعادها ، ويحب حياتها ، ولكن من الناس من يحبها ، ويختار لها ما يسعدها في الدنيا ، والآخرة ، باختياره لدين الله ﷻ.

ومنهم من يحب نفسه ، ويحقق لها من الشهوات في الدنيا، ما يكون سببًا لدخولها النار ، فهذا قد غش نفسه ، وحرمها خير الدنيا ، والآخرة : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[آل عمران:١٤-١٦] .

وقال الله ﷻ:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

٥- الفصل الخامس

الدين كله عقودٌ ، وعهودٌ، مع من أسلم نفسه لربه ، وهو الإنسان ، وهذه العقود لمصلحة الإنسان ، ليسعد في الدنيا ، والآخرة ، ففي فعل كل أمر ثواب ، وفي فعل كل نهي عقاب: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٥] .

- **اضلال الشيطان لبني آدم:**

بسبب الإعراض عن الله زين الشيطان لكفار مكة وغيرهم تحريم الحلال ، وتحليل الحرام، مع الكفر بالله .

وزين لهم الطواف بالبيت عراة ، وأكل الميتة، وقتل الأولاد خشية الفقر، وقتل البنات خشية العار، وشرب الخمر ، ولعب الميسر، وأكل الربا، والظلم، وغير ذلك من جاهليات العرب ، التي زينها لهم الشيطان .

فالدين كله عقود وعهود : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾ [المائدة:١] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ

﴿ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾ الأنعام:[١٣٧ - ١٤٠] .

الشيطان غر أهل مكة من المشركين ، والكفار ، وزين لهم الطواف بالبيت عراة ، وقال لهم : ثياب عصيتم الله فيها ، فلا يليق أن تطوفوا بها ، فأنزل الله : ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال ﷻ : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف:٢٦] .

وزين لهم أكل الميتة ، فقال : ما ذبح الجزار تأكلونه ، والميتة الذي ذبحها هو الله ، فكيف تأكلون ما ذبح الجزار ، وتتركون ما أمات الله، فقال سبحانه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[المائدة:٣] .

وزين لهم قتل الأولاد ، خشية الفقر ، فقال سبحانه : ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾[الأنعام: ١٥١]

وزين لهم قتل البنات ، خشية العار والفقر: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾ [الإسراء:٣١] .

وزين لهم شرب الخمر التي تغيب العقل ؛ لينسوا همومهم ، فأنزل الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة:٩٠] .

وزين لهم الشيطان كل سوء ، فاتبعوه ، كما قال سبحانه : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور:٢١] .

فبين الله لهم ما أحل لهم ، وما حرم عليهم ، وبين لهم الصراط المستقيم ، الذين إذا سلكوه أسعدهم الله في الدنيا، والآخرة ، فقال سبحانه : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[الأنعام: ١٥١]

ثم بين لهم الصراط الذي إن سلكوه ، فازوا ، وأفلحوا ، ونجوا فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٣]

فالشيطان زين للكفار سوء أعمالهم، فحرموا على أنفسهم من الحلال **البحيرة**، وهي التي جاءت بأربعة أبطن إناث وخامس ذكر، فهذه تشق أذنها، إكرامًا لها، ولا تذبح، ولا تركب، ولا تمنع من شيء، وتنذر للإلهة، وسدنتها .

والوصيلة هي الأنثى التي تأتي بأنثى ، وذكر ، فلا يذبحون الذكر ، وإن جاءت بأنثى ربوها ، وإن جاءت بذكر ذبحوه ، وإن جاءت بذكر ، وأنثى ، وصلت الأنثى أخاها فلا تذبح .

والسائبة هي التي ينذرها الإنسان ، ويسيبها للإلهة ، وسدنتها .

والحام الذي جاءت منه عشرة أبطن ، حمى ظهره من الذبح ، وأحل لهم ما حرم الله من الميتة ، والدم ، وما أهل لغير الله به ، فأنذرهم الله عز وجل فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

وقال سبحانه في تحريم الحلال : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة:١٠٣] .

ما أمر الله بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، ولا أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥] .

والله عز وجل عند المنهيات كالشرك، والزنا، والقتل، ونحو ذلك من المنهيات، يقول سبحانه : ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ ١٨٧﴾[البقرة:١٨٧] .

وفي المأمورات ، كالأمر بالوضوء ، وإعداد الصلوات ، وأنصبة الزكاة ، يقول سبحانه : ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾[البقرة:٢٢٩] .

فالله حد حدودًا لا يجوز لأحدٍ أن يتعداها ، وحد حدودًا لا يجوز لأحد أن يقربها ، فالله عز وجل خلق أشياء ، وحللها ، وخلق أشياء ، وحرمها ، فما أحله هو من الطيبات :﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾[الأعراف: ٣٣] .

وخلق أشياء وحرمها ، فما أحله هو من الطيبات ، وما حرمه هو رزق غير مباشر ، ووسيلة إلى الرزق الحلال ، فبهيمة الأنعام حلال ، لكن الخنزير محرم الذبح ، والأكل ؛ لأن وظيفته إزالة القاذورات في العالم ، وكذلك السباع ، والحشرات ، والميتة ، والدم ، وسيلة إلى رزق غير مباشر لك .

- **فالرزق نوعان :**

١- رزق مباشر ، كالطيبات .

٢- رزق غير مباشر ، يؤدي رزقًا غير مباشر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[المائدة:٨٧- ٨٨] .

الرزق هو ما انتفع به الإنسان، أو الرزق ما أحل الله ، فمن سرق فهذا نصيبه ، ولو صبر لجاء إليه رزقه إليه في بيته حلالًا ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾[هود:٦] .

والله خلق الأرزاق ، وهو الذي يوصلها إلى المرزوقين ، فمن استعجل أخذها بوسيلة محرمة ، ومن انتظر جاء رزقه بما قدره الله ، فالله كتب رزق كل مخلوق ، مكانًا ، وزمانًا ، وكمية ، ونوعية :﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف:٣٢] .

المؤاخذة هي: إنزال عقوبة بمن له معك عهد فخالفه بعمل جريمة نص الله عليها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾: [المائدة:٣٨].

وقال الله عز وجل:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ ﴾[المائدة:٨٩] .

أما الأخذ فهو إنزال العقوبة من الله على جريمة على من ليس لك معه عهد ، كما قال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] .

وقوله عز وجل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٠] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الكهف: ٥٩] .

الأصل أن تؤمن بمن تأخذ منه الأحكام ، فإذا آمنت به بقلبك ، نفذت أوامره بلسانك ، وبجوارحك ؛ لأنك عبده الذي يمتثل أمره ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

وقال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] . .

وقال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

الموعظة هي إبداء رأي الحكيم لغيره ، فيما ينفعه من غير إلزام : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] .

- فقه طاعة الله ورسوله:

مرة يقول الله في القرآن : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ ﴾[التغابن: ١٢] .

فهذا أمر بطاعة الله في المجمل، وطاعة الرسول ﷺ في التفصيل، فإن الله أمر بالصلاة، والزكاة، والحج، وبين كيفيتها، وأعدادها، وأوقاته، رسول الله ﷺ .

ومرة يقول الله : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٢] .

فهذا أمرٌ بطاعتهما معًا، لأنه أطاع الرسول فقد أطاع الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء:٨٠] .

ومرةً يقول الله في القرآن : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾[التغابن: ١٢] .

فهذا أمر بطاعة من شرع لنا الدين .

ومرةً يقول الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ ﴾[التغابن: ١٢] .

فهذا أمر بطاعة الرسول الذي بلغ لنا هذا الدين .

ومرةً يضيف إليهما أولي الأمر ، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩] .

فهذا أمرٌ بطاعة الله ورسوله مطلقا ، وطاعة أولي الأمر من باطن طاعة الله ، ورسوله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، وهذا هو الإيمان المطلوب ، يزيد بالنظر في الآيات الكونية ، وبالتدبر في الآيات القرآنية ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

ثم إذا جاء حكم من الأحكام، في آية من الآيات القرآنية، يزيد الإيمان بالله ، وأحكامه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

فإذا زاد الإيمان في القلب زاد ذكر الله على اللسان، وقويت الأعمال الصالحة على الجوارح .

المؤمن يقف على كل ما كلف الله به من الفرائض، والمحسن الذي يزيد على ما فرض الله، من جنس ما فرض الله، من صلاة، وصدقة، وصوم، وذكر:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وقال الله ﷻ :﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

فالصلاة فرضٌ، ونفل، والصدقة فرضٌ، ونفل، والصوم فرضٌ، ونفل، والذكر فرضٌ، ونفل، فالمحسن الذي يزيد على ما فرض الله، من جنس ما فرض الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل: ١٢٨].

- **والمؤمنون في الإيمان على ثلاث درجات :**

ظالم لنفسه ..ومقتصد .. وسابق بالخيرات بإذن الله، وكلهم في الجنة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[فاطر: ٣٢ – ٣٣] .

والعمل قسمان أمر ونهي، وقول وفعل ، وأول طلب فعل هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، وعبادته وحده لا شريك له ، وأول نهي اجتناب عبادة ما سوى الله من الأصنام ، ثم جاءت أوامر العبادات والمعاملات مفصلة بعد ذلك في المدينة بعد الهجرة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

أقسام العبادات:

العبادات بالنسبة للزمان والمكان أربعة أقسام .

الأول : ما هو مشروع في كل زمان ومكان كالأذكار والأدعية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

الثاني : ما يتحكم فيه الزمان دون المكان كالصلاة والصوم ، فإذا دخل وقت الصلاة فصل في أي مكان إن شئت ، وإذا جاء وقت الصوم فصم في أي مكان إن شئت .

الثالث : ما يتحكم فيه المكان، دون الزمان كالعمرة ، فالعمرة شرعها الله في كل وقت من ليل أو نهار في مكان واحد .

الرابع : ما يتحكم فيه المكان والزمان كالحج له زمان خاص، وهو أشهر الحج ومكان خاص في مكة: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران: ٩٧]

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾[البقرة:١٩٧] .

- **أقسام المحرمات :**

كل فعل لابد له من مكان وزمان . والمحرمات قسمان :

الأول : منها ما هو محرم في كل زمان ومكان كالربا وشرب الخمر والقتل والسرقة والزنا ونحو ذلك مما هو محرم في كل زمان ومكان

الثاني : ما هو محرم في زمان دون زمان كنكاح النساء وقت الإحرام وكالصيد حلال للإنسان ، لكن من كان محرمًا أو في الحرم فلا يجوز له صيد البر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ ﴾[المائدة: ٩٥] .

جعل الله سبحانه الأرض لهذه الأمة مسجدًا وطهورًا كما قال النبي ﷺ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧٠٠).

- **المساجد قسمان :**

مسجد تصح الصلاة فيه، وتجوز فيه جميع الإعمال ، وهو جميع الأرض من السهول والجبال والبيوت وغيرها .

ومسجد مخصص للصلاة؛ فهذا معين لعبادة الله عز وجل، فلا نفعل فيه إلا ما أمرنا الله به من صلاة وتلاوة قران وذكر ودعاء ، ولا نزاول فيه ما نزاوله من العمل على الأرض .

فالكعبة بيت الله باختيار الله، وبقية المساجد بيوت الله باختيار عباد الله، والأرض كلها طهور نتوضأ بالماء، فان لم نجد نتيمم بالتراب فالأرض كلها طهور ومسجد .

والحرم أوله وأعظمه الكعبة ، ثم يتسع في المطاف ، ثم يتسع في المسجد الذي عليه السور، ثم يتسع لبقية الحرم حتى نهاية الحدود، ثم جعل الله للحرم فناءا وهو المواقيت، ثم جعل للمواقيت فناءً وهو بقية الأرض التي جعلها الله كلها مسجدًا وطهورًا: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧] .

٦- الفصل السادس

- **الأعمال قسمان :**

أعمال القلوب .. و أعمال الجوارح .

فأعمال القلوب هي الإيمان بالله، والتوكل عليه، والحب لله، والخوف، والرجاء، و الاستعانة .

وأعمال الجوارح هي الركوع والسجود وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي .

وقد جمع الله بينهما في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

الحج يجب على المستطيع في العمر مرة واحدة، و الحج هو خروج الإنسان من النعمة في بلده إلى المنعم، لإعلان العبودية لله، و الطاعة لربه، في بلده الحرام، فأمره الله عز وجل أن يدخل إلى حرمه بآدابٍ مع نفسه، ومع غيره من أجناس الوجود من جماد ونبات وحيوان .

أولًا : يتميز المحرم عن غير المحرم بلباس الإحرام، ولا يقص شعره، لأن الإحرام كله سلم ، ويتأدب مع غيره بأن لا يصيد صيدًا، أو ينفره، أو يقطع شجرًا .

فوحد اللباس و الحركة ومكان العبادة، وتأدب مع النبات والحيوان فلا يضر تلك الأجناس بقطع أو صيد فالإنسان سيد في حرم ربه، الله أمره الله بأن يكسر طغيان نفسه بأن يتوحد مع الناس، و أن يسالم من كان في خدمته من النبات والحيوان، و أمره أن يسلم و يقبل الحجر الأسود نيابة عن الجماد بأمر من خلقه .

فالحجر الأسود معظم بأمر الله، و الجمرات أحجار ترجم بأمر الله، فالجماد نسلم عليه، ونكبر عليه، لأنه أوسع المخلوقات مساحة، فالجماد أكبر من عالم النبات، وأكبر من عالم الحيوان ، فالجماد مخلوق عظيم، وهو أكبر المخلوقات مساحة و عبادة: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤] .

فالكل يسبح مع المحرم، عالم الجماد، و النبات، و الحيوان، يلبي و يصلي و يسبح فلا غفلة ولا شهوة ولا اعتداء: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور:٤١] .

الله عز وجل رءوف بالعباد يصفي إيمان أوليائه بالابتلاء ، فإذا زاد الإيمان أقبل المؤمن على الطاعات، ومنع صاحبه من الوقوع في المعصية، ومنعه من المعصية التي إذا جاءت إليه و قربت منه أنقصت إيمانه، وزادت ممن سيئاته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾[المائدة: ٩٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾[المائدة: ٩٥] .

حرم رب العالمين جعله الله قياما للناس، ومثابة للناس وأمنًا: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟

أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة:٩٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة: ١٢٥] .

- **الإحسان قسمان :**

الأول : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فأنه يراك .

الثاني : أن تزيد من الخير على ما فرض الله من جنس ما فرض الله صلاة وصياماً وصدقة ونحو ذلك ، والله قد أمر بهذا وهذا : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

- **الحياة قسمان :**

الأولى: حياة يشترك فيها الإنسان والحيوان، وتكون بنفخ الروح في البدن، و هذه تنتهي بالموت .

الثانية: حياة خاصة بالإنس والجن، وتكون بنفخ روح الإيمان بهما بقلب من شاء الله هدايته .

وهذه حياة أعلى من الأولى، ولكن الأولى هي أساس لها، فالحي هو المكلف، و الميت غير مكلف، فالحياة بالإيمان هي أعلى أنواع الحياة لأنها تربط هذا المؤمن بحياة أخرى أبدية في الجنة: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

ومن حرم روح الإيمان شقي في الدنيا و شقي في الآخرة بحياة أبدية في النار : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

- **الإنسان محكوم من ربه بقهرين :**

قهر أنك منه بدأت .. و قهر أنك إليه تعود .

فإنا لله و إنا إليه راجعون ، وما بينهما أنت مختار ، فاختر الإيمان على الكفر، والطاعات على المعاصي، تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الكهف: ٢٩-٣٠] .

جعل الله الكعبة البيت الحرام لعباده ليستريحوا فيه من كل ما أهمهم وأتعبهم؛ ويسألوا ربهم من فضله، ويستغفروه من ذنوبهم، لأنه بيت ربهم الذي عنده خزائن كل شيء ، وكذا بقية المساجد ولكن بيت الله باختيار الله، وبقية المساجد بيوت الله باختيار خلق الله: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة:٩٧] .

قوام الحياة بالطعام والشراب، وحفظ النسل بالنكاح الشرعي ؛ فقوام الحياة بالطعام و الشراب، ومنع الأذى، والعبادة فرع الحياة فالقرآن أنزل لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين .

والحياة حياة أبدان، وتكون بنفخ الروح في البدن ، وحياة قلوب، وتكون بنفخ روح الإيمان في القلب: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام: ١٢٢] .

كل فعل لابد له من مكان يقع فيه، و زمان يقع فيه ، ولا بد له من فاعلٍ يفعله، ولابد له من قدرة تظهره ، ولابد له من سبب يدفعه إليه ، وذلك كله بيد الله وحده : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣] .

فلا إله إلا الله، ما أعظمه، وما أعظم أفعاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] .

الخلق إيجادٌ من عدم ، والجعل توجيه مخلوق لله إلى مهمته في الحياة من سماء وأرض، و شمس و قمر، وهواء وماء ، والخلق والجعل كله بيد الله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾الأنعام: ١٠٢] .

وقال سبحانه:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾[فاطر: ١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧ ﴾[الفرقان: ٤٧] .

فعلى الإنسان أن يأخذ خلق الله ليستعمله فيما جعل الله ، فكما جعل الإنسان الصابون للغسيل، والجبن للأكل، كذلك جعل الله، ولله المثل الأعلى الكعبة قيامًا للناس ، وجعل الليل لباسًا، وجعل النهار معاشًا ، و أحل الطيبات، و حرم الخبائث، فمن خالف ما جعله الله دينًا، فقد شرع للناس ما لم يأذن به الله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾[فاطر :١٣-١٤] .

الله عز وجل بيده ملكوت السموات والأرض : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾[الملك: ١] .

هو الذي خلق كل شيء من عدم: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾[البقرة: ١١٧] .

وقال الله ﷻ:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾[الأنعام: ١٠١] .

و الكفار جعلوا لله أندادا من خلقه، يحبونهم كحب الله، والله واحد لا شريك له: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾[البقرة:١٧٠] .

فالخلق إيجاد معدوم ليكون موجوداً، والجعل توجيه ما خلق لمهمة كالقماش يؤخذ من الصوف .

فسبحان الملك الذي خلق كل مخلوق ومجعول: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

- **أقسام العهود .**

العهود قسمان :

فالله ﷻ له مع خلقه عهد، ولخلقه معه عهد، فالعهد الذي أخذه الله على العباد ليس إلا عهد الطاعة والعبودية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾[الأعراف:١٧٢] .

و العهد الذي التزمه الله من جهته ليس إلا عهد الرحمة و الربوبية ، فالله عز وجل يتولى عباده بكل ما يحتاجونه في الدنيا والآخرة : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾[التوبة:١١١] .

ومن تأمل في هذه المعاهدة لم يجد من نفسه إلا نقض العهد ، ولم يجد من ربه إلا الوفاء بالعهد : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾[التوبة:١١١] .

وقال الله ﷻ:﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسْتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ٦٢﴾[يس: ٦٠ – ٦٢] .

وأعظم الخلق وفاء بالعهد هم الأنبياء والرسل : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله ﷻ: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام: ٩٠] .

وما أعظم وفاء الله بعهده حيث خلقنا ورزقنا وهدانا؛ و أعطانا العقول والأسماع و الأبصار ؛ لنقوم بعبادته وطاعته و شكره : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وعهد الربوبية وفى الله به على أكمل وجه ، وعهد العبودية يقتضي منا كمال العبادة والطاعة لله ، و التي يعطينا الله عليها أعظم الثواب : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[النحل:٩١].

وقال الله ﷻ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

وعهد الله مع الإنسان أن يكرمه بأنواع النعم وقد فعل : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾:[المائدة:٩-١٠] .

وعهد الإنسان مع ربه أن يصرف هذه النعم في سبل مرضاته إلا أن أكثر الناس لم يفعل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾[العلق: ٦-٧] .

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:٦-٨] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

- **أنواع الطاعة :**

الطاعة المطلوبة قسمان :

الأول : طاعة مطلقة . وهي طاعة الله والرسول كما قال سبحانه:﴿ **وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢** ﴾[آل عمران: ١٣٢] .

الثاني : طاعة مقيدة . وهي طاعة ما سواهما من الوالدين أو غيرهم .

وهذه الطاعة مقيدة بأمرين :

الاستطاعة .. والمعروف .

فإذا أمرت بما لا تستطيع سقط الأمر، وسقط الوجوب ، فاتقوا الله ما استطعتم، و إذا أمرت بما تستطيع، لكنه حرام سقط الوجوب، فالطاعة في المعروف.

قال النبي ﷺ: « لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف» . متفق عليه[1] .

فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم(٧٢٥٧)، ومسلم برقم(١٨٤٠) .

مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان: ١٤-١٥] .

من سنة الله الابتلاء في الدنيا، ليميز الله الخبيث من الطيب ، والصالح من الفاسد ، والمؤمن من المنافق، والمصلح من المفسد ، ويرفع ذكر أهل الإيمان ، ويهتك ستر أهل الكفر والنفاق ، وليظهر تفاوت مابين الناس في الخير والشر، ليجزي كل أحد بما هو أهله:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك:١-٢] .

وأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾[العنكبوت: ٣-٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾[محمد: ٣١] .

من عرف الدنيا لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لبلاء :﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾[العنكبوت: ٦٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر: ٥] .

خلق الله الدنيا دار بلوى، وخلق الآخرة وجعلها دار عقبى ، فمن امن وعمل صالحا فله الجنة ، ومن كفر بربه وعصاه فله النار .

فجعل سبحانه بلوى الدنيا ثوابًا في الآخرة لمن صبر ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضًا ، فسبحان من يأخذ ويبتلي ليجزي:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال الله ﷻ:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

والليل مهما طال فلابد من طلوع والعمر مهما طال فلابد من الموت

قال الله ﷻ:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة: ٨] .

فبعد الموت حساب، ثم ثواب أو عقاب : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ :[المائدة:٩-١٠] .

أقسام المصائب :

المصائب التي تصيب المسلم قسمان :

الأول : مصائب دفع ؛ تدفع المؤمن إلى ربه ، فكلما ضعف المؤمن في إيمانه وتقواه أرسل الله إليه شدة ومصيبة تدفعه إلى التوبة وحسن العمل ليرفع مقامه عند ربه:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة: ١٥٥- ١٥٧] .

الثانية : مصائب رفع ؛ فإذا كثرت ذنوب العبد أرسل الله إليه مصيبة وشدة يغفر بها ذنوبه، ويكفر عنه سيئاته: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

وقال النبي ﷺ : « مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » .

متفق عليه[1] .

أهل الدنيا دائمًا معها على وجل إما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر: ٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٥٦٤١)، ومسلم برقم(٢٥٧٢) .

٧- الفصل السابع

- **الإيمان ثلاث درجات :**

إيمان مطلوب .. وإيمان موجود .. وإيمان مفقود .

والإيمان المطلوب لا يكمل إلا عند حصول أمور خمسة بينها الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

والمؤمن يسعى دائماً ليزيد على الإيمان الموجود الإيمان المفقود، ليصل إلى الإيمان المطلوب بأركانه الستة .

- **أقسام الخوف .**

الخوف قسمان :

أحدهما: خوف العقاب: وهذا للعصاة والفساق : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨] .

وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

الثاني: وخوف العظمة والجلال: وهذا لا يزول من قلب أحد من الخلق سواء أكان نبيًا مرسلًا، أو ملكًا مقربًا، أو بشرًا مكلفًا ، وذلك لما لله من صفات الجلال والجمال: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل: ٤٩ – ٥٠] .

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾[الزمر: ٦٧]
الله عز وجل خالق كل شيء و من ثم فهو مالك لكل شيء ، والله خالق كل العبيد، فإذا كان خالقًا لهم فهو مالكا لهم ، وإذا كان مالكا لهم، حسن منه أن يأمرهم و ينهاهم ؛ لأنهم عبيده، وللملك أن يأمر عبيده بما شاء:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾[الأعراف:٥٤] .
فيأمرهم سبحانه بما يسعدهم في الدنيا و الآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]
والأحق بالعبادة هو الله وحده، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، و المثل الأعلى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[الأعراف:١٨٠] .
عظمة الله:
ما في خلق السموات والأرض، و ما فيهما، وما فوقهما، وما بينهما، كله دالٌ على كمال قدرة الله جل جلاله، وكمال علمه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق:١٢] .
فإذا علمتم ذلك كبرتم الله، وعظمتموه، وحمدتموه، وشكرتموه، وأقبلتم على طاعته وابتعدتم عن معصيته .

وما في السموات والأرض من الإحكام والإتقان دالٌ على كمال حكمة الله جل جلاله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

وما في السموات و الأرض من المنافع والمصالح دالٌ على كرمه وسعة رحمته: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٢ – ٣٤] .

و ذلك كله دال على عظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، وسعة علمه، وعظيم قدرته ، وأنه وحده الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فتبارك الله في نفسه، لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته و أفعاله ، و عظمة ملكه وسلطانه ، و بارك في غيره بإحلال كل خير في العالم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة:١٤٣] .

النعم أضياف، وقراها الشكر : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

والبلايا أضياف، و قراها الصبر: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥- ١٥٧] .

فما أحسن أن ترحل الأضياف شاكرة حسن القرى؛ شاهدةٌ بما تسمع وترى .

الخشوع يكون بالقلب كالخوف والرهبة، ويكون بالجوارح بالسكون، وترك الالتفات إلى ما سوى الله .

فالخاشع في صلاته يحصل له مما يتعلق بالقلب نهاية الخضوع و التذلل ، و الخشوع للمعبود فعلًا ، أما الترك فلا يلفت الخاطر إلى شيء سوى تعظيم ربه ، ويحصل له فيما يتعلق بالجوارح أن يكون ساكنًا مطرقًا إلى موضع سجوده ، و من التروك أن لا يلتفت يمينًا ولا شمالًا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون:١-٢] .

ففي الصلاة أمر الله بها خضوعٌ، وخشوعٌ، و دموع ، فالخضوع للجوارح، والخشوع للقلوب، والبكاء للعيون : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

من رحمة الله ﷻ بعباده أن الشر إذا عم، وزاد الظلم والطغيان، فإن الله ﷻ يوالي إرسال الرسل ؛ إذا عم الشر وطم في الأمة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ ﴾[النحل:٣٦] .

أما هذه الأمة فلها رسول واحد، ومنهج واحد ؛ لأن الخير فيها إلى يوم القيامة كما قال النبي ﷺ: « لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلُونَ علىَ الحَقِّ ظاهِرِينَ إلى يَومِ القِيامَةِ »أخرجه مسلم [1] .

والتواصي بالحق قائم بين أفرادها إلى يوم القيامة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

- **فهذه الأمة متوجة بأربعة تيجان :**

١- تاج كنتم خير أمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

٢- وتاج هو اجتباكم:﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨] .

٣- وتاج وكذلك جعلناكم أمة وسطاً:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣] .

٤- وتاج لتكونوا شهداء على الناس:﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[البقرة:١٤٣] .

وهذه الأمة مكرمة ذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة، و أعمارها قصيرة و أعمالها مضاعفة .

الله عز وجل حين يتكلم عن ذاته ووحدانيته يأتي بأنا الدالة على كمال الوحدانية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾[طه: ١٣ - ١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٢٣).

وحين يتكلم عن أفعاله جل جلاله يأتي بنون الجمع الدالة على العظمة كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[المؤمنون:١٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[التين: ٤] .

لان ذلك الفعل يحتاج إلى قوة، وإلى علم، وإلى حكمة؛ وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه .

الثمن مقابل العين مباشرة كقطعة لحم بعشرة، والأجرة أن يقابل العمل المؤدى بأجر، فالثمن مقابل العين، والأجرة مقابل العمل، والله وحده أعطاك النعم بلا مقابل، وأعطك أجر عملك مضاعفاً: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

من رحمة الله أنه ستر عيبك عن الناس ، وستر عيب الناس عنك ، و رغب الخلق في ستر بعضهم بعضًا، لتصفو الحياة بين الناس، ولا تفسد أحوالهم ، فالله ستير، ويحب من يستر عباده، وأمرنا بالستر .

قال النبي ﷺ : « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ »أخرجه البخاري[1] .

فما أعظم رحمة الله بعباده، يعصونه وهو يسترهم، ويحب من يسترهم ، و يستر من ستر مخازيهم مع أنها معصية له، لكمال رحمته جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

شرع الله القتال في سبيل الله في الإسلام، حين زادت العصبية للقوم و القبيلة، وانصرفت العصبية للدين والشرع : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[الحج:٣٩] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٢).

فلما تغيرت الغيرة والعصبية من القوم إلى الدين، شرع الله القتال : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة: ١٩٣] .

وشرع الله الجهاد في الإسلام لا لإكراه الناس على الإسلام، وإنما لحماية الضعيف الذي يريد الإسلام من القوي الذي تسلط عليه، ليكرهه على أن يكون تابعًا له على ضلاله في عقيدته:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة:٢٥٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال: ٣٩ - ٤٠].

كيد الشيطان جاء للإنسان، لأنه لا يملك قوة يخضع بها الأجساد ، و لا يملك حجة يخضع بها القلوب، ولهذا احتال بالكيد، والمكر، والتزيين، والإغواء ؛ لإضلال الخلق، لأنه ضعيف: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[النساء: ٧٦].

ولهذا حذرنا الله من الشيطان بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: ٦] .

فالشيطان يضل الخلق، لأنه ضعيف، ولا يحتال إلا ضعيف ، أما القوي فيواجه بقوته خصمه .

والمرأة ضعيفة، والرجل قوي ، كلما كان الضعف أشد كان الكيد أعظم: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[يوسف:٢٨] .

ولا أضعف من المرأة، و لهذا كيدها عظيم ، والشيطان أشد ضعفًا منها: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[النساء:٧٦] .

ولهذا كيده أعظم من المرأة، لأنه لا يملك سلطان قوة، ولا سلطان حجة .

القتل : هو قتل الإنسان نفسه أو غيره بسكين، أو رصاص، أو حرق، أو غير ذلك من أسباب القتل ، فالقتل هو هدم بنية، فيه إيلام وتعذيب ، أما الموت فهو سلب الروح من السليم، و هو من فعل الله عز وجل، فهو وحده الذي بيده الحياة وبيده الموت:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:١- ٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٠] .

و الموت أخذ ناعم وفيه إيلام : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق:١٩] .

وإن للموت لسكرات، فهو للمؤمن تكفير لذنوبه، وللكافر تعذيبٌ له على جنايته .

فاللهم عاملنا بالفضل لا بالعدل، وبالإحسان لا بالميزان، وبالجبر لا بالحساب:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

الموت سهم أرسل إليك، وعمرك بقدر وصوله إليك ، و الله بيده الحياة و الموت، وما بينهما بيدك، إما أن تؤمن، وإما أن تكفر ، وإما أن تطيع، و إما أن تعصي:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢-٣] .

و المؤمن يرى أن الموت يعجل به إلى ربه ونعيم الجنة ، والكافر يرى أن الموت يعجل به إلى النار وسخط الجبار ، ولهذا الكافر لا يحب الموت : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[البقرة:٩٦] .

فالمؤمن يحب الموت، و الكافر يكره الموت ، وعلى المؤمن ألا يتمنى الموت لضرٍ نزل به، بل يقول اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لى، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لى .

و الموت ينقل المؤمن من الدنيا إلى الآخرة ، ومن النعمة إلى المنعم ، ومن دار الغرور إلى دار الخلود ، ومن النعمة الفانية إلى النعمة الباقية : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥] .

إذا شرع الله عز وجل سنة كونية للفرد، ثم خالفها أصابته نتيجتها : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[النساء: ١٢٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

فمن رحمة الله أن يعجل العقوبة في الدنيا ولا يؤخرها للآخرة ؛ لأن عذاب الآخرة أشد و أعظم ، فإذا شرع الله سنة كونية للفرد، ثم خالفها أصابته نتيجتها السيئة، وكذلك الأمة، كما قال سبحانه:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] .

المصائب التي تصيب الناس نوعان :

أحداهما: مصائب تصيب الناس بغير عملهم كالسيول الجارفة، والزلازل المدمرة والخسوف ، ليعلم الناس أن وراء هذا الكون رباً قادرٌ سميعاً بصيراً، فيؤمنوا به، ويعبدوه وحده .

ورتابة النعمة تنسي الإنسان المنعم، فيسلبها منه، ليذكره به:﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الإسراء:٥٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

الثانية: المصائب التي تصيب الناس بسبب عملهم، تذكير لهم ليتوبوا إلى ربهم و يبتعدوا عما يسخطه :﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[المؤمنون:٧٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٢-٤٥] .

كل شيء لا تدريه اتركه لحكمة مجريه ، فكل شيءٍ وقع ولا دخل للإنسان فيه نثق بحكمة مجريه، ونسلم له : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان: ٢٢]

وقال الله عز وجل:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة:١١٢] .

الطاعة هي الاستجابة للطلب فعلًا أو تركًا، وأعظم الطاعات طاعة الله ورسوله ؛ لأن طاعتهما تعود علينا بكل خير في الدنيا والأخرة .

وطاعة الله هي أن تنفذ جوارحك ما سمعته أذناك، و ما نطق به لسانك :﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء: ٦٩ - ٧٠].

- **الاختلاف ثلاثة أنواع :**

القرآن العظيم كتاب محكم لا اختلاف فيه أبداً: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[يس:١-٢] .

فالقرآن كتاب محكم لا اختلاف فيه بوجه من وجوه الاختلاف : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت: ٤١-٤٢] .

فالقرآن كلام الله، وكلام الله صفته، وصفة الكامل كاملة، والاختلاف يناقض الكمال ، ويناقض الحكمة: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل: ٨٩] .

- **والاختلاف ثلاثة أنواع :**

القسم الأول : اختلاف تضاد، و هو ممنوع ، كأن يأمر الله العباد بالتوحيد، ويأمرهم بالشرك، فهذا ممنوع، أو يأمرهم بالطاعات، ويأمرهم بالمعاصي وهذا ممنوع ، أو يأمرهم بالحلال، ويأمره بالحرام .

وهذا كله اختلاف تضاد لا يوجد في القرآن مطلقًا :﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود:١] .

القسم الثاني: اختلاف تفاوت، فسورة الإخلاص تعدل ثلث القران ، وأية الكرسي أعظم أية في القرآن، وهذا موجود .

القسم الثالث: اختلاف تلاوات، فالقرآن أنزل على سبعة أحرف، وكلها حق، تجوز القراءة بها .

القرءان الكريم كشف حجب الغيب الزمانية الثلاثة ؛ فأخبر عن أحداث الزمن الماضي ، وأحداث الزمن الحاضر ، وأحداث الزمن المستقبل :﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩] .

كل أمر يعرض على العقل له فيه عمل، تفكر فيه، ثم انظر في دليل صدقه ، فإذا علمت دليل صدقه تدبر الفائدة التي تعود عليك إذا فعلته ، والمضرة التي تعود عليك لو تركته .

فالتفكر والتدبر يدلك على أن الرب واحد، وأن الإله واحد ، وأن طاعته هي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة ، فإذا تدبر العبد وتفكر تذكر :﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

فإذا غفلت تذكر ما علمت وتدبرت، واذكر وأسأل من علمك: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤ ﴾[الكهف : ٢٤] .

إذا عرفت الحق بذاتك، فقد علمت أنت، وإذا عقلته عن غيرك، فقد أخذت حصيلة تعقل غيرك ، فالعلم يصل إليك من طريقين :

إما ما حصلته بنفسك من التفكر والتدبر: أو ما حصلته بجهد غيرك .

فكل إنسان مزودٌ بمدركات توصله إلى من خلقه ، و طاقات وقدرات من التعقل والتدبر والتذكر، وآلات العلم : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

فمن أعمل هذه الحواس وصل إلى المطلوب، فعرف ربه، وآمن به: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾[ق:٦-٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾[الغاشية:١٧-٢٠] .

الله عزَّ وجلَّ خلق البشر، ووزع بينهم الصفات و المواهب، ليتكاملوا مع بعض ، فما فقده الإنسان وجده عند غيره : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾[الإسراء:٧٠] .

فأحوج سبحانه الناس بعضهم إلى بعض، ثم أحوج الجميع إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥] .

فكل واحد مرفوعٌ في شيء، ومرفوع عليه غيره في أشياء ، فما أنت مرفوع فيه فأعمل به، وأبذله لغيرك ، فإذا هداك الله للإسلام فاهد غيرك إلى الإسلام ، وإذا علمك فعلم غيرك و هكذا .

وما رفع الله به غيرك مسخر لك ، وكل ما في الكون مسخر لك، إكرامًا لك، لتعبد الذي خلقك وأكرمك :﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾[لقمان:٢٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ [الزخرف:٣٢] .

جميع المخلوقات التي خلقها الله عز وجل أحياء يعقلون ما شاء الله أن يعقلوه، من جماد، أو نبات، أو حيوان، أو إنسان، أو جان، أو ملائكة ، و لكل واحد منهم حياةٌ تخصه من الحس، والحركة، والعبادة:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨ ﴾[الحج: ١٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢ ﴾[النور:٤١-٤٢] .

فجميع المخلوقات خلقها الله شاهدةٌ بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومتصاغرة لكبريائه، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة

لأمره : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١]

فسبحان من جميع مخلوقاته تحت أمره وقهره:﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام:١٧ – ١٨] .

- **الحياة قسمان :**

الأولى: حياة تصيبها الآفات، وهي حياة المخلوقات في الدنيا: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم:٤١].

الثانية: حياة كلها سلام، لا موت بعدها، ولا مضرة فيها، وهي الحياة في الجنة في الآخرة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۖ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

وعلى أنواع الحياة في الدنيا تكون بالإيمان والتقوى ، والذي يعقبها حياة أبدية للمؤمنين، فيها جميع كمالات الحياة :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

٨- الفصل الثامن

المعصية تكون بنقل افعل في مقام لا تفعل مما أمر الله ورسوله به ، أو نقل لا تفعل في مجال أفعل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤] .

أما الكفر بالله، والشرك بالله، فهو أعظم جناية ؛ و هو الذنب الأعظم الذي لا يغفره الله إذا مات الإنسان عليه لهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾[النساء: ١١٦]

فالكفر جحد الرب بالكلية، والشرك تَنَقص لرب العالمين بجعل شريك معه، ويطلق أحدهما على الآخر .

القتال في سبيل الله فريضة الله لتقرير حرية اختيار المنهج الذي يسير عليه الإنسان في هذه الدنيا ، فالجهاد لم يفرض للإلزام بالمنهج، و إنما فرض لإعطاء الناس حرية اختيار المنهج الذي يريدون ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[الأنفال: ٣٩ – ٤٠].

الله عز وجل خالق كل شيء، و الإنسان وجه العقل إلى ما يحبه الله من الأفعال ، أو إلى ما لا يرضاه من الأفعال ، فالأول طائع، و الثاني عاص لله ﷻ : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾[الإنسان:٢- ٣] .

الله ﷻ خالق كل، شيء و هو الهادي إلى كل خير ، فالهداية بيد واحد ، والرزق بيد واحد ، والتدبير بيد واحد : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر:٦٢-٦٣] .

الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لأنه العليم بما في الصدور: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾[إبراهيم: ٤] .

و الهداية نوعان :

الأول : هداية إلى الصراط المستقيم، وهذه للأنبياء و المؤمنين : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣].

الثاني : هداية العون والتوفيق، و هذه بيد الله وحده: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾[القصص:٥٦] .

فالله هدى الناس إليه بالفطرة أولًا، ثم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ثانيًا ، فمن آمن بالله أعانه على ما يريد وأثابه ، و من كفر به فان الله أبان له الحق،

ولكنه لم يؤمن به، فهذا لا يعينه بل يعاقبه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت:١٧] .

المسلم يكره صفات الكافر، فإذا أقلع الكافر عن تلك الصفات بالإيمان زالت الكراهية، وجاءت المحبة والأخوة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الحجرات:١٠] .

الهجرة من هجر الكفار، لما هجر الكفار الرسول ﷺ، ولم يستجيبوا له، هاجر منهم إلى الأنصار في المدينة، و النبي ﷺ لم يهجر مكة وإنما هاجر منها لأنهم هجروه :﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء:١٠٠] .

والهجرة دليل على الإيمان؛ لأنه ترك بلده من اجل دينه، والهجرة بالقلب والقالب كالهجر الباطل، والهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإيمان : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

والدين لا يقوم إلا بالهجرة والنصرة كما كان في القرن الأول ، فأهل مكة هاجروا، والأنصار نصروا، فجاء الأمر الثالث، و هو الرضوان من الرب جل جلاله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

لم يعاجل الله الكفار في مكة بالعقوبة؛ لأنه يعلم أن منهم من سيكون سيفًا للإسلام بعد أن كان سيفا على الإسلام، كخالد بن الوليد ، و عمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم رضي الله عنهم: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة: ٢١٦] .

سلطان القوة يقدر على القالب ، ولا يقدر على القلب كما قال سبحانه عن فرعون : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾[القصص:٤] .

وسلطان الحجة يُخضع القلب والقالب : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[آل عمران:١٦٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾[الجمعة: ٢]

وقال الله عز وجل:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان:٢٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق:٦-٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق:١٢] .

فسلطان القوة يسجدك ، وسلطان الحجة يجعلك تَسجد أنت باختيارك ، والشيطان الذي غر الناس ليس معه سلطان قوة يَقدر بها أن يخضع غيره، ولا سلطان حجة يقدر بها أن يقنع غيره كما قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم:٢٢] .

القصاص فيه إبقاء حياة القاتل ، وحياة غيره ، ففيه إنقاذ حياتين : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة:١٧٩] .

من قتل مؤمنًا خطأ ، فقد أزهق نفسًا بغير حق، وهو لن يستطيع أن يحي نفسًا مكانها ، فيلزم بتحرير رقبة مؤمنة من الرق، وإطلاقها تعويضًا للمجتمع الإسلامي بنفس مؤمنةٍ أخرى، وعليه دية مسلمة إلي أهل القتيل تعويضًا لهم عما فقدوه من الأسرة ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ ﴾ [النساء:٩٢] .

شرع الله القتال ضد الكفار، لأن حركتهم في الحياة حركة فساد ، وإفساد ، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، لتكون الحياة لمن تصلح حياته بحياته وهو المؤمن: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة: ١٩٣] .

ومن قتل من تصلح الحياة بحياته ، فقد جنى على الحياة والأحياء جناية عظيمة : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[المائدة:٣٢] .

من قتل غيره عمدًا نقتله قصاصًا ، ومن قتل نفسه فقد تعجل حياته بإزهاق روحه ، فهو في النار : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩] .

من قتل غيره خطأ، فهذا القاتل الذي قتل خطأ أفقد المقتول واحداً من البيئة الإيمانية العامة، وله ارتباطات بالبيئة الأهلية الخاصة ، وهي الأسرة، فالمقتول نقص من البيئة الإيمانية واحدًا، ومن البيئة الخاصة واحدًا ، وهذا سر إيجاب الدية ، وإيجاب الكفارة .

الناس مختلفون في الهمم، فمن الناس من وطنه نفسه، يحقق لها شهواتها ، ولا يبالي غير ذلك : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الفرقان:٥٩] .

ومنهم من وطنه أسرته ، فتجده يهتم بأسرته ، ولا يبالي سواها: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾[الفتح:١١] .

ومنهم من وطنه عائلته، ومنهم من وطنه قبيلته، ومنهم من وطنه أهل قريته ، ومنهم من وطنه دولته، ومنهم من وطنه أمته، ومنهم من وطنه العالم كله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

ففكر النبي ﷺ يدور في ثمان دوائر، يجتهد لإصلاح نفسه ، وأهله ، وعشيرته ، وقومه ، وبلدته ، وما حولها ، والناس ، والعالم كله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

القاتل لغيره عمدًا حتى جناياتٍ عظيمة، على نفسه ، وعلى المقتول ، وعلى الأمة، لهذا عاقبه الله عز وجل بخمس عقوبات شديدة، إن لم يتب ، ويسلم نفسه لأولياء القتيل : ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣ ﴾ [النساء:٩٣] .

- **المقتول خطأ له ثلاثة أحوال :**

الأولى : إن كان مؤمنًا بين المؤمنين ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وديةٌ مسلمة إلى أهله .

الثانية : إن كان من قوم عدو لنا ، وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة تعويضًا للمجتمع الإيماني ، ولا دية لأن أهله كفار .

الثالثة : إن كان من قوم بيننا وبينهم ميثاق ، فتحرير رقبة ، وديةٌ مسلمةٌ إلى أهلة كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢ ﴾[النساء: ٩٢].

- **والتوبة لها ثلاثة مراحل :**

فالله شرع لعبادة التوبة ، ثم شرع لهم أن يتوبوا ، ثم قبل التوبة منهم ، والله بالتوبة يعصم الأمة من الأشرار والعقوبات .

فالتوبة الأولى: رحمة من الله تشريفًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

والتوبة الثانية: من الله للعبد توفيقًا، الله يوفقه للتوبة ، ثم يقبلها منه .

والتوبة الثالثة: من الله علي العبد قبولها : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[التوبة:١١٨] .

العرض كل ما يعرب ويزول من الأشياء ، والدنيا عرض حاضر، والآخرة، وعد صادق باق : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر: ٥] .

المجاهد :من بذل جهده لتكون كلمة الله هي العليا .

قال الله عز وجل:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

ومن كان مؤمنًا، وترك الجهاد ، فقد نفع نفسه بالإيمان ، وحرم غيره بترك المشاركة مع المجاهدين لإعلاء كلمة الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[التحريم:٩] .

فالقاعد المؤمن أخذ من الدين ، والمجاهد المؤمن أخذ من الدين ، وأعطى للدين لإشاعة الإيمان في العالم ، فهو أفضل : ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء:٩٥-٩٦] .

الإنسان خليفة في الأرض : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠]

والخليفة مؤتمن علي أوامر الله، ينفذها على نفسه بالعبادة، وعلي غيره بالدعوة، فمن أغلق أرض الله عن عباد الله ، فهو ظالم : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾[الرحمن:١٠] .

ولا يستثنى من ذلك إلا جزيرة العرب ، فهي خاصة بالمؤمنين ، والتي يريدها الله أن تكون أحسن البلاد ، والتي يريد الله أن تكون البلاد كلها مثلها في الإسلام .

كما قال النبي ﷺ : « لأَخْرِجن الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حتى لا أدع إلا مسلما» أخرجه مسلم(١).

لأن جزيرة العرب هي الصف الأول، هي النموذج الأمثل، فيجب أن يكون فيها خير الناس ، وأحسن الناس، وهم المؤمنون .

الاستضعاف إما أن يكون طارئاً كالعبد المملوك، أما المستضعف الحقيقي فهم النساء والولدان فهؤلاء المستضعفون:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً

(١) أخرجه مسلم برقم(١٧٦٧) .

فَنُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ ﴾[النساء:٩٧-٩٨] .

الاحتيال :إعمال الإنسان فكرة ليسبق غيره في عمل شيء لم يكن مقدورًا له كالاحتيال الصعودي، والنزول ، والدخول ، والخروج ، ونحو ذلك ، فمن احتال وفق أمرُ الله لنجاة نفسه ، وهداية غيره كما ورد شرعًا، فهذا احتيال محمود، ومن احتال ليأخذ ويأكل أموال الناس بالباطل ، فهذا احتيال مذموم في الشريعة اختصار، واقتصار، فالاقتصار فعل البعض، وترك البعض كقصر الصلاة الرباعية:﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [النساء:١٠١] .

والاختصار أخذ الكل بأسلوب موجز : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

كما قال النبيﷺ: « صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » أخرجه البخاري(١) .

الله ﷻ عند الكلام على ربوبيته يأتي بضمير الجمع إنا ونحن للدلالة على كمال عظمته، وقدرته، وعظمة أسمائه ، وصفاته ، فيقول في القرآن :﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ ﴾[المؤمنون:١٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر: ٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله عز وجل:﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾[الحديد: ٢٥] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١١٧).

ونحوها من الصفات التي وصف الله بها نفسه ، وذلك كله بيان لعظمته ، وعظمة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله فمثلًا يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء:١٠].

يدل على ثلاثة أمور :

الأول: المنزل منه، وهو الله الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى .

الثاني: المنزل إليه وهو الرسول .

الثالث: المنزل وهو القرآن .

وذلك يشعر أن المنزل منه أعلى ، والمنزل إليه أدنى ، والله أنزل إلينا كل شيء ، وأعظم ما نزل الله القرآن العظيم :﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء: ١٠] .

وإذا تكلم الله عن ذاته وألوهيته جاء بضمير المفرد الدال على الوحدانية مثل أنا وإنني ؛ لأنه يريد إن يتوجه الناس إليه وحده بالعبادة: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[طه:١٤] .

ثلاث مهلكات :

أنا .. ولي .. وعندي، وهذه كلها لله وحده، وليس للخلق منها شيء .

فأنا لله : ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[طه:١٤] .

ولي لله وحده: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾[المائدة: ١٢٠] .

وعندي لله وحده: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام: ٥٩] .

فأنا قالها إبليس: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾[الأعراف: ١٢] .

ولي فرعونية قالها فرعون: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾[الزخرف:٥١] .

ولهذا طرد الله إبليس ولعنه، وأغرق فرعون، وخسف بقارون .

وعندي قارونية : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ [القصص: ٧٨] .

الله عز وجل أنزل علينا لباسين، لباس مادي يواري العورات البدنية ، ولباس روحي، وهو الدين الذي يستر عورات الجوارح : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾[الأعراف:٢٦] .

الحق : هو الشيء الثابت الذي لا يأتي شيء ينقضه ، وهو الله جل جلاله ، وكتابه العظيم ، والدين الذي أنزله : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾[الحج:٦٢] .

الله ﷻ لا يحب الخائنين ، ولا يحب الخيانة : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ [النساء:١٠٥-١٠٨] .

والخوان صفة مبالغة ، فالخائن من خان مرة واحدة ، والخوان من كرر الخيانة ، والخائن من خان في أمر بسيط ، والخوان من خان في أمر عظيم ، فالمبالغة تكون إما بتكرار الفعل، أو في تضخيم الفعل .

إذا رأيت من عنده سيئة فأعلم أن لها أخوات ؛ لأن الله رحيم بالعباد ، ورءوف بالعباد، ما كان ليفضح عبده من أول مرة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة:١٤٣] .

المحيط بكل شيء هو الله عز وجل، هو المحيط بكل شيء علما ، فلا يخرج عن علمه شيء ، وهو المحيط بكل شيء قدرة ، فلا يخرج عن قدرته شيء:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] .

الإحاطة : تطويق المحيط للمحاط ، فلا تخفى عنه خافية ، ولا يفلت من قدرته أحد:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه: ١١٠].

هو سبحانه المحيط ، ولا يحيط به محيط ، ولو كان يحاط به لكان مقدورًا عليه بل الله بكل شيء محيط :﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥] .

فسبحان الرب المحيط بكل محيط: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[النساء: ١٢٦].

العاصي إما أن يعمل ما يسوء به غيره من زنا، ونحوه من السوء، أو يظلم نفسه بمعصية توجب عقابًا من الله من غيبة، أو شرب خمر ، ونحوهما، فالإنسان إما أن يعمل سوءاً يسوء به غيره، أو يظلم نفسه بفعل يخصها

وحدها من غيبة ، أو نميمة ، أو شرب خمر :﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

لو علم الظالم ما أعد الله للمظلوم من الأجر لضن على المظلوم أن يظلمه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم:٤٧] .

وقال عز وجل في الحديث القدسي:« يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا » أخرجه مسلم(١) .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم:٤٢] .

وسوف يقتص الله للمظلوم من الظالم ، فيؤخذ من حسناته ، وتعطى للمظلوم ، فإن فنيت أخذ من سيئات المظلوم، وطرحت على سيئات الظالم ، فنعوذ بالله من الظلم ، والظالمين .

المطلوب حفظ الإنسان من نفسه ، ومن غيره وحفظ نفسه وغيره :﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾[النساء:١١١ - ١١٢] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

٩- الفصل التاسع

الإنسان من حيث بدنه مجموعة أعضاء وجوارح تنمو وتصح بأكل الطعام الحلال الطيب ، وشرب الماء الحلال الطيب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة:١٦٨] .

وقال الله ﷻ:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف:٣١] .

الإنسان من حيث باطنه وقلبه مجموعة ملكات ، فالمؤمن يوجهها إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، والكافر يوجهها إلى ما يضره في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأعراف:٣٥-٣٦].

الخطيئة : المعصية غير المتعمدة .

والإثم : الخطأ المتعمد .

قال الله عز وجل:﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ ﴾[النساء: ١١٢] .

الداعي إلى الله كل يوم ينزل عليه هزات تصرفه عن الدعوة إما من الشيطان ، أو من النفس ، أو من الناس ، ولهذا أمر الله المؤمنين بالصبر في جميع الأحوال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم:٦٠] .

فالشيطان يريد للإنسان الغواية ، والنفس تريد تكميل شهواتها ومحبوباتها ، والناس يحسدونه، ويخافون على شهواتهم : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥ ﴾[النساء:٥٤ – ٥٥] .

يجب فعل الخيرات ابتغاء وجه الله، لينال العبد أجرها ، أما إن فعل من أجل أن يثنى عليه ، أو علوًا على الغير ، أو يكسب بها مصلحة ، فقد خاب ظنه فيما أراد :﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾[النساء:١١٤] .

مناط الجزاء في الآخرة، وما يأخذه العبد في الدنيا من الجزاء فذلك إكرامًا له ، وتشجيعًا لغيره ليفعل الخير مثله ، والدنيا أتفه من أن ينال العبد ثوابه فيها، لأنها ستفنى:﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾[آل عمران:١٨٥] .

من عمل الجميل لله أثابه عليه فورًا ، ومن فعله لغيره ، فليطلب ثوابه من غيره : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

عمل العقل أن يستدل بالمخلوق على الخالق ، فيؤمن به خالقًا وربًا وإلهًا ، فيتجاوز المخاليق إلى الخالق ، ويتجاوز الصور إلى المصور ، ويتجاوز الأرزاق إلى الرزاق ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ويتجاوز الانهماك والاشتغال بالأموال والأشياء إلى الاشتغال بالإيمان والأعمال الصالحة ، ويؤمن كذلك بالمبلغ عن الله، وهو الرسول ﷺ، والكتاب الذي أنزله الله إليه:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

الهدى : هو الأمر الموصل إلى الغاية الحميدة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾[الأنعام:١٥٣] .

الضلال : أن يسلك الإنسان طريقًا لا يوصل إلى غاية حميدة: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

كل ما خلقه الله خلقه لغاية حميدة، فإن استعملناه فيما خلقه الله لغايته، فقد حققنا مراد الله منه، وان استعملناه في غير ما خلق له، فقد غيرنا خلق الله، فالله خلق الإنسان للذكر، والشكر، والحمد ، والاستغفار، والتحميد، والتمجيد، وعبادة الله وحده: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ

أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦- ٥٨].

- **فعبودية اللسان في أمرين:**

أن تتكلم عن الله ، فتعظمه في نفسك، وتعظمه بين الناس، أو تتكلم معه بأن تقوم بين يديه في الصلاة ، وتكبره ، وتحمده ، وتسأله ، وتستغفره، وتقوم بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

فإذا استعملنا ما خلقه الله من كل شيء لغايته فقد حققنا مراد الله منه ، وإن استعملناه في غير ما خلق له فقد غيرنا في خلق الله:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦] .

الغرور : هو الشيء يصور لك حقيقة وهو وهم ، والغَرور هو الذي يفعل ذلك وهو الشيطان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥]

فالغرور هو الشيطان الذي يزين للإنسان الباطل، ويزهده في الأخرة: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر: ٦].

والخلود : هو المكث الطويل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

فإذا قال ربك أبدًا انصرف إلى المكث الأبدي في الخلود في جنات النعيم أبد الآباد : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

الدين ليس أماني بدون عمل ، فلا ثواب إلا بعمل خير ، ولا عقاب إلا بعمل سوء : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء: ١٢٣]

الدين ليس بالتمني إنما الدين بالتحلي كما أمر الله ورسوله به .

والتمني أن تطمع بشيء مسعد بدون عمل .

أمور النساء مبنية على الستر ، ولهذا يذكر الله الأحكام ، وينص على الرجال ، والمرأة داخلةٌ في الخطاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ ﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[البقرة:١٨٣] .

وغير ذلك من الآيات، وإذا كان الأمر يخص المرأة أصلًا ذكرها خاصة : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

العمل الصالح هو كل ما تصلح به الحياة ماديًا كان أو معنويًا من كل أمور الدين والدنيا ، فمن فعله لله أخذ ثوابه من الله ، ومن فعله لغير الله أخذ ثوابه من الناس :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠] .

الإسلام أن تسلم قلبك، وقالبك ، وزمامك، إلى من خلقك ، ومن اعتقد أن الله يراه أطاعه ، ولم يعصه ، وذكره ، ولم ينساه ، ومن اعتقد أن الله يراه ، فلا يجعله أهون الناظرين إليه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم:٣٠] .

فلا إله إلا الله، ما أجهل الخلق بربهم الذي خلقهم ورزقهم:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾نوح:١٣-١٨] .

ومن عرف ربه حقاً عبده حقاً، ونال ثوابه حقاً:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٥-١٧] .

السؤال في العمل الرتيب كأحكام الطهارة والصلاة ، ونحوهما : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل: ٤٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٢٢] .

ونحو ذلك ، والاستفتاء في العمل الذي لا يقع على الإنسان غالبًا كأحكام الميراث ، والزكاة ، ونحوهما:﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾١٧٦[النساء:١٧٦] .

- **النشوز ينقسم إلى قسمين :**

١- **نشوز المرأة** : وهو خروج المرأة عن طاعة زوجها .

٢- **ونشوز الرجل** : استعلاء الرجل على امرأته وظلمها ، وإهمال نفقتها .

وكل ذلك محرم ، وكل ذلك لابد من علاجه : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ

وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

﴿النساء:٣٤-٣٥﴾ .

أما بالنسبة لنشوز الرجل فكما قال سبحانه : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

﴿النساء:١٢٨﴾ .

التعدد سنةٌ مشروعة، فمن أخذ حكم الله بالتعدد، وأخذ حكم الله بالعدل، استقامت له الحياة الزوجية.

ومن أخذ حكم الله بالتعدد، ولم يأخذ حكم الله بالعدل جاء الشقاء في الحياة الزوجية :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠].

وقال تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

﴿النساء:٣-٤﴾ .

والعدل بين النساء عزيز، فمن قدر عليه فليعدد: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾[النساء:١٢٩] .

والمعلقة : هي الزوجة التي لا هي زوجة فتستمتع ، ولا أيم فتتزوج .

- **العمل ينقسم إلى قسمين :**

قول .. وفعل، ولا قيمة بعمل إلا بنية .

أما النية ، فلا يعلمها إلا الله ، وهى القسم الثالث ، فالعمل نيات بقلوب وأقوالٌ بلسان ، وأفعالٌ بجوارح: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

الشهادة : أن يوطئ اللسان القلب في أي خبر، وأي أمر ، وهذه هي الشهادة الشرعية المطلوبة كما مدح الله المؤمنين بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[المعارج:٣٣] .

وأعظم الشهادات الشهادة لله بالتوحيد:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٨] .

فإن خالف اللسان القلب، فهي شهادة زور : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[البقرة:١٤٠] .

وأعظم من ذلك بأن يشهد بضد ذلك .

العزة مأخوذ من الأرض الصلبة العزاز التي لا يقدر المعول على الأخذ منها ، أو من الشيء العزيز الذي لا ينال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾[النساء:١٣٩] .

ولا عزة في أحد إلا من العزيز : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس:٦٥] .

وأسباب العزة الدنيوية :

الجاه ، والمال ، والمنصب ، وهى في المخلوق تتغير وتزول، لأنها موهوبة .

أما العزة الحقيقة :

فإنه لا يملكها إلا الله ، وهي العزة بالتوحيد ، والإيمان ، وطاعة الله ورسوله ، فالعزة حقًا لا يملكها إلا الله العزيز الذي يهب العزة ، ولا تتغير عزته جل جلاله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾[فاطر: ١٠] .

فالعزة في الدنيا والأخرة لله، ورسوله والمؤمنين فقط: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٨] .

والعزة تكون بالقوة ، والمال ، والجاه ، والعلم ، وهذه كلها موهوبة للخلق من العزيز .

الحياة الدنيا أتفه من أن تكون ثمنًا للإيمان ؛ لأن النعيم فيها لابد أن يفارقك ، أو تفارقه بالموت ، أما النعيم الأبدي ، فهو في الجنة التي فيها النعيم المقيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

الخطأ من جنوده الصواب ، والباطل من جنوده الحق ؛ لأن الباطل يؤلم الإنسان فيفزع إلي الحق الذي يريحه، والخطاء يؤلم الإنسان فيبحث عن الصواب الذي يؤنسه، والألم من جنود الشفاء، لأن المتألم يتعب من الألم فيطلب الشفاء بالدواء ، والضلال من جنود الهدى ؛ لأن الإنسان يشقى

بالضلال فيطلب الهدى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام: ٧١] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

إذا وجدنا للكافرين على المؤمنين سبيلًا ، فلنعلم أن سنةً قد تركت ، وبسببها سلط الله الكافرين على المؤمنين، ليصفيهم من هذا الكدر ، ويتوبوا إلى ربهم من ذنوبهم:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران:١٥٢] .

المخادعة : هي خداع غيرك ، ومخادعة الله أن يعمل العبد العمل الصالح يريد به غير الله، والمرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا غادر، يا فاجر، يا خائن، يا كافر، خذ أجرك ممن عملت له .

النفس مركبة من عدة ملكات، والدين يعمل بين تلك الملكات تعايشٌ سلمي ، وتعاونوا على الحق، ويوجهها إلى الخير ويصرفها عن كل شر:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

وقال الله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] .

المؤمن فيه خيطٌ من الإيمان ، والكافر فيه خيط من الكفر ، والمنافق فيه خيط من الإيمان ، وخيط من الكفر: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢ – ١٤٣] .

- **أقسام الناس :**

الناس ثلاثة أصناف في السلوك:

إما إيمانٌ صرف .. أو كفر صرف .. أو نفاق، من الإيمان شيء، ومن الكفر شيء: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة: ٩] .

وهؤلاء هم أخطر الناس، وأشدهم عند الله يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون: ٤] .

الإدراك : هو أن تحيط العين بالمدرك ، فيقال قدر عليه ، والله قادر غير مقدور عليه، محيط لا محاط به ، والعين إذا أحاطت به فقد قدرت عليه ، والله محيط بكل أحد ، ولا يحيط به أحد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

والمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة، ولكن لا يحيطون به: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢ – ٢٣] .

• **النسبة** : هي نسبة حدث لفاعل كـ قام محمد .

وهي على ستة أضرب :

(يقين ، أو علم ، أو جهل ، أو شك ، أو ظن، أو وهم) .

فإن تساوى الأمران فهو شك ، وإن رجح أحدهما فهو ظن ، فالشك نسبة متأرجحة ، والظن نسبة راجحة ، والوهم نسبة مرجوحة ، والعلم نسبة واقعة ، واليقين نسبة متأكدة ، والجهل أن تعلم قضية مخالفة للواقع ، والأمية ألا تعلم شيئًا .

• **مراحل اليقين ثلاث:**

علم اليقين .. وعين اليقين .. وحق اليقين، وهذا أعلاها .

فعلم اليقين : كان يخبرك من تصدقه وتعرفه إن العسل أسود حلو .

وعين اليقين : أن يأتي به إليك ، وتراه .

وحق اليقين : أن تذوق طعم العسل ، وحلاوته ، وترى لونه .

فالقرآن أخباره وأوامره كلها حق اليقين، الذي هو أعلى درجات اليقين: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الواقعة: ٩٥ – ٩٦]

الله هو الذي يفعل كل شيء، وكل ما سواه مفعول، ومن إحسانه إليك أن فعل هو، ونسبه إليك ، فالإنسان لا يفعل ، لكنه يوجه الفعل ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[الأنفال: ١٧] .

الوحي : إعلام بخفاء ، والوحي في الشرع إعلام بخفاء من الله لرسله ، والوحي إما أن يكون من الله ، أو من غيره ، فالله يوحي إلى رسله : ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾[النساء:١٦٣] .

ويوحي إلى الجماد ، ويوحي إلى النبات ، ويوحي إلى الإنسان ، ويوحي إلى الملائكة ، ويوحي إلى الجن ، والناس يوحي بعضهم إلى بعض ، والشياطين توحي بعضهم إلى بعض ، والشياطين توحي إلى الإنس .

فالوحي إعلام بخفاء من أي أحد، إلى أي أحد، بأي أمر ، فالوحي إما أن يكون من الله ، أو من غير الله ، والوحي يكون من الله إلى خلقه ، ومن الناس ، والشياطين لبعضهم في أي أمر .

والوحي من الأعلى إلى الأدنى لا يمكن أن يتحمله الأدنى، ولهذا جعل الله الواسطة الملائكة النورانيين، فلما اعتاد ذلك الرسول ﷺ أوحى الله إليه مباشرةً حينما عرج به إلى السماء:﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم:١٠]

نوح ﷺ طرأ على أمته، وآدم طرأت عليه أمته، فأنهم تناسلوا منه، فنوح أول الرسل بعد آدم ، والله أوحى إلى آدم قبل نوح ، ونوح أرسل إلى الناس كافة في وقته الذين هم ذريته: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾[الشعراء: ١٠٥ - ١١٠] .

١٠- الفصل العاشر

أكرم الله هذه الأمة بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس ، فأرسل إليها أفضل رسول ، وأنزل عليها أحسن كتاب، وخصها بأعظم الصفات: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وشرفها بأحسن الأعمال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤] .

وكشف لهذه الأمة جهد الأنبياء، وأخلاق الأنبياء، وأمرها بالاقتداء بهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ﴾[الأنعام: ٩٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم:٤١] .

وأمر الله رسوله وأمته بذكر حياة الأنبياء فقال: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم:٥١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم:٥٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[ص:٤٥-٤٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الإنسان في حال الصحة مع نعمة الله ، وكثيرًا ما يشتغل بالنعمة عن المنعم ، فإذا أشتغل بذلك، وطال إعراضه أصابه الله بما يرده إليه، فالإنسان في حال الصحة مع نعمة الله ، وفي حال المرض مع الله ، والله يريد من العبد أن يكون مع الله لا مع غيره ، ولكن من رحمة الله أن لا يطيل وقت المرض ، فإذا طال وقت المرض والبلاء، فاعلم أنها لم تحن لحظة الرضا من الله فليكثر من التوبة والاستغفار، ليرضي عنه ربه:﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة:٦٢] .

فليجتهد العبد ليكمل إيمانه، ليرضى الله عنه، ويرفع عنه البلاء : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

فالصحة تجمع بين العبد ونفسه ، والمرض يجمع بين العبد وربه ، ولا يرفع القضاء من الله من المكروهات إلا أن يستسلم الإنسان للقضاء، ويرضى به، ثم الله يرفعه عنه كما في قصةِ ذبح إبراهيم إسماعيل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢] .

لقد قال إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[الصافات:١٠٠] .

فقال الله ﷻ : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[الصافات:١٠٠-١١٣] .

ثم قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ ﴾[الصافات:١٠٢-١١٣] .

فهذا ابتلاء ابراهيم، فاستسلم لأمر الله، ونفذ ما أمره الله به، فأنجى الله اسماعيل، وبارك في ابراهيم وذريته الى يوم القيامة: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[النحل:١٢٠] .

- **وحي الله إلى رسله ثلاثة أنواع :**

إما وحي خاص .. أو من وراء حجاب .. أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء .

فالوحي إلهام ، ومن وراء حجاب كلام ؛ كلام الله مع الرسول ، وإرسال رسول من الملائكة : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى:٥١] .

والرسول ﷺ أوحى الله إليه إلهامًا ، وأوحى إليه من وراء حجاب حين فرض عليه الصلاة ، وأوحى إليه بواسطة جبريل ، والقرآن كله نزل بواسطة جبريل .

أما البعث في الروع فقد جاء في الأحكام لا في الآيات كما قال ﷺ: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، أَلا فَاتَّقُوا اللهَّ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ »أخرجه البغوي[1] .

في باب الصفات لابد أن تؤخذ كل صفة من صفات الله التي لها مثل في البشر، في إطار ليس كمثله شيء:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى:١١]

فالله له وجه ويد وعين والإنسان له كذلك ، ولكن صفات الله تؤخذ في إطار ليس كمثله شي ، فهو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة؛ لأن قوة الله ليس لها أول ولا آخر ولا بداية ولا نهاية ، أما قوة المخلوق فهي موهوبة ، ولله وجه ويد وعين لكن ليس كمثله شيء ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤] .

لا يوجد ابتكارٌ عظيم إلا ويعلم الناس من اكتشفه كالكهرباء والهاتف وغيرها من أنواع الصناعات، ونحن كيف نعرف من أبدع هذا الكون العظيم الذي كله آيات، ونعرف ما يريد منا من خلقه؟ .

لابد في ذلك من أمرين :

النظر في الآيات الكونية .. والتدبر للآيات الشرعية: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا

(١) حسن/ أخرجه البغوي برقم: (٤١١٢).

فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾[ق: ٦- ٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

فالعقل يدل الإنسان على مكون هذا الكون العظيم، والرسول يقول للناس هذا هو الله، والله يريد منكم أن تعبدوه وتطيعون، وإذا عبدتموه وأطعتموه أسعدكم في الدنيا والآخرة: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف:١١٠]

فالعقل عبد لله يقر بوحدانية الله إذا سلم من الهوى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[المؤمنون:٨٤- ٩٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

إذا علا الباطل يوماً ما على الحق، فاعلم أنه علو الزبد فوق الماء، وسيذهب جفاء، ويأتي الحق بعده: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[الرعد:١٧] .

فإذا ظهر الحق، أختفي الباطل، كما يظهر الزبد، ثم يختفي في جوانب الوادي : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

كلُ إنسان فيه ذرة من جسد آدم ﷺالذي خلقه الله بيده ، وفيه روحُ من الروح التي خلقها الله، ونفخها في أبيه آدم ﷺ ، ففي كل إنسان جزيءٌ شهد خلق الله بيده ، وشهد نفخ الروح فيه، وفيه حياةٌ مستقرة من آدم ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، وشهد لله بالوحدانية، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف:١٧٢].

وكل مخلوق فيه ذرةٌ مما قبله ، وفيه حياة مما قبله ، وفيه حياة مستقرة مما قبله من جمادٍ ونباتٍ، وحيوانٍ وإنسانٍ ، ففيه حياة مستقرة إلى أن تقوم الساعة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾[الحجر:٨٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل:١٧- ١٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان:١١] .

وقال الله عز وجل:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا ، وقد نزه نفسه عن صفات النقص بأساليب شتى :

فأولًا : سبح نفسه بنفسه ؛ لأنه أعلم بنفسهِ من خلقهِ ، فسبح نفسه قبل المسبحين ، وقبل أن يخلق المسبحين فقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

وقال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الصافات:١٨٠] .

وقال : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الروم:٤٠] .

ثانيا: ثم أخبر عن تسبيح المخلوقات له فقال : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة: ١]

وقال الله عز وجل: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

ثم أخبر عن تسبيح مخلوقاته في الماضي بقوله : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الحديد:١] .

ثالثًا: ثم أمرنا بالتسبيح فقال : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ﴾[الأعلى:١] .

وقال : ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة:٧٤] .

الله ﷻ له ملك السموات والأرض، والسموات ظرف للملائكة ، والأرض ظرف للإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات ، وعادةً المظروف أنفس من الظرف ، فالسموات والأرض ظروفٌ عظيمة للمخلوقات ، والله له ما في السموات وما في الأرض .

والسموات والأرض عظيمةٌ وعجيبةُ الخلق، وما فيهما أعجب ، وما غُيِّب عنا أعجب وأعجب ، والله له غيب السمواتِ والأرض من الكنوزِ وغيرها مما لا يعلمه إلا الله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [النحل:٧٧] .

فسبحان الخلاق العليم، عالم الغيب والشهادة: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود: ١٢٣] .

فلا إله إلا الله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم:٦٥]

فالله له ملك السموات والأرض، وما في السموات والأرض له، وله غيب السموات والأرض، فهذه الثلاث كلها لله وحده لا شريك له : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة:١٢٠] .

الله ﷻ واحد لا ثاني له ، واحدُ لا أبعاض له؛ لأن الأبعاض توحي بحاجة كل عضوٍ إلى آخر ، كأعضاء الإنسان، والله منزه عن ذلك : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤] .

الله ظاهرُ بوجوده الذي لم يدعه أحد غيره، وباطنٌ بذاته عن خلقه : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣] .

ظلم النفس :

أن تحقق لها شهوة عاجلة في الدنيا، تورثها شقاء في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣]

والمصيبة : هي ما يصاب به الإنسان فيما يراه نافعًا له: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

ظلم النفس من أعظم أنواع الظلم بعد الشرك بالله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

وأعظم ظلم للنفس تركها ، وشهواتها ، والإعراض عن دين الله ، والاشتغال بالشهوات عن أوامر الله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

فالظلم يقتضي ظالمًا ، ومظلومًا ، ومظلومًا به ، فإذا نفخت الروح في الجسد ظهرت النفس التي تحب الشهوات ، فالبدن في الأصل خيرٌ مطيع ، والروح خيرة مطيعة ، والنفس تطلق على مجموع الإنسان المكون من الجسد ، والروح ، فإذا تم اقتران الروح بالجسد ظهرت النفس التي تحب الشهوات ، فمن استمتع بالشهوات العاجلة ، وفرط في كسب الشهوات الآجلة ، فقد ظلم نفسه، لأنه حقق لنفسه شهوات محرمة تورث العقاب في الآخرة:﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

ويقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأحقاف:٢٠] .

أعمال الدين لها حسنات تضاعف حسب الشرع، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة ، وفوقها يعطي الكريم لمن شاء من خلقه أجورًا لا حد لها، ولا نهاية لها لمن صبر: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

ويعطي الكريم من لدنه أعمالاً وأجوراً عظيمة:﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الكهف: ٦٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء: ٤٠] .

فأجورٌ بحسب العمل ، وأجورهم تفضل من الرب : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾[النساء:٦٦ -٦٧] .

الشهداء : هم الذين قتلوا في سبيل الله ، فشهدوا ببذل أبدانهم إن هذا الدين حق ، فيسلم بسبب ذلك الناس ، أو الشهداء الذين يشهدون عند الله أنهم بلغوا من بعدهم ، كما شهد الرسول ﷺ أنه بلغ أمته كما قال ﷺ : « اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. »أخرجه النسائي[1] .

فأولئك شهدوا بدمائهم أن الدين حق، وأولئك شهدوا بألسنتهم أن الدين حق: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[آل عمران: ٥٣] .

الصالح :

هو العبد الذي تحمل مهمة الخلافة الإيمانية في الأرض ، ويكون الصلاح بإصلاح نفسه بالإيمان والتقوى ، وإصلاح غيره بالدعوة إلى الله، والعمل بشرع الله .

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١١٢٠).

فهذا هو الصالح لدخول الجنة، بسبب إيمانه ، وأعماله الصالحة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف: ١٠٧] .

ليس للإنسان إلا ما سعى حقًا بعمله ، وبقي الفضل من الله ، والفضل والإحسان من الخلق : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨] .

وذلك كله له سواء حصله بنفسه، أو جاءه من غيره : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم:٣٩-٤١] .

وقال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم(١) .

الله ﷻ هو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية، والبداية والنهاية لمخلوقاته:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم: ٢٧] .

الله هو الأول فليس قبله شيء، كان الله ولم يكن شيء قبله ، ثم خلق الخلق، الله عز وجل عليم بكل شيء ، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، يعلم ما

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣١٦٨).

يلج في الأرض من المياه والبذور، والجذور والعروق وغير ذلك ، ويعلم ما يخرج منها من الثمار، والمعادن، والبترول، والغار ، وما ينزل من السماء من الوحي، والمياه، والملائكة وغيرها ، ويعلم ما يعرج فيها من الأقوال والأعمال والملائكة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[سبأ:١- ٢] .

فسبحان العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وما يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾[الحديد:٤-٥] .

أيها الإنسان إن كنت تعتقد أن الله لا يراك فهذا خلل في إيمانك، فالله بصيرًا بكل شيء ، وإن كنت تعتقد أنه يراك فلم جعلته أهون الناظرين إليك !: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾[نوح:١٣- ٢٠] .

القلب محل الإيمان كما أن العين محل الإبصار ، والأذن محل السماع .

فالقلب محل الإيمان والتوحيد، فإذا صلح القلب بالإيمان ضخ الحق إلى الجوارح مع الدم ، فتكلم اللسان بالحق ، وتحركت الجوارح بالطاعات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾[الأحزاب:٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر:٩] .

فإذا امتلأ القلب بالإيمان تحركت الجوارح بالأعمال، مع طاعة الله باليقين الذي سكن في القلب: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

المؤمن عرف ربه بآياته ومخلوقاته ، وعرف مراد ربه بواسطة رسوله محمد ﷺ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله عز وجل:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر: ٧] .

من شرف الفقير أن دفع الزكاة إليه شرطٌ فيه إيمان الغنى ، فالفقير شرطً في إيمان الغني ، فعجز الفقير سده إنفاق الغني .

لآن المؤمنين كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وكالبنيان يشد بعضه بعضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة:٢٦٧] .

فالطاعات فرع الحياة ، والحيات قائمة على القوت، وكل ذلك من عطاء الله :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧] .

الربوبية عطاء، والألوهية تكليف ، فيجب أن يكون عطاء الرب محركًا لتنفيذ أوامر الإله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وجزاء امتثال الأوامر للإنسان كرم من الرب الغني الكريم : ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن:١٧] .

غِذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَـوْءِ القُـرْآنِ وَالسَّـنَةِ

الباب الرابع

ويشتمل على الفصول التالية :

١ – الفصل الأول

٢ – الفصل الثاني

٣ – الفصل الثالث

٤ – الفصل الرابع

٥ – الفصل الخامس

٦ – الفصل السادس

٧ – الفصل السابع

٨ – الفصل الثامن

٩ – الفصل التاسع

١٠ – الفصل العاشر

غِذاءُ القُلُوبِ

الباب الرابع

١ - الفصل الأول

الذي يحدد غاية المحدَث هو من خلق المحدَث وهو الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فالله خلق الشمس للإنارة ، والأرض للإنبات ، وخلق الإنسان وخلق الجن لعبادته وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

النور هو الأصل ، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فالنور هو الأصل، فهو الذي يجعل الإنسان يمشي بسلام لا يتعثر .

ومن مشى في الظلمات أصابته إحدى آفتين:

أما يصطدم بما هو أقوي منه فيحطمه كعامود مثلاً .

أو يصطدم بالأضعف منه فيحطمه هو كما لو وطئ نملة .

فالله عز وجل من علينا بنور الإيمان في القلب، ونور القرآن : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام: ١٢٢]

- **المال الذي تملكه فيه شركاء ثلاثة :**

أنت، والحوادث، والوارث، فخذ منه ما ينفعك في أخراك، فليس لإنسان من ماله إلا ما أكل فأفناه، أو لبسه فأبلاه، أو تصدق به فأمضاه : ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة:٢٦١] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[البقرة:٢٦٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[المنافقون:١٠- ١١] .

من أراد أن يعرف نفسه هل هو من أهل الدنيا، أو من أهل الآخرة، فلينظر إذا دخل عليه اثنان، أحدهما جاء بهدية، والأخر جاء يريد عطية ، لمن يبش منهما ؟

فمن بش بوجهه لمن جاء بهدية، فهو من أهل الدنيا ، ومن بش لمن يريد العطية، فهو من أهل الآخرة: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾آل [عمران:٧٣ – ٧٤] .

وقال الله عز وجل:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

الإنفاق في سبيل الله قبل الفتح أفضل من الأنفاق بعد الفتح: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[الحديد: ٧]

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[الحديد: ١٠ – ١١]

وهذا الفتح هو صلح الحديبية ، لأن المؤمنين قله، والكفار كثره ، وفتح مكة من ثمرات صلح الحديبية ، فمن أنفق قبل فتح مكة فله أجر مضاعف ، فالأنفاق في سبيل الله لإعلاء دين الله من أعظم درجات الإنفاق :﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء:٩٥-٩٦] .

والله عز وجل من سنته وكرمه أن يعطي في كل بلد الأغنياء من الأموال ما يسدوا به حاجة الفقراء، فإن رأيت سائلًا فإما أن يكون الغني غفل عنه، ولم يخرج الزكاة ، أو يكون السائل محتالًا مستكثرًا .

فالله قسم الأرزاق لكل مخلوق، وتأتيه الأرزاق من أبواب متعددة كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾[هود: ٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[الزخرف:٣٢] .

فإذا رأيت غنيًا يسرف في الإنفاق على الشهوات، فأعلم أنه حرم حق الفقراء حظهم في ماله ، وحرم نفسه من الإنفاق في سبيل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة:٢٦٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾[مريم:٥٩] .

إذا علمت أنك لا تخلو من نظر الله طرفة عين ، فاستحي أن تعصيه بنعمه في ملكه، وبادر إلى طاعته: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ٤﴾[قريش:١-٤] .

وإذا علمت أن لك رزقًا قسمه الله لك ، ولن يصرف لغيرك ، فأقنع به حتى يأتيك : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[الزخرف:٣٢] .

وإذا علمت أن الله فرض عليك فرائض ، ولا يؤديها عنك غيرك ، فاشتغل بها : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وإذا علمت أن أجلك أتيك ، فبادره قبل نزوله بالعمل الصالح : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١٠- ١١] .

الله ﷻ غفورٌ رحيم ، فإما أن تذنب ثم يغفر الله لك، أو يستر عنك الذنب فلا يصل إليك : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠] .

القضاء حكم لازمٌ لا دخل لك فيه ، وهو واقعٌ لا محالة ، أما القدر حكمٌ لك فيه دخل ، ولكن الله علمه وكتبه وشاءه : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩] .

فاحفظ الله يحفظك، وإذا أذنبت فبادر إلى التوبة والاستغفار: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠] .

ذنوب الخلق كثيرة، ولكن الغفور الرحيم جعل لهم مواسم تغفر فيها الذنوب فالجمعة إلى الجمعة موسم، ورمضان إلى رمضان موسم، والصلاة إلى الصلاة موسم، ويوم عرفة موسم ، ويوم الجمعة موسم، وآخر كل ليلة موسم .

لماذا ؟ لأن الله يريد أن يغفر لعباده ذنوبهم، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

والله رؤوفٌ بالعباد لولا أطفالٌ رضع، وشيوخ ركع، وبهائم رتع، لصب علينا العذاب صبًا ، فما أحلم الله على خلقه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

الضنك ضيق النفس بأمرٍ تكرهه، من هم أو خسارةٍ أو شدة : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

الميزان هو الذي يفصل بين الحق والباطل، وبين الحسنات والسيئات : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء:٤٧] .

وكل عبد يوم القيامة سيوزن، ويوزن عمله، وتوزن صحائفه:﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

فالكتاب لمن عمل به، والميزان لمن خالف الحق ، والناس قسمان :

قسمٌ عاقل البينات تقنعه .

وقسمٌ جاهل معاند الحديد يردعه .

والله أرسل الرسل بالكتاب والميزان الذي هو العدل ، وأنزل الحديد ليرد المعتدي، ويردع الظالم : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد:٢٥] .

علاقة الله بالكون علاقة الرب بالعبد ، وعلاقة الخالق بالمخلوق ، وعلاقة الرازق بالمرزوق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج:٦٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك:١] .

فسبحان قاضي الحاجات كلها:﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

جعل الله لهذه الأمة الأرض مسجدًا وطهورًا ، فتصلي في أي مكانمن الأرض، وتطهر بماء الأرض ، فإن لم تجده أو لم تتمكن من استعماله فتطهر بتراب الأرض .

قال النبي ﷺ: « وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا » متفق عليه[1] .

وذلك كله لتوسيع دائرة العبودية في المكان حتى نلتقي بالله في أي مكان، وفي أي زمان ، ونعبده في أي مكان، و في أي زمان: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا

(١) **متفق عليه**،أخرجه البخاري برقم(٤٣٨)، ومسلم برقم (٥٢١) .

مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء:٢٦-٢٨] .

وشرع الله العبادات في كل مكان، وفي كل زمان، لتتسع دائرة العبودية من صلاة، وصوم، وحج، وذكر، ودعاء وغير ذلك من أنواع العبادات:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] ..

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة:١٨٥] .

أقسام المخلوقات:

المخلوقات قسمان :

الأول: مخلوقات مقهورة على العبادة:

كالسماوات والأرض والجبال وغيرها، وهم الذين اختاروا ذلك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

الثاني: مخلوقات مخيره:

وهم الجن والأنس ، وهم الذين اختاروا تحمل الأمانة وحرية الاختيار ، والله خلق الكون كله على أساس الاختيار ، ولكن من هذه المخلوقات من اختاروا مرة واحدة أن يكونوا مقهورين مسبحين لربهم دائماً، ومنهم من اختار أن يطيع الله اختيارًا متعددًا طوال فترة حياته، وهم الجن والإنس ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

السماوات والأرض وغيرها من المخلوقات لها حياةٌ خاصة ، ولهذا رفضت تحمل الأمانة، واختارت أن تكون مقهورة مسخرة لا مخيره ، لأنها أحست بعدم قدرتها على أداء الأمانة، وحملها الإنسان ثم ضيع الأمانة فأشرك بالله، وعصي ربه، وعبد الأصنام إلا من آمن بالله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

عبادات الخلق لا تحقق نفعًا لله عز وجل ، فلا طاعاتهم تزيد في ملكه، ولا معاصيهم تنقص من شأنه، لأنه الغني عن كل ما سواه ، بل هو الغنى عن الكون كله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي:« يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا » أخرجه مسلم[1] .

فالله هو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه في خلقه وإمداده وهدايته: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان: ٢٦]

العبادة ليست إذلالًا للخلق ، وإنما هي تشريفٌ لهم، بأن يعبدوا ربهم العلي الأعلى، ويستعينوا به، ويسألوه حاجاتهم .

فليست العبادات والطاعات إذلالًا للخلق ، وإنما هي هدًى وشفاء وتكاليف، الغرض منها اتصال المخلوق بخالقه ، ليكبره ويعظمه، ويحمده ويشكره، ويسأله ويستغفره، ويقدم التحية له ؛ لأنه هو الذي خلق الإنسان، وأسكنه في ملكه، وأطعمه من رزقه، وحفظه عما يضره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وهذه العبادات تصل بالإنسان إلى أعلى درجات الرقي البدني والروحي ، الذي يتناسب مع كون الإنسان خليفة في الأرض ، ويتناسب مع كونه المختص بالعقل دون سائر المخلوقات : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[الإسراء: ٢١] .

الله عز وجل هو الخلاق العليم، الذي يخلق ما يشاء ، ويفعل ما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، يفعل بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس: ٨٢ – ٨٣] .

خلق المكان والزمان ، وقد جعل لكل حدثٍ مكاناً وزماناً يناسبه : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران:١٩٠ – ١٩١] .

فالله خالق كل شيء ، فكم من مخلوق خلق ، وكم من يوم خلق ، وكم من ليلة خلق، إن شاء خلق يومًا مقداره ألف سنة ، فهو قادر : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[الحج:٤٧] .

وإن شاء خلق يومًا مقداره خمسين ألف سنة : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾[المعارج:٤] .

وإن شاء خلق يومًا مقداره مليون سنة:﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[هود: ١٠٧].

وإن شاء خلق يوماً مقداره أربع وعشرين ساعة فهو قادر ، وإن شاء خلق يومًا لا نهاية له أبدًا، ولا ليلة بعده، وهو يوم القيامة ، فهو قادرٌ سبحانه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢] .

فسبحان الرب القادر على كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١] .

والله رؤوفٌ بالعباد جعل يوم الدنيا أربعاً وعشرين ساعة، ليناسب حياة الناس، وطاقاتهم، وقسم هذا اليوم إلى ليل ونهار، ليعمل الناس في نصفه، ويستريحوا في نصفه الآخر﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الروم: ٢٣]

والله عز وجل ذو الفضل العظيم ، والفضل العظيم بيد الله عز وجل وحده لا شريك له ، فكل ما سوى الله فضلٌ من الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾[غافر:٦١] .

والله ذو الفضل العظيم، لأنه أوجد الكون من العدم ، وخلق الأرزاق قبل المرزوقين ، وأوصلها إليهم ، وخلق لنا ما في الأرض جميعًا : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة:٢٩] .

وسخر لنا ما في السماوات ، وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

وأرسل إلى الخلق رسولاً مذكرًا إذا غفلوا عن ربهم : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وأنزل عليهم كتبه وأحكامه : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[المائدة:١٦-١٧] .

وشمل برحمته جميع خلقه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف:١٥٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر:٧] .

وعفا سبحانه عن سيئات الخلق : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[غافر:٣] .

٢- الفصل الثاني

أهل الكتاب نسوا حظًا مما ذكروا به ، والذي لم ينسوه كتموه ، والذي لم يكتموه حرفوه ، ثم قالوا على الله كذبًا ما لم يقله، ولم يشرعه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنعام:٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام:٩٣] .

• والكذب على الله أعظم من الكذب على غيره من الخلق ، لأن من افترى على البشر افترى في قضية غير ملزمة ، أما الافتراء على الله فهو افتراءٌ في قضية ملزمة ؛ لأن الناس يؤمنون بالله، ويفعلون ما شرعه :﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الأنعام: ١٤٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأنعام:١٥٧] .

والكذب على رسول الله ﷺ أعظم من الكذب على غيره من الناس ؛ لأن من أفتري على البشر افترى في قضية غير ملزمة ومن افترى على الرسول ﷺ فقد أفترى في قضية ملزمة، لأن الناس يؤمنون بالله، ويؤمنون بالرسول، ويفعلون ما جاء عن الله ورسوله :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

ولهذا قال النبي ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . متفق عليه(١) .

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الزمر:٣٢-٣٤] .

الاستفهام من العليم سبحانه لا يقصد منه علم القضية ، وإنما يقصد منه الإقرار من المسئول الفاعل لذلك العمل ، فالله لا يسال الناس ليعلم، بل يسألهم ليقروا ويعترفوا ماذا أجبتم المرسلين ؟ وماذا كنتم تعملون ؟ .

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف:٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] .

الهدي سلوك الطريق الموصل إلى الغاية ، والضلال سلوك الطريق الذي لا يوصل إلى الغاية ، فالمؤمن هداه الله إلى الطريق الموصل إليه : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧]

والكافر أعرض عن الطريق الموصل إلى الله فأضله الله: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٩١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣).

ومن لم يتبع هدى الرحمن، فلابد أن يتبع سبيل الشيطان : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[النساء: ١١٩ – ١٢٠]

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

- **المعجزات قسمان :**

معجزات حسية ترى كفلق البحر لموسي ، وتفجير الحجر حتى خرجت منه عيونًا لموسى ﷺ ، وهذ تنتهي في حينها.

ومعجزات تسمع، وهي معجزة القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذه أعظم، لأنها باقيةً إلى يوم القيامة :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر: ٩] .

الله ﷻ له الخلق والأمر ، الله قوله الحق، وكتابه الحق ، فالفاعل والفعال هو الله وحده واحد لا شريك له ، ولكن القابل مختلف .

فالماء ينزل من السماء واحداً، والقابل مختلف ، فالأرض الطيبة تنبت ومثلها المؤمن بفطرته يقبل الهدي، ويزيد إيمانه﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

ومن الأرض الجبال والسباخ التي لا تنبت كالكافر الذي استكبر، ولا يريد الحق الذي يقيده، والقرآن فيه تبيان لكل شيء : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾[فصلت:٤٤] .

والأمور كلها بيد الله وحده: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[الأعراف:١٨٦].

الذي اكتشف الهاتف والكهرباء يعرف بنفسه، ويقول عملت كذا وكذا ويمجد نفسه أمام غيره ، والله عز وجل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى يعرف بنفسه لخلقه فيقول : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ -٢٤] .

والمتكلم بالقرآن واحده وهو الله عز وجل ، ولكن القابل مختلف، فمن الناس من يسمع القرآن فيبكي ويخر ساجدًا لله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

ومنهم من يسمع القرآن ثم يقول ماذا قال أنفًا ؟

فالمتكلم بالقرآن واحد وهو الله عز وجل، والقابل مختلف ، ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟

لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[يونس:٤١-٤٤] .

والله أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وأعطى الأسماع ، والأبصار ، والعقول وبين الحق من الباطل، ورغب في الحق ونهى عن الباطل ، والإنسان يختار ما يختار : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٢٩﴾﴾[الكهف: ٢٩] .

الدنيا موضوع الدين ، والآخرة جزاء الدين ، والدنيا إناءٌ للدين ، والآخرة إناءٌ للجزاء على الدين ، فمن أحسن في الدنيا نال الجنة في الآخرة ، ومن أساء في الدنيا دخل النار يوم القيامة :﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾[الحج:٥٦ -٥٧]

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤] .

واللعب : هو مزاولة حدث، ثم نقضه في آنٍ واحد ، وذلك قتل للوقت لا فائدة منه ؛ لأنه تخريب وبناءً وتخريب .

واللهو : هو مزاولة عمل أدني يشغل عن عمل أعلى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾[المنافقون:٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا

ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[الحديد:٢٠].

لهذا نسابق ونسارع إلي دار الخلود بالأعمال الصالحة والباقيات الصالحات : ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد:٢١].

في الدنيا إن كنت غنيًا فأنت دائما في خوف ؛ لأنك تخاف أن تموت أو تفتقر ، أما في الآخرة فالمؤمن باق مع النعيم والمنعم أبدًا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأنعام: ٣٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[مريم:٨٥] .

الرسول ﷺ حريصٌ على إيمان الكافرين ، وبالمؤمنين رءوف رحيم : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

الحزن : إخراج النفس عن سياق انبساطها لسببٍ تكرهه ، ومن رحمة الله وسنته أن يوجد في هذه الدنيا شرٌ يفزع الناس منه ، وخيرٌ يجد الناس حلاوته ليفروا من مرارة الشر إلى حلاوة الخير ، فلو لم يوجد شرٌ تظهر أضراره، لما عرف الناس للحق حلاوته : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء:٣٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[البقرة: ١٥٥ - ١٥٦] .

الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، ونقل الحق عن من يستحقه ، وصرف الحق لغير مستحقه، وحق الله التوحيد، ونقله إلي غير مستحقه من الأصنام أعظم الظلم : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان:١٣] .

ودونه نقل حق لمخلوق، وإعطاؤه غيره ، فظلم المخلوق قبيح، والأول أشد وأعظم وأقبح، ولهذا الشرك لا يغفره الله لمن مات عليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾[النساء: ١١٦] .

والجحد : إباء اللسان أن ينطق بكلمة الحق كما قال الله عن كفار مكة: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام: ٣٣] .

وقال الله عز وجل عن فرعون وجنوده:﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[النمل:١٤].

القضايا الكبرى لا تناقش أمام الناس، بل يناقشها الإنسان ويتفكر فيها بنفسه أو مع واحدٍ غيره، ليصل إلى الحق والصواب: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾[سبأ:٤٦] .

كما سخر الله لك ما في السموات وما في الأرض، لتستفيد منه، وتستعين به علي طاعة الله، فسخر أنت قلبك وقالبك وجوارحك في عبادة وطاعة من سخر لك ما هو أكبر منك ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

وإذا علمت بهذه النعم فعليك أن تشكر وتطيع وتعبد من أنعم عليك بهذه النعم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

﴿ ٢١ ﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

الاستجابة : أن يجيبك من طلبت منه، إلى ما طلبت منه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿ ٦٠ ﴾ [غافر:٦٠] .

والإجابة : أن يجيبك على سؤالك الذي طلبت : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ ١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

معجزة النبي ﷺ هي القرآن ، وقد تحدى الله العرب أولا أن يأتوا بمثله فلم يقدروا كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿ ٨٨ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

ثم تحداهم بعشر سورٍ من مثله فلم يقدروا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿ ١٣ ﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله فلم يقدروا، ولن يقدر أحد على ذلك أبداً: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿ ٢٣ ﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿ ٢٤ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] .

والقرآن الكريم معجزةٌ باقية إلى يوم القيامة، يستدل بها الناس على وحدانية الله، وكمال قدرته، وعظمه ملكه وسلطانه، وعظمه دينه وشرعه في كل زمان ومكان :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

الخزائن كلها بيد الله وحده، ويُنزّل منها بقدر ما يصلح حياة البشر في كل زمان ومكان: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر:٢١] .

فكل شيء عرفه البشر، فالله أفهم أحدهم فعرفه واكتشفه من بترول وغاز وكهرباء وهاتف وأنواع المخترعات والصناعات وغير ذلك: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت:٥٣] .

أخذ الله الكفار بالعذاب بغتة، ليثبت لهم عدم علم من عبدوهم بالعذاب ، وعدم قدرتهم على رد العذاب : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر: ١٣-١٤] .

وأخذهم بالعذاب جهره يثبت عدم قدرة المعبود على رد العذاب عمن يعبده ، فهم مخدوعون خدعهم الشيطان بعباده من لا ينفع ولا يضر ، ولا يأمر ولا ينهى ، ولا يثيب ولا يعاقب : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنعام:٤٧]

فسبحان الله ما أسفه من عبد غير الله، وتعلق بغير الله : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنعام:٤٦] .

البشارة : إخبارٌ بما يسر قبل أن يقع ؛ ليستعد المبشَّر بما ينال به هذه البشارة من العمل الصالح .

والنذارة : إخبارٌ بما يسوء قبل أن يقع، ليحذر السامع أن يقع فيما يسوء : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنعام:٤٨-٤٩] .

وقال الله عز وجل في البشارة:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

إذا رأيت فقيرًا جائعًا أو عريانًا، فاعلم أن حقًا له قد منع عنه ، لأن الله قد أعطى الغني ما يكفيه، ويكفى غيره ، فإذا قبض الغنى يده عن الفقير ، أو تسول فقير بغير حق، حصل الفساد في العالم ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١] .

حيوانات البحر إذا خرجت للبر هلكت ، وحيوانات البر إذا دخلت البحر هلكت ، والإنسان إذا خرج من الدين هلك، وفسد، وأفسد غيره ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١] .

الرب ﷻ أعطاك بربوبيته كل نعمة: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

وكلفك بما ينفعك في الدنيا والآخرة بإلوهيته ، وهذه نعمة بعد نعمة، وطاعتك لإلوهيته هي شكرٌ لله على ربوبيته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] وقال الله عز وجل:﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨] .

- **الجنس الأعلى من المخلوقات :**

هو الإنسان الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفةً في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:٣٠].

وما سواه من الحيوان والنبات والجماد دونه ، فلا يليق بالأعلى وهو الإنسان، أن يعبد ما هو أدنى، وما هو في خدمته من تلك الأجناس التي تُعبد من دون الله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾[الأعراف:١٩١- ١٩٢] .

فلا إله الا الله، كيف يعبد الناس غير الله، وكل ذرة في الكون تشهد بوحدانيته، والحاجة إليه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

الهدى: هو الطريق الموصل إلى الغاية المعتبرة : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنعام:٧١] .

لأن هداه يسعدنا في الدنيا والآخرة، فلنعبده وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣] .

والهوى : هو خواطر النفس التي تحقق لها شهوة عاجلة، وأعظم صنم معبود من دون الله هو داخل النفس البشرية وهو الهوى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص:٥٠] .

الدينُ يهدي الإنسان إلى القيم ، كما يهدي البصر إلى الأشياء الحسية ، وكما يهدي السمع إلى الأشياء المسموعة : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾[الإسراء:٩-١٠] .

وكما لا يستوي الأعمى والبصير ، فكذلك لا يستوي المهتدي بمنهج الله، مع الضال عن منهج الله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[الرعد: ١٦] .

البصر حكم المحُسات ، والأذن حكم المسموعات ، والدين حكم القيم ، والهدى حكم يحكم الهوى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنعام: ٧١] .

الأمية في محمد ﷺ شرفٌ له ؛ لأنه أخذ علمهُ من ربهِ العلى الأعلى، لا من مساوية من البشر ، ولا ممن هو دونه من الحيوان ، أو الأحجار ، أو

الأصنام ، والأمية شرف لنا كذلك ؛ لأن علمنا مأخوذ منه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢]

فالرسول ﷺ مبلغ رسالة، وأسوة حياة فقط: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأنعام:٥٠] .

والأمية في إتباع النبي ﷺ تخلف ، فلا عبادة لله من صلاةٍ ولا صومٍ ولا زكاةٍ ولا حجٍ ولا ذكرٍ إلا بعلم ، ولا علم ينفع في الدنيا والآخرة إلا علم الدين : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفق عليه[1] .

فمن مصلحة الرسول ﷺ وأتباعه أن يتبعوا أمر من تجب طاعته ، لا أن يبتدعوا شيئًا لم يأذن به الله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧٣).

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء: ٦٩ - ٧٠].

من رحمة الله أن جعل خزائن كل شيء بيده وحده: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾[الحجر:٢١] .

ولو كان ذلك بيد البشر، لاستعلى البشر على البشر، وحصل فساد عظيم بسبب المنع والتقديم والتأخير :﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾[الأنبياء:٤٧] .

التفكر شغل العقل ابتداءً بأمر له ظاهر يحتاج إلى فكر، ليصل إلى الحقيقة التي تقربه من الحق : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

التذكر : ذكر حكمٍ كان معلومًا ، ثم غفلت عنه .

والتدبر : هو النظر في دبر الأمور، لا إلى واجهات الأشياء ، فكل شيءٍ له ظاهر وباطن ، والمتدبر هو من عرف الباطن بعد معرفة الظاهر : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾[محمد:٢٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾[المؤمنون:٦٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧١٨).

٣- الفصل الثالث

- **الغيب نوعان :**

أحدهما: غيب مطلق : وهو كل ما غاب عنك وعن غيرك، ولا يعلمه إلا الله ومن شاء من رسله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن:٢٦-٢٨] .

والثاني : غيب غاب عنك، وهو معلومٌ لغيرك ؛ وهو كل ما غاب عنك مما رآه غيرك وعلم به ، والغيب كله معلومٌ عند الله كله : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

ومن علم الغيب : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣] .

والعالم قسمان :

الأول : عالم الملُك والشهادة : ويدرك بخمس حواس السمع والبصر والشم والذوق واللمس : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

الثاني : عالم الملكوت والغيب، والغيب كل ما غاب عنك ، والله وحده عالم الغيب والشهادة، وله الملك والملكوت : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ ﴾ [الجن:٢٦-٢٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾[الملك:١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس: ٨٣] .

النوم آية من آيات الله ، والنوم عملية قسريه تردعك عن الحركة حين تكون عاجزًا عن الحركة ، وهو نعمه من نعم الله عليك :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠ ﴾[الأنعام: ٦٠]

وقال الله عز وجل:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ ﴾[الروم: ٢٣].

والوفاة : فصل الروح عن الجسد .

والنوم : فصل الحركة عن الجسد .

قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢ ﴾[الزمر:٤٢] .

والنوم مخلوق قوي إن طلبته أعنتك، وإن طلبك أراحك ، والموت شلٌ للروح عن الجسد فيموت الإنسان، والنوم شل الروح عن الحركة الاختيارية إلى أمد ، فالإنسان حي إن سلب الله عنه الروح مات، وإن عطلها عنه نام .

فسبحان الحي القيوم الذي لا تأخذه سنه ولا نوم :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥]

والإنسان له حالتان :

حالة يقظة : وهو سيطرة روحه على حركاته الاختيارية

وحالة نوم : وهو شل الروح عن الحركات الاختيارية ، وبقاؤها مع الحركات الاضطرارية كدقات القلب .

والمراحل التي يمر بها الإنسان في خلقه متعددة كما قال سبحانه :﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾[المؤمنون:١٢ -١٦] .

وفى حال حياة الإنسان يمر بمراحل :

١- مراحلة اليقظة والنوم .

٢- ومرحلة الحياة والموت .

٣- ومرحله البعث والحشر .

٤- ثم القرار في الجنة أو النار .

قال الله عز وجل: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح:١٣ - ١٤] .

عدم هداية الله للإنسان ناشئ عن الإنسان الذي تكبر وظلم وفسق وأعرض عن الله بعد الدعوة، وإقامة الحجة .

والهداية إنما حصلت للإنسان الذي قبل الهدى من ربه :﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

التكليف من الله لعباده راحةٌ وتشريف للنفس، لا مشقةً على النفس، ولا إذلال لها: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧] .

والإنسان يركب الهدى الذي يوصله إلى مولاه العزيز الرحيم : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة: ٥] .

والهداية قسمان :

فالهداية بمعني الدلالة على الحق للكل ، فمن قبلها يعطيه الله هداية أخرى هي هداية المعونة والتوفيق: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[القصص: ٥٦] .

ومن لم يقبلها فالله لا يهديه هذه الهداية، ويتركه وما اختار : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[فصلت:١٧] .

ومن هداه الله فهو آمن في الدنيا والأخرة: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[القصص:٥٧] .

الألم صيحةٌ صحية تنبهك لعطب في أحد أعضائك، لتبادر إلى علاجه ، والضلال انحراف عن الصراط المستقيم يتعبك ويؤلمك، لتعود إلى الهدى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [البقرة:١٢٠] .

القلب مكان ضخ الدم إلى سائر الجسم ، وهو كذلك مكان الإيمان والعلم والتقوى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء : ١٩٣-١٩٥] .

مرض القلب : خروجه عن حد الاعتدال إلى شبهةٍ أو شهوه .

والقلب السليم ما سلم من مرض الشبهة ، ومرض الشهوة :﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج:٤٦]

وقال الله عز وجل عن المنافقين:﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠] .

وقال الله عز وجل عن مرض الشهوة: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

فهذان مرض الشبهة، ومرض الشهوة ، والقلب لا يتسع إلا لواحد من الحق أو الباطل ، أو الإيمان أو الكفر ، أو التقوى ، أو الفجور كالإناء لا يتسع إلا للهواء أو الماء ، فإذا دخل أحدهما أخرج الثاني: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان:٢ -٣] .

من أخذ ما ليس له، حمله الله ما ليس عليه : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾[النساء: ١٢٣]

نعبد الله، لأنه رب أمدنا بنعمة الخلق والإيجاد ، ونعمة الأقوات والإمداد ونعمة الهداية والإسعاد، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض ، فنعبد الله لأنه رب يربينا بنعمه الظاهرة والباطنة ، نعبده لا تفضلًا عليه ، بل حقًا له ، وحاجةً له، وحبًا له، وتعظيمًا له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾[البقرة:٢١] .

وقال الله عز وجل:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

خلق الله الماء النازل من السماء، ليخلق به متغيراتٍ لا تثبت من أنواع النباتات ، فالماء يأخذ دورته من السماء إلى الأرض ، إلى الوادي إلى النهر ، إلى البحر ، إلى البخار ، إلى السحاب ، إلى النزول مرة بعد مرة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[الروم: ٤٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة:٢١ – ٢٢] .

الله جل جلاله هو الملك حقاً في الدنيا والآخرة، له ملك السموات والأرض ، وله ملك ما في السموات والأرض ، وله غيب السموات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض ، فالسموات والأرض ظرفٌ عظيمٌ لما فيهما من المخلوقات ، والمظروف دائمًا أثمن من الظرف ، وهذا يدل على عظمة الظرف والمظروف:﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾[غافر:٥٧] .

فالسموات ظرف لما فيها مع الأرض ، والأرض ظرف داخل ظرف السماوات، وما فيها مظروفات عظيمه ، وأعظم ما في هذا الظرف وهو الأرض هو الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾[البقرة:٣٠]

ثم غيب السماوات والأرض أعظم من الجميع : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾[هود:١٢٣] .

والرب الذي هذه صفاته يجب عبادته وحده: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾[مريم:٦٥] .

الفلاح هو الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرغوب ، سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾[البقرة: ١-٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

- **مراحل الرجاء ثلاث :**

أبعدها : لعل فلان يعطيك .

الثانية : لعلي أعطيك ، وهذه أقرب في الرجاء .

الثالثة : لعل الله يعطيك ، وهذه أقربها وأعلاها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠ ﴾[فاطر:٢٩ – ٣٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧ ﴾[الحج:٧٧] ..

من رحمة الله بالناس أن جعل في كل إنسان وازعًا يدفعه إلى الخير، ويمنعه من الشر:﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾[الروم:٣٠] .

فإن ضعف هذا الوازع، فغيره من الأمة يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾[آل عمران:١٠٤] .

فإذا عُدم ذلك عمّ الفساد فأرسل الله رسولًا يرد الناس إلى الخير، ويحذرهم من الشر : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وبهذه الأمة خُتمت الرسل، وخُتمت الأمم ، فبقي فيها الأمران :

الأول : واعِظ النفس وهو الفطرة .

والثاني : التواصي بالحق: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١- ٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

الله عز وجل إن تكلم عن ذاته في التوحيد ، جاء بضمير الإفراد الدال على كمال الوحدانية : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾[طه:١٤] .

وإن تكلم عن ذاته بالأفعال ، جاء بضمير الجمع الدال على كمال أسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الحميدة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف: ٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[المؤمنون:١٧] .

الحق سبحانه هو القاهر فوق عباده في ذاته، وفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي ملكه وسلطانه ، فهو الواحد القهار ، قهر كل شيء بقدرته، قهر العدم فأوجد : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾[البقرة:١١٧] .

وقهر الوجود فأعدم : ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] .

فسبحان الرب الذي يخلق ويبدي ويعيد:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾[الروم:٢٧] .

هو الواحد القهار الذي قهر الفقر فأغنى ، وقهر الغنى فأفقر ، وقهر العافية بالمرض ، وقهر الأمراض بالعافية ، وقهر الأحياء بالموت ، وقهر الأموات بالحياة: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤ ﴾[الزمر:٤] .

أفعال الله لا تحتاج إلى زمن ؛ لأن أفعاله بكن فيكون : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾[يس:٨٢-٨٣] .

الوفاة منسوبة إلى الله أمرا ، وإلى ملك الموت وسيلة ، وإلى الملائكة تنفيذًا : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ ﴾[النحل:٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١ ﴾[السجدة:١١] .

وقال الله عز وجل:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ﴾[الأنعام:٦١] .

الطلبات ثلاثة :

الأول: أمر : وهو من الأعلى إلى الأدنى ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

الثاني: دعاء : وهو من الأدنى إلى الأعلى ، كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

الثالث: التماس : وهو من الإنسان لغيره من بني آدم ، حينما يحتاج إليه .

حكمة العبادات الجماعية إعلان العبودية لله أمام الله والناس ، كصلاة الجماعة في الصلوات الخمس، والجمعة ، وصلاة الاستسقاء ، وصلاة العيدين ، وصلاة الكسوف ، والحج ، والعمرة ، وغير ذلك من الصلوات الجماعية ؛ حتى لا يفخر أحد على أحد ، فيصلي الحاكم إلى جانب المحكوم ، والرئيس مع المرؤوس ، والغني مع الفقير ، والتاجر مع الفقير ، وغير ذلك من أصناف الناس ، يقفون أمام رب واحد ، ويدعون ربًا واحدًا : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] ..

وقال الله عز وجل:﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾[البقرة:١٩٦] .

الصراع لا يطول بين حق وباطل؛ لأن الباطل زهوق: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

ولا يكون الصراع بين حقين ؛ لأن الحق واحد .

وإنما يطول الصراع بين باطلين ، فإذا رأيت صراعًا طال ولم ينتهِ ، فاعلم أنه بين باطلين ، لأن أحدهما ليس أولى بأن ينصره الله ؛ لأن الله إنما ينصر الحق على الباطل : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨] .

والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ، والله هو الحق ، المعبود بحق ، والقرآن حق ، والرسل حق ، ومحمد حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وكل معبودٍ سوى الله ، باطل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢] .

كل حدث وعمل له مكان وزمان ، ولكل نبأٍ مستقر في الزمان والمكان : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنعام:٦٧] .

والنبأ هو الخبر الهام ، والنبأ مظروف ، له ظرف هو المكان والزمان : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النبأ:١-٥] .

والقرآن العظيم هو النبأ العظيم ، الذي يخلّص الناس من جبابرة البشر ، ويحكم الناس بالحق الذي يخرجهم من هوى أنفسهم ، إلى هدى ربهم ، فيسعدوا في دنياهم وأخراهم: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

لكل نبأٍ مستقر في المكان والزمان ، فلا نتعجل الأحداث ، فالأمر كله بيد الله ، يظهره متى شاء في المكان والزمان، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:١- ٢] .

وسيكون لهذا انتشار في المكان وهو الأرض كلها ، والزمان إلى يوم القيامة ، فهذا الدين للناس كافة إلى يوم القيامة ، وسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٩﴾ [البقرة:١١٩].

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا ﴾[سبأ:٢٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧] .

كما اتفق الناس فيما تحكمه التجارب من الكهرباء وأجهزة الاتصال وغير ذلك من الصناعات ، فيجب أن يتفقوا في حركتهم لطاعة إلهٍ واحد، وإتباع كتاب واحد، وإتباع رسول واحد :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾[الأنعام:١٥٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾[البقرة:١٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾[الأعراف:١٥٨] .

الدنيا أقل من أن تكون غاية ، فالذي خلقها قال عنها : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤] .

والدنيا أهم من أن تُنسى؛ لأنها مكان العمل للآخرة ، وفيها مكان الركوع، والسجود، والجهاد، والدعوة، والتعليم، والإحسان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الحج: ٧٧ – ٧٨].

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة:١٩٥] .

وكل هذه الأعمال الصالحة في الدنيا، وثوابها العظيم في الآخرة ، والآخرة هي المقصد ، والدنيا وسيلةٌ لكسب الآخرة: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد:٢٠].

فالدنيا دار العمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١].

الفتح من الله قسمان :

الأول: فتحنا لك أو للناس، كل ذلك رحمة من الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[الفتح:١-٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[فاطر: ٢] .

الثاني: فتحنا عليهم نعيماً أو عذاباً فالعذاب، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾[الأنعام:٤٤] .

والرحمة والنعمة للمؤمنين كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾[الأعراف:٩٦] .

والفتح كله بيد الفتاح القادر على كل شيء: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾[سبأ: ٢٦] .

٤ - الفصل الرابع

- **المكلفون ثلاثة أصناف :**

الملائكة .. والإنس .. والجن .

فالملائكة : مكلفون بتدبير الأمور في الكون كما قال الله عنهم: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [النازعات:٥] .

وهم مسخرون في طاعة الله وعبادته: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء: ١٩-٢٠] .

والإنس : منهم كافر ومؤمن ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن:٢] .

والجن : كذلك منهم مؤمن وكافر ، كما قال سبحانه عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾[الجن:١٤-١٥] .

وشر الإنس من أنكر الربوبية، وهو فرعون : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص:٤] .

وهو الذي قال : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات:٢٤] .

وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[القصص:٣٨] .

وشر الجن هو إبليس وذريته ، الذي حذرنا الله عز وجل منه ، فقال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ

ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يس:٦٠- ٦٢] .

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر: ٦] .

إذا كنا جميعا عبيدًا لإله واحد ، كنا أعزة ملوك ، لأن من كان في معية العزيز فهو عزيز : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] .

ومن كان في معية الملك فهو ملك ، ومن كان في معية الكبير فهو كبير، ومن كان في معية الغني فهو غني .

- **اللسان له عبوديتان وهما :**

أن تتكلم مع الله .. أو تتكلم عن الله عز وجل .

فأفضل أحوال اللسان الكلام عن ربه بالدعوة إليه : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: ١-٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨] .

والعبودية الثانية الكلام معه بدعائه وسؤاله، وذكره واستغفاره: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٥] .

فأفضل أحوال اللسان الكلام عن الرب بالدعوة إليه ، والكلام معه بدعائه وذكره، وسؤاله واستغفاره .

العبد المؤمن يأخذ خير سيده ، وهو الله عز وجل، فهو يعمل لنفسه، ويأخذ الخير من سيده ، والعبودية للبشر ، السيد يأخذ خير عبده ، والعبودية لله العبد يأخذ خير سيده ، ولهذا العبودية لله عزة ، والعبودية لغير الله ذلة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف:٥-٦] .

فالعبودية للبشر ذلةٌ ومهانة وخسارة ، والعبودية لله عزة ورفعة وتجارة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[الصف:١٠-١٣] .

الله عز وجل لا يرفع قضاءً مكروهًا عن أحد حتى يرضى العبد به ، لأن الله حكيمٌ يضع الشيء في موضعه ، رحيمٌ لا يحب أن يؤذي عبده أو يؤلمه :﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾﴾[الحديد:٩].

وكما لا يوجد صانع يفسد صنعته ، كذلك لا يوجد خالق يفسد ما خلق أو يؤذيه أو يضره أو يؤلمه ، فأغلق باب الحزن بالرضا عن ربك: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾[التغابن: ١١] .

واعلم أن ما أصابك من مرض أو غيره لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١] .

وما أصابك من مكروه تؤجر عليه أجرًا يوصلك إلى الجنة .

قال النبي ﷺ: « مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » .

أخرجه البخاري [1] .

مشيئة الله عز وجل كلها في مصلحة خلقه ، ولكن قد تفوت الحكمة عن بعض الخلق، لجهلهم بالله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤١).

والله عز وجل رءوف بالعباد، رحيم بهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة:١٤٣] .

أما مشيئة المخلوق فهي في مصلحة نفسه، ومن شاء .

الربوبية عطاءٌ من الله، والألوهية تكليفٌ وتشريف، وكلاهما نعمة ، فعطاء الربوبية للمؤمن والكافر، وعطاء الألوهية للجميع، لكن من الناس من قبِل عطاء الألوهية، ومنهم من ردها:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[النحل:٣٦] .

فالذي يكفر بالله، ويحسن فعل الأسباب المأمور بها ، يأخذ عطاء الربوبية ، والذي يؤمن بالله، ولا يحسن فعل الأسباب المشروعة، لا يأخذ عطاء الربوبية ؛ لأن عطاء الربوبية من الرب لعموم خلقه ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر:٦٢] .

فالحمد لله على عطاء ربوبيته، وعلى عطاء ألوهيته، لجميع خلقه: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفاتحة: ٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[فاطر: ١] .

وقال الله عز وجل:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴿١﴾﴾[الأنعام: ١] .

وقال الله تعال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾[الكهف: ١ – ٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة:٢٩] .

الهبة إعطاء معطٍ لمن لا يستحقه ، فالواجب حق ، والهبة عطاء بلا استحقاق ، والله لا يستحق عليه أحدٌ شيئًا ، لكنه كريم وهّاب ، يهب كل أحد نعمًا كرمًا منه لا استحقاقاً:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾[الحديد:٩].

الصلاة وقوف المخلوق بين يدي خالقه ، مكبرًا ومعظمًا ، وحامدًا وشاكرًا ، وسائلًا ومستغفرًا : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة : ١-٧] .

كل موجود في العالم العلوي، والعالم السفلي، فيه حياة ، لأن التسبيح فرع الحياة ، والله عز وجل يسبح له ما في السماوات وما في الأرض : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[النور:٤١-٤٢] .

فسبحان مَن كل مخلوقاته تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لمشيئته ، وتسرع لإرادته : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

أما الحياة الكاملة فهي للإنسان ، كما قال عز وجل : ﴿﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك:١-٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الروم:٤٠] .

فالإنسان حي بكامل الصفات التي يريد ، سواءً كانت حسنة أو سيئة ، ففيه مصرفان :

مصرف للإيمان أو الكفر .. ومصرف للطاعة أو المعصية .

قال الله عز وجل:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

وللإنسان حياة أخرى تصله بالجنة بالآخرة وهو الدين : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ ﴾[الكهف: ١٠٧- ١٠٨] .

الله عز وجل من رحمته أن يسّر على عباده أمور دينهم ومعاشهم ، فجعل حساب اليوم بالشمس ، وحساب الشهر بالقمر ، وحساب اليوم بالساعات ، وحساب الشهر بالأسابيع ، وحساب الأسابيع بالأيام ، وحساب الأيام بالساعات : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾[يس:٣٧-٤٠] .

النجوم مختلفة الأشكال والأحجام والضوء ، والنجوم موجودةٌ في الليل والنهار ، ولكن الشمس إذا طلعت اختفى نورها ، وإذا غابت ظهر نورها : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ ﴾[الأنعام:٩٦-٩٧] .

الله عز وجل خلقنا جميعًا من نفس واحدة هي ﷺ، ويذكّرنا بذلك ؛ ليحيي فينا أصول التراحم، والتعاطف، والأخوة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨ ﴾[الأنعام:٩٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النساء:١] .

فلكل إنسان مستقر في الأصلاب ، ومستقر في الأرحام ، ومستقر في الدنيا ، ومستقر في الجنة أو النار ، وذلك هو القرار الأخير: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾[غافر:٣٩-٤٠] .

فكل إنسان يمر بأطوار في خلقه، وفي عمله، وفي حياته، وفي مستقره:﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[نوح:١٣ -١٤] .

الشيء : هو ما يُخبر عنه ، فالعرش شيء ، والكرسي شيء ، والسماوات شيء ، والملائكة شيء ، والشمس شيء ، والقمر شيء ، والنجوم شيء ، والكواكب شيء ، والله خالق كل شيء : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر:٦٢] .

والأرض شيء ، والجبال شيء ، والبحار شيء ، والإنس شيء ، والجن شيء ، والنبات شيء ، والحيوان شيء ، والله خالق كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فهل خلقت أيها الإنسان شيئاً تعبد من أجله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢].

الله خلق كل شيء ، خلق الظاهر والباطن ، الظاهر كالسماوات والأرض ، والباطن المستور كالملائكة، والجن، والعقل، والروح، والهواء ، ومن مخلوقات الله ما نراه، ومنها ما لا نراه ؛ لأن الله على كل شيء قدير يرينا ما يشاء ، ويمنع أبصارنا عما يشاء :﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة:٣٨-٤٠] .

الله وحده وكيلٌ عليك يقوم بجميع حوائجك : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[هود:٦] .

وليس الله وكيلًا لك ، ينفذ أوامرك، بل أنت عبده الذي ينفذ أوامره ، وأنت عبده الذي يعبده، لأنه الذي خلقك ورزقك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾[البقرة:٢١] .

خزائن الله لا تنقص أبدًا ؛ لأن لها مددٌ مستمر ممن لا يعجزه شيء ، وإنما يقول للشيء كن فيكون : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾[القمر:٤٩-٥٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾[يس:٨٢-٨٣] .

أما خزائن المخلوق فتنقص إذا أخذنا منها ؛ لأنها محدودة ، وما أُخذ من المحدود فإنه ينقص : ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ ﴾[النحل:٩٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤ ﴾[ص:٥٤] .

لأن المحدود إذا أُخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً فإن ما عند الله غير محدود : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر:٢١] .

أما المحدود فإذا أُخذ من المحدود فإنه ينقص .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، وهو الكريم الذي يستقل النعم على خلقه ويطالبهم بالشكر عليها ليزيدهم من فضله : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] ..

ويستكثر سبحانه قليل الطاعات من خلقه، فيعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، إلى أضعاف مضاعفة ، ومن عمل لله بما شرع بغير حساب ، أعطاه الله أجره بغير حساب إذا صبر على ذلك : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

ويعطي من فضله من شاء بغير عمل من العبد: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

من أجل أن تشرب الماء العذب ، وتزرع ما شئت من الأرض ، جعل الرحمن الماء ثلاثة أرباع الأرض ، والربع الباقي يابسة، لتتسع دائرة تبخر الماء في الجو، ثم يسوقه الله حيث شاء:﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾[الشورى:١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٢] .

الله لطيف بعباده ، إذا ناديته لبّاك ، وإذا قصدته آواك ، وإذا أحببته أدناك ، وإذا أطعته كافاك ، وإذا عصيته عفا عنك، وإذا أعرضت عنه دعاك ، وإذا سألته أعطاك ، وإذا قرُبت منه هداك :﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾[الحديد:٩].

وقال الله عز وجل:﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج:٦٥] .

وهو سبحانه اللطيف الذي يجازيك إن وفّيت ، ويعفو عنك إن قصرت، ويتوب عليك إذا تبت: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الشورى:٢٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾[غافر:٣] .

هو اللطيف الذي إذا افتخرت به أعزك : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] .

وإذا افتقرت إليه أغناك : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾[الأعراف:٩٦] .

هو اللطيف الذي كل عطائه خيرة ، ومنعه ذخيرة .

الله عز وجل هو اللطيف الخبير الذي لا يستعصي عليه شيء ، علمًا وقدرةً : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتم به ، وعبدتموه وأحببتموه ، وأطعتموه .

الله عز وجل أدى فشرع لنا الشريعة ، والرسول أدى فبلغ هذه الشريعة ، وبقي نحن يجب علينا أن نؤدي ما أمر الله ورسوله به من الإيمان، والعبادة، والطاعة لله:﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤ ﴾[الأنعام:١٠٤] .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

الله لطيف بذاته لطيف بعباده ، لطيف في تدبيره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

والله عز وجل شرع المنهج ، ورسوله ﷺ بلّغ المنهج ، وبقي علينا نحن إتباع المنهج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الأعراف:٢-٣] .

إذا أذنب الإنسان ، تدخلت النفس اللوامة : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [القيامة: ١ -٢] .

واللوامة هي التي تلوم صاحبها على التقصير في الطاعات، وعلى فعل المعاصي ، فإن لم تقدر وقويت النفس الأمّارة تدخل الغير من الناس بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فإن ترك الناس هذه المهمة عمّ الشر وطمّ ، فأرسل الله رسولًا يزيل به الشر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل:٣٦] .

الكافر لم يكفر قهرًا على الله ، ولكن كفر بما أعطاه الله ، من حرية الاختيار ، بدليل أن كل أحد مقهور على مراد الله منه ، فالكافر خرج عن مأمور الله لا عن أمر الله ؛ لأن الله جعله مختارًا فيما يريد ، من إيمان أو كفر أو طاعة أو معصية : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ١٩ ﴾[المزمل: ١٩] .

الله ﷻ من رحمته أن فطر الناس على التوحيد : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[الروم:٣٠] .

فالكافر كفر، لأنه استغل الاختيار الذي أعطاه الله ، فهو قد خرج عن مأمور الله الذي أمر به، ولم يخرج عن مراد الله، ولا عن أمر الله، ولا عن سلطان الله ، والاختيار الذي أعطاه الله إياه ، كما قال سبحانه:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال عز وجل : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾[البقرة:٢٥٦] .

وحكمة إعطاء الإنسان حرية الاختيار ، ليثبت الرب أن من خلقه من يأتي إليه محبة وهو قادر ألا يأتي ، ومن يأتي إليه تسخيرًا ، والله يحب من يأتي إليه اختيارًا أكثر ممن يأتي إليه تسخيرًا :﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٢ -٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣] .

فجميع المخلوقات مسخرة في طاعة الله ، فهي تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع لأمره، أما الجن والإنس فهم مخيرون .

والتزيين تصعيد الحسن إلى الأحسن، والجميل إلى الأجمل للاستمالة ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[الكهف: ٧] .

والأمة هي الجماعة التي يجمعها انتماءٌ واحد ، كأمة العرب، وأمة العجم ، وهذه الأمة الإسلامية جمعت جميع الأمم على أمة واحدة ، وهي أمة الإسلام الذي يشمل العرب والعجم، والأبيض والأسود:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

من مصلحة كل إنسان أن يكون غيره متفوقًا عليه ، لأن خيره سيعود إليه هو ، وخيبتي إن كنت خائبًا ستضره هو : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ

لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف:٣٢] .

وتفوق غيري عائدٌ عليّ ، فيجب أن أفرح به، ولا أحسد صاحبه ، فتفوق الطبيب عائد على المريض ، وتفوق الغني عائد على الفقير ، وعلم العالم عائد على الجاهل ، فاسألوا الله من فضله :﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء:٣٢] .

لابد للإنسان أن يأكل من كسب يده ، وإذا تركناه تعود على الكسل، وطمع في كسب غيره، فينتظر الصدقة أو يسرق أو يقتل من أجل ذلك ، لأنه تعود أن يأكل من جهد غيره :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة:٩-١٠] .

الكافر لا يقدر أن يؤمن ، لكنه مطلوب منه أن يؤمن ، ولكنه صرف الاختيار عن الإيمان إلى الكفر ، فسينال عقوبة اختياره ، كما أنه سيسعد بحسن اختياره : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩] .

ذكر ثواب الطاعة يعين على فعلها ، وذكر عقاب المعصية يعين على تركها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف: ١٠٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ

جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء:٥٦] .

الدين منهج الله لعباده ، ليسيروا على هداه في الدنيا ، والجنة ثوابٌ على إتباع ذلك الهدى ، والنار عقاب على من أعرض عنه : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

فالله عز وجل زيّن لكل أمة عملهم ببيان دينه، وحسن أحكامه وآدابه وسننه بما أرسله من رسله، وما أنزله من كتبه ، وبيان ثواب المحسن ، وعقاب العاصي: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[الأنعام:١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣- ١٤] .

٥- الفصل الخامس

- **كلمة الله العظيمة**

وتمت كلمة ربك صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام: ١١٥].

وكلمة الله إلى خلقه كتابه العظيم ، الذي فيه تبيان كل شيء : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وكل إنسان إنما يأمر وينهى حسب هواه ومصلحته ، ولكن الله وحده هو الذي يأمر وينهى لمصلحة خلقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[الأنعام:١١٦] .

والله عز وجل يأمر وينهى بهداه، الذي أنزله على رسله رحمةً بعباده : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

الجريمة هي فعل ما لا ينبغي من الفواحش والقبائح ، وأعظم جريمة على وجه الأرض هي الكفر بالله، والشرك بالله ، والمعاصي التي تتبع ذلك :﴿

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦] .

والجرم : هو القطع، لأن المجرم قطع نفسه عن المجتمع الصالح، وانتقل إلى المجتمع الفاسد، فأخذ عقوبته، والمجرم يريد كل شيء لنفسه على حساب غيره:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[الأنعام:١٢٣-١٢٤] .

- **أقسام أوامر الله عز وجل:**
- **أوامر الله ﷻ قسمان :**

أوامر كونية .. وأوامر شرعية .

الأوامر الكونية : لازمة الوقوع، ولا يستطيع أحد ردها ، فالله لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .

أما الأوامر الشرعية : فهي موجهة للعقلاء من الإنس والجن ، فإذا أمر الله بأمر شرعي فالإنسان أو الجان مختار إما أن يفعل، أو لا يفعل ، والفاعل محاسب على اختياره : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١ ﴾[الكهف: ٢٩-٣١] .

فالفاعل محاسب على اختياره : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ [الإنسان:٢-٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾[الزلزلة:٦-٨] .

والله يأمر بالعدل والإحسان ، وينهى عن الظلم والطغيان : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل:٩٠].

الإنسان مركب من جسد وروح ، فالعذاب الأليم ، والعذاب الشديد، والعذاب المهين، والعذاب العظيم والعذاب الكبير ، سيناله من كفر بالله وعصاه يوم القيامة ، والعذاب والنعيم يكونوا على الأجساد في الدنيا ، والأرواح تبعٌ لها ، ويكون النعيم والعذاب في القبر على الأرواح والأبدان تبعٌ لها ، ويوم القيامة يكون العذاب بأنواعه على الروح والجسد معاً: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

- **الهداية قسمان :**

هداية الدلالة .. وهداية المعونة .

فالله هدى الناس جميعًا ، ودلهم على الحق ، وأمرهم بإتباعه ، فمن آمن أعانه على الحق ، وشرح صدره لطاعته ، وحبب إليه كل خير، وأثابه عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾[محمد: ١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف:١٠٧] .

فمن يرد الله أن يهديه ويعينه ، يشرح صدره للإسلام، جزاءً على قبوله الهدى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[الأنعام:١٢٥-١٢٦] .

الله ﷻ أعطانا ثلاث جهات لكسب الأجور :

جهة الكفار .. وجهة أهل الجهل .. وجهة الفقراء .

فالكافر صاحب المعروف على المسلم ؛ لأنه محل دعوته، والجاهل صاحب المعروف على العالم، لأنه محل تعليمه، والفقير صاحب المعروف على الغني لأنه محل صدقته: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣ – ١٣٤] .

والكافر والجاهل والفقير، كلٌ منهم ينقل لك الحسنات إلى الآخرة ، فالكافر سبب حسناتك في الدعوة ، والجاهل سبب حسناتك في التعليم ، والفقير سبب حسناتك في الصدقة: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾[الجمعة: ٤] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . رواه مسلم(١) .

وقال الله عز وجل:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾[البقرة:١٩٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٤).

وكما للأعلى من الخلق منّة على الأدنى ، فكذلك منّة الأدنى على الأعلى أعظم ؛ لأنه محل إحسانه ، ولو لم يوجد ، لم يتمكن من الإحسان ، ومحل تعليمه ولو لم يوجد إلا علماء ، لم يتمكن الإنسان من التعليم ، ومحل دعوته ولو لم يوجد كافر ، لما تمكن الإنسان من الدعوة ، فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

فإن من أعطاك أرضًا لتزرع فيها ما تشاء، وتأخذ ثمرتها ، وتستفيد من خيراتها مجانًا، فله معروف عليك، وكذا الكافر، والجاهل، والفقير والمحتاج: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة:١- ٢]

والمنة العظمى والكبرى لله ولرسوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

ومن عرف ذلك لم يتأخر عن الدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق ، وعرف إحسان الله عز وجل إليه بالخلق والرزق والهداية .

قال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » أخرجه البخاري[1] .

ومن عرف أنواع الإحسان ، أحسن بكل ما يملك ، بنفسه وماله ووقته إلى خلقه: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١١٦).

القلب السليم هو المعمور بالتوحيد والإيمان والتقوى ، السالم من الشرك والنفاق والرياء ، فهذا هو الناجي:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء: ٨٨ – ٨٩] .

إذا كانت الدعوة إلى الله تبدا من القريب ، فاعلم أنها حق ، لأن القريب له رحم ، تحب له الخير : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[الشعراء:٢١٤].

وقال الله عز وجل:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] .

العبادة أن تطيع المعبود فيما أمر به، وفيما نهى عنه ، والأصنام والأوثان ليس لها منهج تأمر الناس به ، أو تثيب عليه، أو تعاقب عليه: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٤ – ٦٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

الحكمة : وضع الشيء في موضعه ، والله حكيم ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وينزّل هدايته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنعام: ٥٣] .

والحكمة: أن تعلم الحكم والخير، ثم تعمل بما علمت : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وأنت أعلى على كل الخلق إذا آمنت بالعلي الأعلى وأطاعت الأعلى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[آل عمران:١٣٩] .

وأنت الأدنى الأسفل إذا كفرت بالأعلى، وعصيت الأعلى، وأطعت الأدنى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين: ٤-٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف:٥-٦] .

العصا : آية من آيات الله العظيمة التي أعطاها الله عز وجل موسى ﷺ ، ضرب بها البحر ، فانفتحت بها الطرق العظيمة، وصارت طريقًا يبسًا ، حين التقى فرعون وجنوده بموسى ﷺ وقومه أمام البحر صباحًا، كما قال سبحانه: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾[الشعراء:٦٠-٦٨] .

وضرب بها موسى الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا :﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾[البقرة:٦٠] .

وألقاها أمام فرعون فإذا هي حية تسعى ، وألقاها أمام السحرة ، فإذا هي تلقف ما يأفكون .

فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، يُجري على يد نبيه موسى ﷺ بهذه الخشبة الصغيرة ، هذه المعجزات العظيمة : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ ﴾[الشعراء:٦٧-٦٨] .

ورأى موسى ﷺ آية العصا خمس مرات، وكلها في القرآن الكريم:

الأولى: أمام ربه كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ ﴾[طه:١٧-٢١] .

فسبحان من قلب الخشب إلى حية تسعى ، فيها لحم وعصب وسم ، ثم أعادها عصًا مرة أخرى .

الثانية: رآها أمام السحرة : ﴿ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ ﴾[الشعراء: ٤٥-٤٦] .

الثالثة: أمام فرعون : ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ ﴾[الشعراء:٣٢] .

الرابعة: أمام فرعون وجنوده في البحر، كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الشعراء:٦١-٦٦] .

الخامسة: أمام بني إسرائيل حين استسقى لقومه، فضرب الحجر بالعصا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾[البقرة:٦٠] .

فسبحان ربنا العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥]

ففي هذه العصا خمس آيات عظيمة.

فالعصا لموسى آية، ولبني اسرائيل سقاية، وللسحرة هداية، ولفرعون وجنوده نهاية، ولهذه الأمة عبرة وآية: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[البقرة: ١٠٦] .

٦- الفصل السادس

أحسن توحيد، وأحسن إيمان، توحيد الأنبياء وإيمانهم .

وأحسن حياة، وأجمل حياة، حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وأحسن دعاء، وأحسن ذكر، دعاء وذكر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لكمال معرفتهم بالله.

فإبراهيم ﷺ لما أثنى على ربه بما يليق بجلاله، ودعا قومه إلى التوحيد، طلب منه مطالب : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشعراء:٦٩-٨٢] .

ثم جاءت الطلبات، فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء:٨٣-٨٩] .

- **مراحل تربية النشئ والبشر ثلاث :**

ربوبية خَلَقَت من عدم، وذلك فعل الله ﷻ .

وأبوة جاءت بأسباب من الوالدين .

وبنوة ربت من الوالدين .

ولهذا أعظم ما أمر الله به بعد التوحيد، وعبادة الله عز وجل، الإحسان إلى الوالدين، كما قال الله سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[النساء:٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣] .

إذا كان القلب مشغولًا بالباطل ، فلا يمكن أن يدخل فيه الحق ، فلابد من تنقيته من الباطل ، ثم يأتي عند الإنسان الاستعداد لقبول الحق: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٦] .

فإذا دخل الحق أخرج الباطل ، كالماء إذا صُب في الكأس أخرج الهواء ، وكذلك الحق إذا دخل في القلب أخرج الباطل : ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

الهواء جندي من جند الله ، إن جاء من جهة واحدة أهلك ودمر : ﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة:٦-٨] .

والذي يحفظ الجبال والمباني هو الهواء المحيط بها من كل جهة .

وكذا الهوى إذا زاحم الحق والهدى أفسده : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام:٤٤] .

- **صور الفتح:**
- **الفتح ينقسم إلى قسمين :**

إزالة الإغلاق حسيًا كفتح الأبواب .
أو معنويًا كفتح إغلاق الشُبه بالحق المبين .
قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:٣٣] .
وقال الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩] .
وفتح البركات والخيرات بسبب الإيمان، وحسن الأعمال : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦] .
وقد يكون الفتح بمعنى النصر ، كما قال عز وجل : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح:١-٣] .
تكرار القصص في القرآن ؛ لتثبيت الرسول ﷺ ، لتكرار المواقف في حياته ﷺ ، ولتقتدي به أمته في كل حال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود:١٢٠] .
وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان:٣٢] .

- **أقسام الناس:**
- **الناس اثنان :**

منهم من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وهم المؤمنون ، الذين يسابقون ويسارعون إلى كل عمل صالح : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[البقرة:٢٠٧] .

ومنهم من يشتري نفسه ابتغاء سخط الله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦] .

والعزة بالإثم ، أنفة وكبرياء من غير حق .

- **الإسراف مجاوزة الحد إلى غيره ، وتجاوز الحد ثلاثة أنواع :**

الأول : تجاوز حد الحلال إلى الحرام في الأحكام، أو الكسب، أو الإنفاق .

والثاني : مجاوزة السنة إلى البدعة .

والثالث : تجاوز الإحسان إلى الإساءة .

وكل ذلك محرم ومذموم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المائدة:٨٧-٨٨] .

ومن أسرف وقع في ثلاثة محاذير :

الأول : أن الله لا يحبه : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

الثاني : أن المسرف يقترن به الشيطان : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

الثالث : أن المسرف يكون أخًا للشياطين : ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧] .

الإسلام دين الحركة والعمل ، يريد من كل إنسان أن يأكل من كسب يده ، ويريد أن لا يجري دم في جسد إلا بخروج عرق من هذا الجسد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾[الجمعة:٩-١٠] .

فلا يدخل دم في جسد من عرق سواه ، وإلا فسد المجتمع ، إلا من ضعُف عن العمل ، فقد ضمن الله له ما يسد عن حاجته ، من صدقة أو زكاة أو هدية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾[البقرة:٢٦٢] .

القادر على الحركة إذ قعد يتعود الكسل ، والآخذ على البطالة، يتعود أن يجري في جسدهدم من دم غيره ، وكل ذلك منهي عنه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾[الملك:١٥] .

كل شيء من خلق الله، إما مباشرة كخلق السماء والأرض والنباتات والحيوانات ، وغير ذلك ، أو سببًا كسائر الصناعات التي صنعها الإنسان .

فالله خلق العقل الذي فكر ، وخلق الطاقة التي تعمل ، وخلق المادة التي صنع منها الإنسان هذا الشيء ، فخلق الله الحديد، واجتهد عليه الإنسان، فأخرج منه آلاف المصنوعات ، وخلق الله عز وجل الخشب ، فصنع منه الإنسان أنواع المصنوعات ، وهكذا : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر:٦٢] .

فالعامل وما عمله ، كله خلق الله، لأن الله خلق الإنسان، وخلق صفاته، وخلق أفعاله، لأنه خالق كل شي: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات:٩٦] .

كل فساد في الأرض إنما يطرأ على كل شيء للإنسان فيه حركة : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ ﴾[الروم: ٤١]

فإن كانت حركته طيبة بالإيمان والتقوى ، نزلت الخيرات والبركات : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾[الأعراف:٩٦] .

أما الفلك الأعلى والهواء ، فلا يدخله الفساد ؛ لأنه لا دخل للإنسان فيه .

الذي يستر على الله بلاءه ، يسخر الله له العافية غير مبتلي ؛ لأن بلاء الله نعمة ، ومن رضي ببلاء الله رفعه الله عنه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾[التوبة:٥١] .

وقال الله عز وجل:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾[التغابن: ١١] .

العبرة هي التي تنقل الإنسان من حال إلى حال ، من حال الغفلة إلى حال الذكر ، ومن حال الإعراض إلى حال الإقبال : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[النور:٤٤] .

القرآن روح ، نزل به روح لنفس الروح الإيمانية في القلب ، فالإنسان مادة فيها روح ، والملائكة أرواح بلا مادة ، والقرآن روح : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشورى:٥٢].

وجبريل ، الذي نزل به ، روح : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء : ١٩٣-١٩٥] .

فنزل به جبريل على روح محمد ﷺ ليحيا به الإنسان حياة تسعده في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان ، وكلفه بعبادته وحده لا شريك له ، وتكفل برزقه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

- ابن آدم يقول الله لك خلقت كل شيء من أجلك فلا تتعب : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وخلقتك من أجلي فلا تلعب : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون:١١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون:٩] .

الأسباب يد الله الممدودة إليك بما تحتاج : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة:١٤٣] .

فإذا عزت الأسباب، فتوجه إلى مسبب الأسباب : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فالله ﷻ يعطي بالأسباب ، ويعطي بدون الأسباب ويعطي بضد الأسباب، ويعطي بقلة الأسباب، ويعطي بكثرة الأسباب، فالله أكبر ما أعظم قدرته: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

المضطر من الناس من استنفذ الأسباب المخلوقة لله ، المأمور بها شرعًا ، فإذا دعا الله مضطرًا أجابه الله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢] .

إذا لم يجب الله دعاءك فأعلم أنك غير مضطر ، أو ما طلبته تظنه خيرًا وهو شر : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة:٢١٦] .

فالله أعلم حيث يجعل هدايته ، ورسالته ، ورزقه : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٢] .

من جاء بالحسنة فله خيرٌ ناشئ منها ، فالحسنة خير، وثوابها ناشئٌ من فعلها : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

ر إن الله لا يسلم الحق للكفار ، ولكن يتركه ليرى غيرة الناس عليه، فإذا لم يغاروا عليه، غار هو عليه، ثم انتقم ممن عارضه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] .

موسى ﷺ برزخ بين رسل يقوم كل رسول منهم بالدعوة إلى الله بين قومه ، فإذا لم يستجيبوا له وعارضوه أخذهم الله بعذاب الاستئصال كما قال سبحانه: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٠] .

فأرسله الله ﷻ بين رسل دعوا قومهم ، فإذا لم يستجيبوا أخذهم الله بعذاب الاستئصال ، وبين رسل شرع لهم الدعوة إلى الله، مع الجهاد في سبيل الله ، وما عذب الله قومًا بعد موسى بعذاب من عنده إلا أهل أيله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[البقرة:٦٥] .

الغيب : هو حجب ما في الماضي والحاضر والمستقبل ، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل:٦٥] .

السلام نوعان :

أحدهما: سلام تحية كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾[النور:٢٧] .

الثاني: سلام متاركة كما قال إبراهيم لأبيه حين أعرض عنه : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾[مريم:٤٧] .

فالسلام نوعان :

سلام تحية ومؤانسة .. وسلام متاركة مفارقة .

من جعلك موضعاً للنقيصة فقط سقطت في نظره ، وإن أعنته على أمره ، فشاهد الزور أول من يسقط في عين من استعان به ، ويدوس بشهادته على كرامته ، فشاهد الزور يرفع رأس من استعان به على خصمه بشهادته ، لكنه يدوس بالقدم على كرامته .

وشهادة الزور من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله عز وجل، ومن أعظم الكبائر ، فشهادة الزور من أكبر الكبائر ، وأعظم الذنوب، فهي سبب في أكل أموال الناس بالباطل وسبب لإضاعة الحقوق، وسبب لأغلال الحكام ليحكموا بغير ما أنزل الله كما قال النبيﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ثَلَاثًا الْإِشْرَاكُ بِالله ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ - وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ » . متفق عليه [1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)، ومسلم برقم: (٨٧) واللفظ له.

البطر عدم شكر الله على نعمته، واستعمالها فيما حرم، أو الاستكبار بسببها، وقد نهانا الله عز وجل عن كل ذلك ، وأهلك من بطر وطغى وبغى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[القصص:٥٨-٥٩] .

والبطر من صفات الكفار الذين نهى الله عز وجلعن الاقتداء بهم بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنفال: ٤٧] .

وكلما زادت النعمة على الإنسان طغى واستكبر: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ ﴾[العلق:٦-٧] .

والله عز وجل خبير بصير بعبادة: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرعد: ٢٦] .

الله عز وجل خلق بني آدم، ومنَّ عليهم بالأسماع ، والأبصار ، والعقول ، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن:٢] .

فإذا ظل الكافر على كفره، امتد أذاه إلى المؤمنين، فشرع الله التوبة للكافر رحمةً له، ورحمة للمؤمن ليسلم من شر الكافر: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة: ٣٩] .

والناس إثنان:

مؤمن .. كافر .

والكافر منتفع بخير المؤمن ، والمؤمن متضرر بشر الكافر ، وبتوبة الكافر يزول شره عن المؤمن ، لهذا من الله علينا بالدعوة إلى الله، لنكون في السلم كافة ، ونكون إخوانًا في الدنيا على الدين ، ويوم القيامة إخوانًا على سرر متقابلين ، ندعو الكافر ليؤمن ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

الله عز وجل عالم الغيب والشهادة، يعلم السر وأخفى ، فالأخفى يعلمه الله ؛ لأن الله علم الأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، والسر ما أسررته في نفسك : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك:١٣-١٤] .

والجهر ما جهرت به، وكل ذلك يعلمه الله: ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعلى:٧] .

والجهر نوعان :

ما جهرت به لنفسك، فالله يسمعه ، والناس يسمعونه ويفهمونه

وجهر بالكلام بين الناس ، في المجامع الكبرى ، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي، وغيرهما مما تختلط فيه الأصول .

فالله يعلم الأصوات من داعٍ ، وسائل ، وذاكر ، كأنها صوت واحد ، فهذا الصوت العظيم الذي ينشأ من جهر الناس بالقرآن أو الذكر أو الدعاء ، يكون كأنه صوت واحد ، والله يعلم جميع أصوات هذه الملايين في وقت

واحد ، ويعلم أنواع كلامهم : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة:٦-٧] .

الله عز وجل خلق في الدنيا كل شيء يحتاجه الإنسان قبل أن يخلق الإنسان ، فأعد السكن قبل نزول الساكن إلى الأرض وهو آدم ، وفي الآخرة خلق لي ما يسعدني إن كنت مؤمنًا قبل أن يخلقني، وما أعظم إحتفاء الله بهذا الإنسان : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وقال الله ﷻ:﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤]

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣١- ١٣٢] .

النبات ، والحيوان ، والإنسان ينضج ويبلغ إذا كان قادرًا على إنجاب مثله ، الضوء من الشمس، والنور من القمر والنجوم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٧] .

فالضياء يبين لي الأشياء ، وإذا بانت لي الأشياء أعايشها ، وأتعايش معها على السلامة لي منها ، والسلامة لها مني ، فالذي يعيش في الظلمات إما أن يصطدم بالذي هو أكبر منه فيدمره ، أو يصدم هو من هو أصغر منه فيحطمه: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[البقرة:٢٥٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾[يونس:٤-٥] .

وهذا في الماديات ، وكذا في المعنويات، فالدين هدىً ونور يبين الحق من الباطل ، والخير من الشر ، وإذا جاء الإيمان سلمت في الدنيا والآخرة من كل شر ، وسلم مني ما هو دوني : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[النور:٣٥] .

وقال النبيﷺ: « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» أخرجه البخاري(١).

ويوم القيامة : ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[الأنعام: ١٢٧] .

التوكل على الله هو إظهار العبد عجزه أمام، وتوكله على الله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن:١٣] .

- **والبغي** : تجاوز الحد في الظلم .
- **والفرح** : انبساط النفس لأمر يسرها بما هو نافع .

(١) أخرجه البخاري رقم: (٦٤٨٤).

والفرح قسمان :

فرح ممدوح .. وفرح مذموم .

الأول: فرح متعة، وهذا فرح مذموم: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾[الرعد: ٢٦] .

ومن ذلك فرح قارون : ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾[القصص:٧٦-٧٧] .

والثاني : فرح بما يسر، بما هو نافع، بما هو مسعد في الدنيا والآخرة، وهذا فرح محمود: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾[يونس:٥٨] .

فالدين وأحكام الله التي تسعد الإنسان في الدنيا والآخرة أعظم مفروحٍ به .

٧- الفصل السابع

- **الهجرة المشروعة نوعان :**

الأولى : هجرة إيمان لدار أمان، كما هاجر المؤمنون الأوائل في أول الإسلام إلى الحبشة .

الثانية : هجرة إيمان إلى دار إيمان كما هاجر المؤمنون إلى المدينة .

وهذه و هذه كلاهما مشروعة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

والإسلام قائم على الهجرة ، وعلى النصرة ، كما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، والمهاجرون من بعده ، وكما ناصر الأنصار من جاء إليهم مهاجرًا إلى المدينة ، وهؤلاء هم المؤمنون حقًا ، ومن سار على هديهم ، فالدين يقوم على الهجرة ، وعلى النصرة من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دين الله في العالم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال: ٧٤].

كل شيء يوصف الله به يؤخذ في إطار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى:١١].

فهو سبحانه موجود وسميع وحي، لكن وجوده وسمعه وحياته كما يليق بجلاله، فحياته لا أول لها ولا أخر ولا بداية بها ولا نهاية، وحياة المخلوق حادثةٌ موهوبة، وهذا الحي من المخلوق يموت سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، فالله عز وجل له من تلك الأسماء والصفات ما يليق بجلاله ،

وللإنسان من ذلك ما يليق به، فالله هو العلي الأعلى ، والإنسان قد يسمى عليًا لكنه عليًا أدنى وهكذا .

كل موجود طرأ عليه الوجود يسمى شيئًا من الذرة حتى العرش: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

فلا يطلق الشيء على الله ؛ لأنه هو الذي شاء كل شيء ، وكل شيء يسبح بحمده : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وشهادة الله لنفسه بالوحدانية أكبر شيء : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٩] .

والله سبحانه وتعالى شهد لنفسه بالوحدانية قبل أن يخلق الشاهدين له: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨] .

أنواع الجهاد في سبيل الله :

للجهاد أنواع كثيرة.

جهاد الغرائز حتى تقبل على الطاعات ، وتترك الشهوات التي تصرف عن عبادة الله .

وجهاد العواطف ، وجهاد النفس لحملها على طاعة الله ، وجهاد الشيطان بمخالفته في كل ما أمر ، وجهاد مع شياطين الإنس والجن ، سواء كان في

ميادين القتال ، أو في ميادين الفكر والدعوة، وجهاد العمل بالأحكام ، وجهاد على البلاء ، وجهاد مع خصوم الشيطان ، وجهاد خصوم الإنسان ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وجهاد الإنسان لنفسه، لأن الله غني عنه وعن غيره:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

فالله عز وجل ليس فقط هو غنيٌ عن العالمين ، بل هو المغني لجميع العالمين ؛ لأنه هو الذي خلق الخلائق، وأمدهم بالأقوات ، وأسعدهم بالدين الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة :﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

الطوفان : أن يزيد الماء فبعد أن كان وسيلة للحياة يكون وسيلة للموت كما قال سبحانه عن فرعون وجنوده : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٣] .

وأعظم طوفان عمَّ الأرض هو الشرك بالله : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يوسف:١٠٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأعراف:١٠٢] .

فيجب علينا الدعوة إلى الله، لتنتقل الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

الله عز وجل هو الخلاق العليم ، الذي أوجد كل موجود من معدوم : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ [البقرة:١١٧] .

وأوجد سبحانه معدوماً من موجود كما اوجد الثمرة من الشجرة، وأخرج الكلام من اللسان .

والمخلوق أوجد معدوماً من موجود ، فأوجد السيارة من الحديد ، وأوجد الثياب من القطن ، وهكذا : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ ﴾[الحجر:٨٦] .

هو الخلاق الذي يستحق أن يعبد : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾[النحل:١٧] .

الذي يخلق ويرزق هو الذي يستحق أن يعبد ، الذي خلقني، وأسكنني في ملكه ، وأطعمني من رزقه هو الذي يجب أن يسمع كلمتي ، ويمتثل أمري : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

- **الآيات ثلاثة أنواع :**

أحدهما: آيات كونية، وهي ما نراه في هذا الكون من هذا الخلق العظيم، والتدبيرات العجيبة .

الثانية: آيات معجزات الرسل كمعجزة موسى وغيره .

الثالثة: آيات تحمل الأخبار والأحكام كآيات الأحكام في الشريعة .

- **أنواع الهجرة:**

الهجرة على ثلاثة أضرب، فهي انتقال من مكان إلى مكان كما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، أو انتقال من فعل إلى فعل كأن ينتقل الإنسان من

المعاصي إلى الطاعات ، أو الانتقال من فكر إلى فكر بأن يتغير فكر الإنسان ، ويتعلق قلبه بالله وبالدار الآخرة ، وينصرف عن الدنيا وشهواتها .

وأفضل أنواع الهجرة :

الهجرة إلى الله ورسوله، والهجرة إلى الله بالتوحيد والإيمان والعبادة وإخلاص العمل لله عز وجل : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥] .

والهجرة إلى رسول الله هي إتباعه ، في توحيده وإيمانه ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه العالية : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

العبودية للبشر تأنف منها النفوس ؛ لأن عبودية الناس للناس تأخذ خير العبد لسيده ، فالعبد يعمل، والسيد يأخذ ، أما عبودية الله فهي عزة ؛ لأنها تأخذ خير الرب لعبده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

فعبادة الله عطاء من الرب للعبد، وتكليف له بما يسعده في دنياه وآخرته، لأن الله غني عن العبد، وعن أفعاله ، وعن طاعاته ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾[العنكبوت:٦] .

عظمة الخالق جل جلاله تتجلى في عظمة المخلوق ، كالعرش العظيم ، والكرسي الكريم، والسماوات السبع، والأراضين السبع، والجبال والبحار، وغيرها من المخلوقات العظيمة التي خلقها الله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[البقرة:١٦٤] .

وتتجلى كذلك في دقة المخلوق ، كالبعوضة فما فوقها في الصغر: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

السماوات شيء، والأرض شيء، والبعوض شيء، والنملة شيء، والذرة شيء: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر: ٦٢] .

من جهل الكفار أنهم اتخذوا أدنى من يخدمهم وهو الجماد معبودًا لهم: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر: ١٣-١٤] .

الحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ، كالسماوات والأرض ، والكتب والرسل والدين ، والشمس والقمر ، والله عز وجل هو الحق المبين : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾[الحج:٦] .

فالله حق ، وكتبه حق ، ورسله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ومحمد حق ، والعالم الحق هو من يعلم من خلقه ، ولمَ خلقه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨] .

الإسلام كل شيء في الحياة من قول لا آله إلا الله، إلى إماطة الأذى عن الطريق ، لكن أركانه خمسة كما قال النبي ﷺ في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام فقال: « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » . متفق عليه[1] .

والْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ .

فأركان الإسلام خمسة ، وسقفه جميع شعائر الدين ، أقوالًا ، وأفعالًا ، وأخلاقًا :﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

وقال النبي ﷺ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، ومسلم برقم: (٨)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩)، ومسلم برقم: (٣٥)، واللفظ له.

- **الناس في الإيمان ثلاث درجات :**

الأولى: مقربون، وهم من قام بحقوق الإيمان كلها فأمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وتعبد لله بموجب ذلك : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

الثانية: أصحاب اليمين، وهم من قاموا ببعض حقوق الإيمان .

الثالثة: ظالمون لأنفسهم، وهم من فيهم إيمان وكفر ، وإيمان ونفاق .

وهؤلاء كلهم في الجنة كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[فاطر: ٣١ - ٣٣]

- **صفات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :**

الأولى : صفات ذاتية لا تنفك عن الله أبدًا ، كالحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه واليدين والعلم والقوة ونحوها ، فهذه لا تنفك عن الله أبدًا: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

الثانية : صفات فعلية، وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وإرادته ، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها ، كالخلق والرزق والرحمة ، والنزول إلى السماء الدنيا ، والكلام ونحو ذلك :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤] .

من رحمة الله بعباده أن أنزل عليهم الكتب ، وأرسل إليهم الرسل ، ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له .

ولزوال الفساد خلق الله النفس اللوامة ، التي تلوم صاحبها وتردعه عن فعل الشر ، فإن لم تأتمر وتطيع ، فقد شرع الله الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والتواصي بالحق ، فإن لم يكن أرسل الله رسولًا يحق الحق ، ويبطل الباطل : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ١-٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾[النحل:٣٦] .

السائل إما يسأل ليعلم ، كما يسأل التلميذ أستاذه : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل: ٤٣] .

وإما أن يسأل السائل ليقرر ، كما يسأل الرب خلقه ، ماذا أجبتم المرسلين ؟ وماذا كنتم تعملون ؟

وكما يسأل المعلم طلابه ليقرر ما عندهم من العلم والفهم .

الموازين يوم القيامة متعددة بحسب الأعمال، فميزان للإيمان ، وميزان للأعمال ، وميزان للأقوال ، وميزان للأخلاق ، وميزان للطاعات ، وميزان للمعاصي : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

كل جنس في الوجود من الجماد والنبات والحيوان له مهمة ، ومهمته متعلقة بخدمة الإنسان ، فإن الله عز وجل سخر لنا ما في السماوات والأرض : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٢-٣٤] .

والإنسان كذلك له مهمة هي معرفة ربه، وعبادته وحده لا شريك له بموجب تلك المعرفة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

قصة الشيطان مذكورة في سبع سور في القرآن هي البقرة ، والأعراف ، والحجر ، وبني إسرائيل ، والكهف ، وطه ، وص ، ذكر الله قصة آدم وإبليس وكررها في تلك السور ، ليستقر في أذهان عباده ذلك، ليعرفوا أباهم، آدم ﷺ ويقتدوا به ، ويعرفوا عدوهم إبليس ويحذروه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[يس:٦٠:٦١].

فقدوة الإنسان هم الأنبياء جميعًا : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾[الأنعام: ٩٠] .

وقال الله عز وجل عن الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

جميع المخلوقات والنعم تصب في مصلحة الإنسان ، فليشكر الله على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾[النحل:٥-١٨] .

الإنسان وما يخدم الإنسان من نبات وحيوان ، يتكاثر كلما يمتد به الزمن ، فالمواليد للنباتات والحيوانات والآدميين تزداد باستمرار ، وتتقال كلما رجعنا إلى الماضي، حتى تنتهي إلى زوجين :﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ ﴾[الذاريات:٤٩] .

ثم ترجع جميع المخلوقات إلى خالق واحد :﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾[البقرة:١٦٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

كل إنسان حي فيه جزء حي من أبيه، حتى يصل إلى أبيه آدمﷺ .

إذا رأيت عورة أخلاقية أو بدنية ، فاعلم أن منهجًا من مناهج الله قد عطل؛ لأن مناهج اللهعز وجل كلها أنزلت لصلاح الدنيا والآخرة ، وصلاح القوالب والقلوب :﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

وبطاعة الشيطان تنكشف العورات :﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾[الأعراف:٢٧] .

الدعاء طلب عاجز من قادر في أمر يحبه الداعي ، والعاجز هو الإنسان والقادر هو الله :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

اللهو أن يلهو الإنسان بشيء غير مطلوب منه ، عن شيء مطلوب منه : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون:٩] .

اللعب كل عمل لا يجلب نفعًا ، ولا يدفع ضرًا : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون:١١٥] .

والجد هو كل فعل يجلب نفعًا ، أو يدفع ضرًا ، وأعلاه عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

- **الآيات في القرآن ثلاثة أقسام :**

الأول: آيات كونية كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت:٣٧] .

الثاني: آيات قرآنية، وهي الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[فصلت:٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود: ١] .

الثالث: آيات دالةٌ على صدق الرسل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[الشعراء:٧ – ٩] .

الله عز وجل خالق كل شيء ، فالسماوات ظرف، وفي داخلها مظروفات ، والأرض ظرف داخل ظرف السماوات ، والإنسان مظروف داخل الظرف وهو الأرض ، ودائمًا المظروف أعظم من الظرف ، فالإنسان مظروف داخل هذه الأرض التي هي ظرف ، والله عز وجل كرم هذا المظروف وهو الإنسان بأن خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله في الدنيا خليفة ، وفي الآخرة إن كان مؤمنًا جليسه، وكل ما في هذا الظرف في خدمته ، من جماد ونبات وحيوان :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان:٢٠] .

والله ﷻ هو الخلاق العليم ، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، هو الذي خلق وخلقه، إيجاد ومعدوم ، فالخالق الأعلى جل جلاله خلق معدوماً من معدوم : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[البقرة:١١٧] .

ويخلق سبحانه معدوماً من موجود كما خلق الثمر من الشجر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢] .

والخالق الأدنى وهو الإنسان يخلق معدومًا من موجود ، فالله أحسن الخالقين ؛ لأنه خلق معدومًا من معدوم ، وخلق فيه الحياة ، وجعل فيه النمو والتكاثر ، أما الإنسان فهو يخلق معدومًا وهو السيارة مثلًا من موجود وهو الحديد، بالطاقة التي خلقها الله فيه ، بالعقل الذي أعطاه الله إياه :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

الدعاء: طلب عاجز من قادر ما لم يقدر عليه ، فالإنسان عاجز فقير ضعيف محتاج إلى ربه ، فالعاجز يطلب من القادر ، والفقير يطلب من الغني : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وكما قال آدم وزوجه: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف: ٢٣] .

ومقصود الدعاء : إظهار الخضوع والحاجة والتذلل لله وحده : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

أما الإجابة : فالله يجيب عبده ، ويختار له ما ينفعه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

- **حكمة القصص ثلاث** :

تثبيت قلب الرسول ﷺ .. تقوية نفوس أتباعه .. الإخبار بما لا يعلمون .

كما قال سبحانه : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود: ١٢٠] .

الملأ : هم الذين يملئون القلوب هيبة ، ويملئون العيون نظرة ، ويملئون صدور المجالس بُنية ، فلهم شرف وسؤدد .

وملأ القوم هم أشرافهم ، كما أخبر الله عن الأنبياء كعادٍ فقال : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الأعراف:٦٥-٦٦] .

فالملأ يخافون على مكانتهم ، ومناصبهم ، ولهذا هم أول من عارض الرسل ، قال بعض الأنبياء والرسل لقومه كما قال هودٌ لقومه عاد : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأعراف:٦٨] .

وقال بعضهم كصالح حين قال لقومه لما أهلكوا : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:٧٩] .

فالفرق بين أبلغكم رسالات ربي ، وأبلغتكم رسالة ربي ، فقال رسالات ربي باعتبار تعدد الأوامر ، وباعتبار اختلاف الأحكام ، وباعتبار تتابع

الرسل يومًا بعد يوم ، وقال رسالة ربي باعتبار دين ربي الشامل للأحكام كلها .

- **معاني الذكر في القرآن:**

يطلق الذكر على عدة معانٍ :

الأولى: القرآن: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[الأنبياء:٥٠] .

الثانية: العز والشرف: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الزخرف: ٤٤] .

الثالث: ما نزل على جميع الرسل : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنبياء:٢] .

الرابع: الاعتبار والتفكر : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

الخامس: التسبيح : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[النور:٣٦ -٣٨] .

السادس: ذكر الله لعباده : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

٨- الفصل الثامن

فائدة العبادة عائدة على العابد لا على المعبود ؛ لأن المعبود سبحانه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والكامل لذاته لا يكون كاملًا بغيره ، فسبحان من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾ [لقمان:٢٦] .

أما العابد فهو مخلوق ناقص ضعيف فقير محتاج ، محتاج إلى الكامل في وجوده ، ومحتاج إلى الطعام والشراب لبقاء حياته ، ووجود الناقص من المخلوقات دليل على وجود الكامل الذي يكمله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل:٥٣] .

ووجود المحتاج دليل على وجود خالق غير محتاج: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

الإنسان عبد من العبيد لا يستحق على عبادة الله ثوابًا ؛ لأن سبب وجوب العبادة خلق الله عز وجل وإنعامه علينا : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

فلا تستحق عليه ثوابًا؛ لأننا عبيده، خلقنا وأسكننا في ملكه ، ورزقنا من فضله ، وأعطانا كل ما سألنا فله الحمد وله الشكر : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا

سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم:٣٤]

ولكن الكريم أكرمنا بجزيل الثواب والعطاء ونحن عبيده، ولا نستحق على عبادته شيئاً، بل هو الكريم :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

من أجاب الله حين يدعوه إلى الإيمان أجابه حين يدعوه ويسأله حاجته، ومن رضي بقضاء الله أرضاه الله وأعطاه على قدره، والله ﷻ وزع أسباب فضله على الخلق، ولم يجعل الإنسان مجمعًا للفضائل ، بل لكي تستقيم حياة الخلق، ويخدم الناس بعضهم بعضًا، فكل إنسان محتاجٌ إلى الآخر من عالم وجاهل، وغني وفقير، وقادر وعاجز، وذكرهم وأنثاهم، ثم أفقر الكل إليه : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الزخرف:٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر:١٥] .

الغني هو الذي لا يشعر أنه غني ؛ لأنه كل يوم يستفيد مالًا يستغني به ، والعالم الرباني هو الذي لا يشعر أنه عالم ؛ لأنه كل يوم يستفيد علمًا بالله وعلمًا بأوامره : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه:١١٤] .

وقال الله عز وجل:﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء:٨٥] .

الحق هو الشيء الثابت الذي يهفو إليه كل إنسان بفترته : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

لا يتكبر إلا من كان جاهلًا بالله وأسمائه ، وصفاته ، غافلًا عن ربه العظيم ، وغافلًا عن نقائصه التي يستحي من علم الله بها، وعلم الناس بها : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المعارج: ٣٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٧-٧٨].

فالإنسان عورة، خارج من عورة ، ودخل في عورة ، ثم خرج من عورة ، وهو عورة إذا لم يلبس لباس الإيمان والتقوى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

الإخلاص أن تكون حركة القلب موافقة لحركة القالب، الإخلاص أن تكون حركة قالبك موافقة لاعتقاد قلبك ، وهذا هو المطلوب من العبد : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

الله عز وجل هو الملك الغني عمن سواه ، وجنوده كل ذرة ، وكل كبير ، وكل صغير في هذا الكون ، فالملائكة من جنود الله ، والسماوات من جنود الله ، والشمس من جنود الله ، والماء جندي من جنود الله ، والنار جندي من جنود الله ، والغيث جند من جنود الله في الرحمة ، والنار جند من جنود الله في العذاب : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١] .

وجبريل ﷺ مجندٌ بالرحمة ، حيث ينزل بالكتب على الرسل ، ومجند بالعذاب كما رفع خمس قرى من قرى قوم لوط ثم قلبها عليهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحجر:٧٤] .

فسبحان من له ملك السماوات والأرض ، وله جنود السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾[الفتح: ٧] .

كلما ازدادت زخارف الدنيا ازداد ميول النفس إليها، وتعلق القلوب بها، والله عز وجل خلق الدنيا، وعلق عليها ما ينفر منها، لئلا يتعلق الناس بها: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤] .

- **النجم ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام :**

الأول : نجم السماء : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[النحل:١٦] فالنجوم دليل المسافر في البر، والبحر، والجو .

الثاني : نجم النبات : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾[الرحمن:٦] .

فالنجم ما لا ساق له ، والشجر ما له ساق .

الثالث : نجم القرآن فالقرآن نزل منجمًا ومفرقًا في ثلاثٍ وعشرين سنة حسب الأحداث والأحوال والوقائع : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الإسراء:١٠٦]

- **مقامات إبراهيم ﷺ في معرفة الحق، وتعريف الخلق به أربعة :**

الأول : مع نفسه بالتدبر .

قال الله عز وجل:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾[الأنعام: ٧٥ – ٧٩].

الثاني : مع أبيه بالدعوة .

قال الله عز وجل:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾[مريم:٤١ – ٤٨].

الثالث : مع قومه بالقول والفعل .

أما القول فقوله : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ

أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأنبياء:٥١-٥٧] .

أما الفعل فقوله : ﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنبياء:٥٨-٧١] .

الرابع : مع ملك زمانه : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[البقرة:٢٥٨]

فرق الكفار الذين واجههم النبي ﷺ بالدعوة وأبطل أقوالهم وحججهم وهم :

أولًا : الدهرية الذين قالوا : ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[المؤمنون:٣٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية:٢٤] .

الثانية : الذين ينكرون الخالق القادر المختار، وقد أبطل الله قولهم بحدوث أنواع النبات ، والحيوان ، ودلائل التحريك والتسكين : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق:٦- ٨] .

الثالثة: الذين عبدوا مع الله شريكًا علويًا أو سفليًا فالعلوي كمن جعل الكواكب مؤثرة في هذا العالم : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت:٣٧] .

أما السفلي كالنصارى الذين قالوا بإلوهية المسيح : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾[المائدة:١٧] .

وعُبَاد الأوثان الذين قالوا بإلوهية الأوثان كما قال الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾[ص:٥- ٦] .

رابعًا : الذين طعنوا في النبوة وهم فريقان :

الذين طعنوا في أصل النبوة فقالوا كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٤].

الذين سلموا في أصل النبوة، لكن طعنوا في نبوة محمد، وهم اليهود والنصارى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٥٤] .

الخامس : الذين نازعوا في البعث والحشر والنشر فأنكروه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن:٧] .

السادس : الذين طعنوا في التكليف، تارة بأنها لا فائدة فيه فقال الله لهم : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾[الإسراء:٧] .

وتارة بأن الحق هو الجبر الذي ينافي صحة التكليف، فأجاب الله عن ذلك بقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنبياء:٢٣] .

فالحمد لله الذي نصر رسوله والمؤمنين، وخذل الكفر والكافرين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة:٣٣] .

مجامع اللذات ثلاث:

١- السكن المريح .

٢- المطعم والمشرب الهنيء .

٣- المنكح الحلال .

فإذا اجتمعت هذه مع صفاء الحياة والأمن، فقد كملت للإنسان مجامع اللذات ، ولا يكون ذلك إلا في الآخرة على وجه الحقيقة : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا

مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥] .

- **القرآن الكريم مشتملٌ على ثلاثة أمور :**

١- علم التوحيد والإيمان .

٢- وعلم الفضائل والأحكام .

٣- وعلم القصص .

والانتقال من علمٍ إلى علم ينشرح به الصدر، ويفرح به القلب، فكأنه انتقل من بستانٍ إلى بستانٍ ، وسافر من بلدٍ إلى بلدٍ إلى آخر ، وتحول من مائدة لذيذة إلى مائدة لذيذة ، وذلك ألذ وأشهى في قبول العلم والعمل به : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩] .

وقد جمع الله ذلك في سورة الفاتحة فقال سبحانه : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة : ١٢-٧] .

فهذا علم التوحيد والإيمان : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة : ٥] .

وهذا هو علم الفضائل والأحكام : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة:٦-٧] .

وهذا هو علم القصص .

العقاب : حق الله على العبد العاصي : ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء:١٢٣] .

والعاصي حين يعصي يجب أن ينظر إلى عظمة من يعصيه، لا إلى عظمة المعصية ، المعصية العظيمة عظيمة ، أعظم من الذنب ، والذنب عظيمٌ كذلك ، ولكن الأعظم معصية الرب العظيم في ملكه، ممن يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه ، ويتنفس من هوائه ، ويشرب من مائه ، ويلبس من لباسه :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣] .

فالعقاب حق الله على العبد العاصي ، وللمستحق أن يسقط حق نفسه جل جلاله، فالله عفوٌ وغفور ، وهو يغفر الذنوب جميعًا:﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر:٤٩-٥٠] .

وأما الثواب فأنه حق العبد على الله ، فإن الله عز وجل ليس عليه حق ، ولكنه ألزم نفسه بأن يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف،إلى أضعافٍ كثيرة ، وإلا ليس للعبد حقٌ على سيده ، بل هو في خدمة سيده ، فالثواب حق العبد على الله ، والله أكرم من أن يسقطه، بل يزيده ولا ينقصه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾[النساء:٤٠] .

وقال سبحانه:﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف:٩٦] .

الحلال : هو من أنحلت عقدة الحظر عنه ، والطيب ما تستلذه النفوس وتشتهيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة:١٦٨] .

عداوة الشيطان لبني آدم عداوة بينة ظاهرة مستمرة، لأنه التزم أمورًا ثمانية في إغواء بني آدم ، أربعةٌ منها في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾ ﴾[النساء:١١٧- ١٢١] .

وأربعةٌ في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأعراف:١٣ -١٨] .

فلما أعلن هذه العداوات حذرنا الله عز وجل منه فقال : ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾[يس:٦٠:٦١].

وعبادة الشيطان هي طاعته في كل ما يأمر به: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: ٦] .

إذا وُلد المولود لابن آدم قرن الله به ملكًا ، وقرن به إبليس شيطانًا ، فالشيطان جاثم على أذن قلبه الأيسر ، والملك جاثم على أذن قلبه الأيمن، فهما يدعوان الإنسان، الشيطان يدعوه إلى الشر ، والملك يدعوه إلى الخير،

فللملك بابن آدم لمة ، وللشيطان لمة ، فلمة الملك تصديق للحق، ووعدٌ بالخير ، ولمة الشيطان تكذيبٌ بالحق ، ووعدٌ بالشر: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾[النساء: ٣٨] .

الشيطان لا يأمر إلا بالقبائح من السوء والفحشاء والكذب على الله ، وقد يدعو إلى الخير لغرض أن يجر الإنسان إلى الشر كأن يجره من الأفضل إلى الفاضل، ليتمكن من إخراجه من الفاضل إلى الشر ، أو يجره من الفاضل الأسهل إلى الأفضل الأشق، لينفره ويخرجه من الطاعة بالكلية : ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾﴾[البقرة: ٢٦٨]

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩] .

العقل عقلان :

الأول : عقلٌ مطبوعٌ خلقه الله، وضده الجنون .

والثاني : عقل مكسوب، وهو ما يكتسبه الإنسان من العلوم التي تعقله عن فعل ما لا يليق به: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧- ١٨] .

- **والعقل المكتسب يكمل بقوى ثلاثة :**

السمع .. والبصر .. واللسان .

قال الله عز وجل:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

ومن فقد حسًا فقد علمًا ، ومن فقد علمًا فقد عملًا ، ومن فقد عملًا فقد ربحًا وخسر خسران : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[العصر: ١ – ٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ ﴾[الزمر:١٥] .

الله ﷻ أباح لنا أكل الحلال الطيب ، وحرم علينا أكل الحرام ، وأكل الخبيث ، وأكل الميتة محرم إلا عند الضرورة .

والضرورة لها سببان :

الجوع الشديد، حيث لا يجد مأكولًا حلالًا يسد به الرمق .

أو أن يكرهه أحدٌ على تناول المحرم فيحل له تناوله كما قال ﷻ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣ ﴾[المائدة:٣] .

البر : اسمٌ جامعٌ للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله ﷻ ، والبر اسمٌ عامٌ لجميع ما يؤجر عليه المسلم، وأصله من الاتساع، ومنه البَرَ الذي هو خلاف البحر لاتساعه ، واليهود كانوا يستقبلون المغرب، والنصارى كانوا يستقبلون المشرق فقال الله لهم : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾[البقرة:١٧٧] .

أركان الإيمان، لكل مكلفٍ مبدأٌ ووسط ونهاية ، ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات ، وهو المراد بالإيمان بالله هذا المبدأ ، والمنتهى واليوم الآخر: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[البقرة:١٧٧] .

ومعرفة مصالح الوسط لا تتم إلا بالرسالة ، والرسالة لا تتم إلا بأمورٍ ثلاثة : معرفة الملك الذي ينزل بالوحي ، والوحي وهو الكتاب ، والموحى إليه وهو الرسول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

- **الوفاء بالعهود .**

العهود ثلاثة أنواع :

فالعهد إما أن يكون بين العبد وبين الله ﷻ .. أو بينه وبين رسول الله ﷺ .. أو بينه وبين الناس .

فالذي بين العبد وربه هو ما يلزمه بعد الإيمان من فعل الأوامر، واجتناب النواهي وأداء النذور ، والأيمان التي تلزمه .

والذين بينه وبين الرسول: إتباعه، ونصر دينه ، وموالاة من والاه ، ومعاداة من عداه:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

والذي بين العبد وبين الناس ما يلزمه في المعاوضات من التسلم والتسليم، أو من الاستلام والتسليم، والوفاء بالمواعيد ، والصدق في المعاملات،

وأداء الحقوق وغير ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة:١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾ [الإسراء:٣٤] .

عهدٌ مع الله ، وعهد مع رسول الله ، وعهد مع الناس .

أمر الإيمان مبني على التمكن والاختيار، لا على الإجبار والقسر؛ لأن الدنيا دار الابتلاء والامتحان ، والقهر والإكراه يبطل معنى الابتلاء والامتحان كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾[الكهف: ٢٩] .

وقال ﷻ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [البقرة:٢٥٦]

٩- الفصل التاسع

- **المكلفون ثلاثة أصناف :**

الملائكة .. والجن .. والإنس .

فالملائكة : مخلوقاتٌ مأمورةٌ مسخرة ، مجبولة على التقديس والتسبيح، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ، وهم المدبرات أمرًا ، وهم المقسمات أمرًا .

والجن والإنس : مخلوقاتٌ مخيرة، قادرة أن تؤمن أو تكفر أو تطيع أو تعصي .

- **الأسماء المضمرة ثلاثة :**

أنا .. وأنت .. وهو .

وكلها جاءت في كلمة التوحيد لا إله إلا الله فأنا في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه:١٤] .

وأنت، جاءت في قوله سبحانه: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء:٨٧] .

وهو، جاءت في قوله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[البقرة:٢٥٥]

فالله ﷻ قريبٌ غير بعيد ، شاهدٌ غير غائب .

المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية ، ومعرفة ذلة العبودية كما قال الله ﷻ في سورة الفاتحة : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[الفاتحة: ٢-٤] .

هذا معرفة عزة الربوبية .

وقال الله عز وجل:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[الفاتحة : ٥] .

هذا معرفة ذلة العبودية

وقال الله عز وجل:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة:٦-٧] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد، القاهر القهار ، قهر المعدوم بالإيجاد ، وقهر الموجود بالعدم ، وقهر كل موجودٍ بضده ، قهر الليل بالنهار ، وقهر النور بالظلمة ، وقهر الحياة بالموت: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤ ﴾[الزمر:٤].

البأساء : هي المصيبة التي تصيب الإنسان خارج نفسه من خسارةٍ وهلاك مالٍ وولد .

والضراء : هي المصيبة تصيب الإنسان في نفسه من مرضٍ وخوفٍ وموتٍ كما قال ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩٥ ﴾[الأعراف:٩٤-٩٥] .

العلماء ثلاثة أصناف :

العالمون بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعالمون بأحكام الله وشرائعه ، والعالمون بذات الله، وأحكامه ، وهذا الصنف الثالث هم الراسخون في العلم، العاملون به ، وهم أكابر العلماء وسادتهم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ ﴾[فاطر: ٢٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد:١٩] .

أحسن الكلام الكلام عن الله ، والكلام معه ، فالكلام مع الله هو العبادة ، والكلام عنه هو الدعوة إلى الله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

فعبودية اللسان في أمرين :

أحدهما: الكلام مع الله بتحميده، وشكره، وتمجيده، وسؤاله ، واستغفاره ، وتكبيره، وتعظيمه، وعبادته: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

الثاني: الكلام عنه،وهو الدعوة إلى الله كما قال سبحانه في كتابه معرفًا بنفسه:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ -٢٤] .

فالكلام مع الله عز وجل هو بتكبيره وحمده وسؤاله واستغفاره : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[آل عمران:٥٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة : ٢-٦] .

الحسنات بمعنى النعم، والخصب، والعافية، والسيئات بمعنى الجدب والقحط، والشدائد، كل واحدةٍ منهما يدعو إلى طاعة الله ، أما النعم فلأجل الترغيب ، وأما النقم فلأجل الترهيب: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[الأعراف:١٦٨] .

لما خلق الله آدم أخرج من صلبه جميع ذريته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، ثم أعادهم إلى صلب آدم ﷺ، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق من أصلاب الرجال، وأرحام النساء، فإذا اكتملوا أذن الله بقيام الساعة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف:١٧٢] .

تبدل الأحوال الفلكية والبشرية يدل على وجود إلهٍ قادر له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى ، ولأجل أن الغالب في تبدل هذه الأحوال الراحة والخير، فذلك يدل على أن ذلك الإله

رحمن رحيم محسن كريم ، ومن كان كذلك كان مستحقًا للتعظيم والحمد ، وهذه هي العبادة :﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧]

الله ﷻ حكيم عليم ابتلى عباده بالنعم المادية، وبالأوامر الإلهية وبالمصائب القدرية ، فالنعم توجب الشكر لله ، والأوامر الإلهية تقتضي طاعة الله ، والمصائب القدرية تقتضي الصبر على البلاء :﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء:٣٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣].

وأحوال العالم خلقها الله ﷻ ممزوجة بالخير والشر، والأمن والخوف ، والمحبوب والمكروه ، لكن الشر وإن كان كثيرًا فالخير أكثر منه ، والمرض وإن كان كثيرًا إلا أن العافية أكثر منه ، وهذا يدل على وجود إلهٍ عزيز قادر رحيم كريم ، ومن كان كذلك فهو وحده المستحق للعبادة، والحمد والشكر:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

فالحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[فاطر: ١] .

وقال الله ﷻ :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف: ١] .

فالنعم المادية ، والنعم الروحية وهي الدين توجب لله الشكر والحمد، وهذه هي العبادة : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[النساء:١٤٧] .

كل ذرةٍ من ذرات العالم شاهدة بوحدانية الله ، مسبحة بحمده ، خاضعةٌ لأمره ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وناطقةٌ بكمال عظمته ، مقرة بكمال رحمته وفضله وإحسانه﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤] .

نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤] .

والنعمة هي المنفعة المعمولة على جهة الإحسان إلى الغير ، وكل ما وصل إلينا من النعم في الدنيا والآخرة كله من الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

والنعم من الله لها ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : نعمٌ تفرد الله بها نحو أن خلق ورزق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[فاطر: ٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة:٢١] .

الوجه الثاني : نعم وصلت إلينا من جهة غيره سبحانه، وهي في الحقيقة من الله ؛ لأنه الذي خلقها ، وخلق المنعم بها ، ومكنه من الإنعام بها ، وحبب إليه ذلك، وهداه إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة:٢٤٣]

الوجه الثالث : نعمٌ وصلت إلينا من الله بسبب طاعتنا، وهي في الحقيقة من الله، لأنه هو الذي خلقنا وهدانا ، ووفقنا للطاعات ، وحببها إلينا ، وأعاننا عليها ، وأثابنا عليها : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات:١٧] .

نعم الله ﷻ على عباده غير متناهية في الدنيا والآخرة ، فيجب أن يكون شكرهم لله غير متناه ، فكما ملأ الله الكون بنعمه، فيجب أن نملأه بحمده وشكره: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الجاثية: ٣٦] .

وأول نعم الله على عبيده أن خلقهم أحياء، ثم من عليهم بنعمٍ لا تعد ولا تحصى كما قال سبحانه : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[البقرة:٢٨] .

عبيد النعم كثيرون ، وعبيد المنعم قليلون : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف:١٠٣] .

وقال سبحانه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ:١٣].

فالله أمر بني إسرائيل بذكر النعم فقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾[المائدة:٢٠] .

وأمر هذه الأمة بذكر المنعم جل جلاله فقال : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾[البقرة:١٥٢] .

ونعم الله على بني إسرائيل كثيرة :

منها أن الله أنقذهم من بلاء فرعون ، وخلصهم من العبودية له ، ومكنهم في الأرض كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ ﴾[القصص:٤-٦] .

ومنها أن الله جعلهم أنبياء وملوكًا بعد أن كان عبيدًا للقبط ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ ﴾ [المائدة:٢٠] .

ومنها أن الله ﷻ أنزل عليهم كتبًا عظيمة ما أنزلها على أحد سواهم كالتوراة والإنجيل وغيرها مما لا يعلمه إلا الله .

ومنها أن الله نجاهم من فرعون، وظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وفتح لهم البحر ليعبروا منه ، وسقاهم من الحجر حين عطشوا فلله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

إذا مال قلب المؤمن إلى شيءٍ سوى الله، فمن رحمة الله أن يصرفه عنه غيرة عليه ؛ لئلا يشغله عن عبادة ربه ، فآدم ﷺ لما تعلق قلبه بالجنة، أخرجه الله

منها فزالت الجنة ، وبقى آدم ﷺ مع ربه يذكره ويحمده ويستغفره، هو وذريته من بعده .

ولما استأنس يعقوب بيوسف ﷺ أوقع الله الفراق بينهما، حتى بقي يعقوب مع ذكر الحق سبحانه .

ولما طمع محمد ﷺ من أهل مكة بالنصرة والإعانة، صاروا من أشد الناس عداوة له كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[المائدة:٨٢] .

فاشتدت عداوة قريش لمحمد ﷺ في نفسه ، وأهله، حتى قال ﷺ: « لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ » أخرجه الترمذي[1] .

فصبر حتى بلغ البلاغ المبين ، وكانت العاقبة له : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠] .

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤٠).

١٠- الفصل العاشر

- **أقسام التكاليف :**

الأحكام التكليفية ثلاثة أقسام :

الأول : ما يحكم العقل بحسنه كالصلاة والزكاة ، وشكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وهو غالب أحكام الشريعة: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[هود:١] .

الثاني : ما يحكم العقل بقبحه وشدته في أول الأمر ، لكن بسبب ورود الشرع به يسلم العقل بحسنه مثل إنزال الآلام والأمراض، والمحن والفقر ؛ لأن الله لا ينتفع به ، والعبد يتألم منه، إلا أن الشرع لما ورد به ، وبين الحكمة فيه، وهي: الابتلاء والامتحان، فحينئذ يعتقد المسلم حسنه، وكونه حكمة وصوابًا كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

والله عز وجل خلق الأمراض والآلام والمكاره لحكم عظمة، منها صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار ، وجذب النفوس إلى الملك القدوس ، وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور .

فلله الحمد على نعمه المادية والروحية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧] .

الثالث : الأمر الذي لا يهتدي العقل لا إلى حسنه ، ولا إلى قبحه ، بل يراه كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة كرمي الجمار في منى، وتقبيل الحجر الأسود ، والسعي بين الصفا والمروة ، فعلى العبد أن يسعى لامتثال أوامر الله ، ويسلم لربه بامتثال جميع أوامره، سواء عرف الحكمة أو لم يعرفها: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

ففي مكة حجران :

حجرٌ يُقبل، وهو الحجر الأسود .

وحجرٌ يرمى وهو الجمار الثلاث في الحج ، فنسلم لله في ذلك كله .

وفي مكة السعي بين الصفا والمروة ، والسعي بين الصفا والمروة ليس عبادة في نفسه، بل يكون عبادة إذا كان بعضًا من أبعاض الحج أو العمرة، لهذا لا يُشرع تكراره ولا فعله إلا فقط في الحج والعمرة .

شعائر الله هي أعلام طاعته ، وكل شيءٍ جعله الله علمًا من أعلام طاعته، فهو من شعائر الله التي يتقرب بها العباد إليه سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج:٣٢] .

هذه الأمة أمةٌ مرحومة، ذنوبها مغفورة ، وأعمالها مضاعفة ، وعيوبها مستورة، وأعمارها قصيرة .

وتميزت هذه الأمة بقلة الأسئلة، فهذه الأمة أقل الأمم سؤالًا للأنبياء ، فالصحابة لم يسألوا رسول الله ﷺ إلا أربعة عشر سؤالًا ثمانية منها في البقرة كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

وقال سبحانه﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

وقال تعالي:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

ثم الخمسة الباقية في البقرة ، والتاسع في سورة المائدة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ ﴾[المائدة:٤] .

والعاشر في الأنفال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ ﴾[الأنفال :١] .

والحادي عشر : في بني إسرائيل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء: ٨٥] .

والثاني عشر : في الكهف : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[الكهف: ٨٣] .

والثالث عشر : في طه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[طه: ١٠٥] .

والرابع عشر : في النازعات : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النازعات:٤٢] .

الله ﷻ حمد نفسه على خلق المكان والزمان فقال ﷻ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام:١] .

والله ﷻ جعل الزمان مقدرًا من أربعة أوجه .

فالسنة أثنا عشر شهرًا ، والشهر ثلاثون يومًا ، واليوم أربعة وعشرون ساعة ، والساعة ستون دقيقة ، والله عز وجل جعل المكان موزعًا بين العالم العلوي ، والعالم السفلى ، والعالم السفلى جوٌ ، وبرٌ ، وبحر ، وفى هذه العوالم الكبرى مخلوقات لا يعلمها إلا الذي خلقها ، وهى شاهدة بوحدانية

الله ، ومسبحة بحمده ، وخاضعة لأمره: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور:٤١] .

وجعل سبحانه المكان ظرفًا للأشياء ، فالأرض شيء ، وفى هذه الأرض مخلوقات لا يحصيها إلا الله عز وجل ، وجعل الزمان ظرفًا للأعمال ، والحوادث: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١] .

- **والله عز وجل حكيم عليم خلق في كل إنسان قوى أربع :**

١- قوة عقلية ملكية .

٢- وقوة حيوانية شهوانية .

٣- وقوة غضبية سبعية .

٤- وقوة وهمية شيطانية .

والمقصود من جميع العبادات توحيد الله عز وجل، وعبادته وحده لا شريك له، بما جاء عن رسوله ﷺ ، وقهر القوى الثلاث الشهوانية ، والغضبية والوهمية: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل: : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٤- ٦٥] .

ولما كان منشأ الشر محصورًا في هذه القوى الثلاث نهى الله عنها بقوله : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾[البقرة:١٩٧] .

فلا رفث إشارة إلى قهر القوة الشهوانية، ولا فسوق إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب، ولا جدال إشارة إلى قهر القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال بأنواع من الجدل في ذات الله، وأسمائه، وصفاته، وأحكامه، والجدال مع الناس، ومخاصمتهم .

والجدل قسمان :

١- **جدل محمود** : وهو الجدل بتقرير الحق ، ودعوة الخلق إلى الله ، والذب عن دين الله كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] .

٢- **جدل مذموم** : وهو الجدل في تقرير الباطل ، وإثارة الشبهات ، والصد عن سبيل الله كما قال سبحانه : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الزخرف:٥٨] .

- **دين الإسلام على ثلاث مراتب :**

الإسلام .

ثم الإيمان .

ثم الإحسان .

والناس يتقلبون في هذه المراتب بحسب معرفتهم بالله، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ودينه ، وشرعه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٣]

والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه، فأن لم تكن تراه فأنه يراك .

فهاتان مرتبتان للإحسان :

الأولى : توجب الرغبة

والثانية : توجب الرهبة

لأن العبد إذا علم أن الله يراه، ويعلم ما يفعله من الخير ، اجتهد في إحسان العبادة لربه ، وحرص عليها ، وتلذذ بها، لأنه يرى ربه مستو على عرشه يعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويبسط ويقبض ، ويكرم ويهين ، ويرحم من يشاء ، ويفعل ما يشاء، فهنا تكون عبادته عبادة شاهد لشاهد ، وهو الله عز وجل .

وإذا علم أن ربه مطلع عليه جد واجتهد في أداء الطاعات ، واجتناب المعاصي، أكثر مما إذا لم يكن كذلك: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[البقرة:٨٣] .

فهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل ، وبهذا يتحقق للإنسان رؤية عزه الربوبية ، ورؤية ذله العبودية فيتولد عن ذلك الحياء من الله ، والانكسار بين يديه ، والتكبير والتعظيم له ، والحمد والشكر له .

- **أنواع السفر :**

الإنسان في الدنيا له سفران :

أحدهما: سفر في الدنيا : وهذا السفر لابد له من زاد من طعام ، وشراب ، ومركب ، ومال .

الثاني: سفر من الدنيا : وهذا السفر لابد له من زاد الإيمان ، والتقوى ، ويكون بمعرفة الله ، ومحبته ، وعبادته وحده لا شريك له .

وهذا الزاد خير من الزاد الأول، وكلا الزادين مطلوب، لكن زاد الآخرة أعظم كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[البقرة:١٩٧] .

والتقوى : امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي، مقرونًا بالتعظيم لله ، والحب له ، والذل له : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

وزاد الآخرة خير من زاد الدنيا لوجوه كثيرة منها :

أولًا : أن زاد الدنيا يخلص الإنسان من عذاب موهوم ، وزاد الآخرة يخلص الإنسان من عذاب متيقن .

ثانيًا : أن زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع ، وزاد الآخرة سيخلصك من عذاب دائم .

ثالثًا : أن زاد الدنيا يوصل إلى لذة ممزوجة بالآلام ، والأسقام، أما زاد الآخرة فيوصل إلى لذة باقية خالصة من شوائب المضرة .

رابعًا : أن زاد الدنيا في إدبار وانقضاء ، وزاد الآخرة في إقبال ونماء .

خامسًا : أن زاد الدنيا تعيش فيه مع النعمة ، وزاد الآخرة يصلك بالمنعم ، ويوصلك إلى الجنة ، وما فيها من النعيم .

والعاقل من تزود بعاجل سفره الأخروي بقدر الحاجة ، وتزود لأجل سفره بقدر الطاقة : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[الحج: ٧٨].

الله عز وجل من رحمته أن جمع المسلمين في الصلوات الخمس، ليوحدوا ربهم ، وجمعهم على الصيام ، وجمعهم في العمر مرة كما في الحج والعمرة ، وفي مشاعر الحج منى ، والمزدلفة ، وعرفات .

وعرفات سميت بذلك لأن الناس يتعارفون فيها إذا وقفوا بها، أو من الاعتراف، لان الحجاج يعترفون فيها للحق بالربوبية ، والإلوهية ، ويعترفون فيها بالفقر والعجز ، والحاجة إلى ربهم ، أو لأن الله يتعرف فيه إلى الحجاج بالمغفرة والرحمة ، أو من العرف، وهو الرائحة الطيبة فكأن المذنبين لما تابوا فيها، وتخلصوا من أدران النجاسات من الشرك، والرياء، والأعمال السيئة، لأن الله عز وجل قد غفر لهم ذنوبهم، وطهرهم، وأكرمهم في هذا اليوم العظيم .

الإسلام شيء، وأركانه شيءٌ أخر ، فالإسلام مبنى على خمسة أركان كما في الحديث الجليل أنه سئل النبي ﷺ عن الإسلام فقال ﷺ : « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » . أخرجه مسلم[1] .

فالإسلام : كل حركة في الحياة وفق منهج الله .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٠).

والعبادة : أن يطيع العابد أوامر المعبود في كل شيء ، وعله كل تكليفً الإيمان بالمكلف الذي كلف، فإذا أمنت بالله ربا ، ورضيت بالإسلام دينًا ، وبمحمدٍ رسولًا، فيجب أن تصدق الأخبار ، وتمتثل أوامر الله ، ورسوله ، وتتجنب ما نهى الله ورسوله عنه .

والعبادة أن يطيع العابد أوامر المعبود في كل شيء كما قال عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

أمن لها عدة معاني :

فأن عديتها بنفسها مثل : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾[قريش:١-٤] .

فهي من الأمان .

وإن عديتها بالحرف، فأن كان الحرف هو الباء فهو الاعتقاد كما قال النبي ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ ، فَاسْتَقِمْ » . أخرجه مسلم[1] .

وإن كان الحرف هو اللام مثل : ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾[العنكبوت: ٢٦] .

فهي بمعنى التصديق .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٨).

الرحمة من الله عز وجل أن يمسك الداء عن العبد ، والشفاء أن يعالج الداء ، والقرآن شفاءٌ لمن عنده داء ، ورحمة لمن ليس عنده داء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

والاسم : مشتق من السمو ، والعلو أو من السمة ، وهى العلامة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

النفوس تكره الحروب ، ولكن تثيرها العصبيات ، ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن جاء بالإسلام، لتأنس به النفوس ، وقلل فرص الحرب بتحريم القتال في الأشهر الحرم ، وتحريم القتال بمكة، ليجد الناس طعم الأمن ، والسلم ، والسلام : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[التوبة:٣٦] .

غِذاءُ القُلُوبِ

فِي ضَـوْءِ القُـرْآنِ وَالسَّـنَةِ

الباب الخامس

ويشتمل على الفصول التالية :

١ – الفصل الأول

٢ – الفصل الثاني

٣– الفصل الثالث

٤ – الفصل الرابع

٥ – الفصل الخامس

٦ – الفصل السادس

٧– الفصل السابع

٨– الفصل الثامن

٩ – الفصل التاسع

١٠ – الفصل العاشر

غِذاءُ القُلُوبِ

الباب الخامس

١ - الفصل الأول

النشاطات التي يمارسها الناس في الحياة ثلاثة :

الزراعة .. والصناعة .. والتجارة .

فالصناعة هي التي توجد معدومًا من موجود كما تصنع السيارات من الحديد ، والذي يقوم بصيانة هذه الصنعة يسمى الحرفي .

والزراعة بها تحصل على القوت المباشر من طعام ، وشراب .

والتجارة هي الواسطة بين المنتج ، والمستهلك، فالتاجر واسطة بين الزارع ، والصانع ، وبين المستهلك ، والتاجر يشترى أولًا، ثم يبيع على المستهلك ، ومن رحمة الله بعباده أن أباح البيع والشراء تسهيلا للمنتج ، والمستهلك : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:٢٧٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأعراف:٣١-٣٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ

ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[الجمعة:٩-١٠] .

وحركة الحياة في هذه الدنيا تقوم على أمرين :

إنتاج أشياء من نبات أو حيوان أو سلعة .

واستهلاك أشياء .

والبيع والشراء واسطة بينهما ، فالحمد لله الذي أحل البيع ، وحرم الربا ليستفيد المسلمون بعضهم من بعض .

يجب أن يعلم الإنسان أن الذي قال في الأمر الكوني كن فكان، هو الذي قال في الأمر الشرعي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة:٢١] .

فالله عز وجل هو الذي قال في الأوامر الكونية : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾[البقرة:١١٧] .

لهذا يجب أن تعلم أن من أمر بالأمر الكوني ، ونفذ أمره في ملكه، يجب علينا أن ننفذ أمره الشرعي : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم:٦٥]

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ ﴾[الحديد:٩].

فالله وحده له الأوامر الكونية ، وله الأوامر الشرعية، فالذي خلقنا ورزقنا هو الذي يستحق العبادة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

الغنى : ما يغنيك عن ما في أيدي الناس ، وغنى الله مطلق، لا أول له ولا أخر، ولا بداية له ولا نهاية، وغنى المخلوق مقيدٌ، ومحصورًا، ومحدودٌ، وموهوبٌ، ومكسوب، وكل غنى سوى غنى الله فهو فقر، لأن الغنى إذا أنفق من ماله صار فقيرًا إلى ما فقد ، أما الغنى المطلق فهو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[ص:٥٤] .

والغنا اللحن المستطاب الذي يغنيك عن لحن غيره ، والغنى المكان والحال الذي تميز عن ما سواه .

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن من سواك .

الإنسان سيد، وخليفة في الأرض، وكل ما في السموات، والأرض خادم له : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

فالإنسان سيد، وكل ما في السموات والأرض خادم له : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وعمر الخادم في الدنيا أطول من عمر الإنسان ، فعمر السموات والأرض أطول من عمر الإنسان لماذا ؟ لأن عمر الإنسان ليس في الدنيا، بل في دار الخلود حسب عمله يخلد إما في النعيم أو العذاب الأبدي: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

التكليف : أن تكلف بشيء أنت قادر على ضده ، كأن تكلف بالقيام، وأنت قادر على الجلوس ، والدين أمانة ، والأمانة أن تؤتمن على شيء أنت قادر على أدائه أو منعه ، وإن شئت أقررت بهذه الأمانة أو أنكرتها .

والأمانة إنما يتحملها من له قدره على الاختيار وهم الجن والإنس: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

الاستقامة : أمر عظيم ، وهي أن تقوم بأوامر الله كما أمر : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

وقوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

ولكن من رحمة الله أن خفف عنا ذلك بقوله : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقوله عز وجل : ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾[البقرة:٢٣٣] .

فالاستقامة أن تفعل الأوامر ، وتتجنب النواهي ، تفعل ما تستطيع من الأوامر ، وتتجنب المنهيات مطلقًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧] .

العبادة : طاعة المعبود جل جلاله فيما أمر ، فهي كل حركة في الحياة قوليه أو فعلية تتطلبها الحياة لإصلاح الفاسد ، وإبقاء الصالح على صلاحه ، وترقية الصالح، في الصلاح ليكون صالحًا مصلحًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧] .

الإسلام بني على خمسه أركان ، وهذه الأركان غير الإسلام ، والأركان الخمسة لاستدامة الولاء لله في جميع أمور الحياة، ليكون العبد عبدًا لله داخل العبادات الكبار، وخارجها، داخل عبادة الصلاة ، وداخل عبادة الزكاة ، وداخل عبادة الصوم ، وداخل عبادة الحج، ليكون الإنسان عبدًا لله في العبادة بينه وبين ربه ، وفى العبادات التي بينه وبين خلقه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله عز وجل:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥] .

- **الإيمان ثلاث درجات :**

١-الإيمان المطلوب .

٢- والإيمان الموجود .

٣- والإيمان المفقود .

فنجتهد على الإيمان الموجود بتحصيل الإيمان المفقود، لنصل إلى الإيمان المطلوب الذي يحصل به الفوز والفلاح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن

يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء:١٣٦] .

وكمال الإيمان أن تكمل فى ذاتك فتكون مؤمنًا، ثم تكمل غيرك بالدعوة إلى الله، ليكون غيرك مؤمنًا مثلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر: ١ – ٣] .

ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه كما قال النبي ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » . متفق عليه[1] .

ويكون ذلك بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والنصيحة، وحب الخير للغير : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

الله ﷻ هو الموجد الأول للإنسان ، ووالداه هما الموجد الثاني للإنسان بأمر الله، ولهذا أمر الله العبد بعبادته وحده لا شريك له، ثم أتبع ذلك مباشرة بالإحسان إلى والديه كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء:٢٣ -٢٤] .

الواعظ : هو الذي يذكرني بما أعلم مخافة أن أنساه ، والقرآن أعظم واعظ : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤).

والمعلم : هو الذي يعلمني ما أجهل من المسائل: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩]

المجرم لا يعزل في السجن ، ولكن يعزل عنه المجتمع العام ، والمجمع الخاص، فلا يقرب زوجنه ليتوب إلى ربه ، ويستغفر الله ﷻ من ذنبه كما عزل رسول الله ﷺ الثلاثة الذين خلفوا، فمنع الناس من كلامهم ، ومنعهم من جماع زوجاتهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[التوبة:١١٨] .

- **المصيبة قسمان :**

الأول : المصيبة إن لم يكن لك فيها غريم.

كمن أصابه مرض أو وقع وانكسر، فهذه المصيبة ترفع الدرجات ، وتكفر السيئات : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

ويقول النبي ﷺ : « مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ »متفق عليه[1] .

والثانية : إذا كان لك فيها غريم.

كمن جرحك أو ضربك أو سرق مالك، فهذه المصيبة تحتاج إلى صبر، لأنك كلما رأيت غريمك هاجت النفس للانتقام فلابد من الصبر القوي :﴿

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦١٤) .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

وقال الله عز وجل للنبي محمد ﷺ : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠] .

فإن كان العفو أفضل فأعف عن هذا الغريم ، ولك اجر عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤]

وإن كان بعد ذلك الإحسان إليه فهو أفضل : ﴿ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[المائدة:٩٣] .

وإن كان القصاص أفضل فالقصاص أفضل قطعًا لدابر الفساد :﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال في القصاص:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة:١٧٩] .

فالمصيبة أرسلت أليك لتصيبك بقدر الله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١] .

وهذه المصيبة الله عز وجل يعلم أن لك منزلة في الجنة لن تصل إليها إلا بصبرك على هذه المصيبة ، ولهذا الله يحب الصابرين ، والله مع الصابرين، والصابر يأخذ أجره بغير حساب:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

والله يحب الشاكرين على النعماء .

والموت سهم أرسل إليك، وعمرك بقدر وصوله إليك : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة: ٨] .

العزم :

هو شحن جميع طاقات البدن للفعل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

المصعر :

من صعر خده للناس تكبرًا بلا مبرر ، والصعر داء يصيب البعير في رقبته فلا يستطيع الالتفات، فتصعير الخد من الإنسان مرضٌ سببه الكبر فهذا داء خلقي، وذاك داء جسدي ، ولا يصعر خده إلا من رأى فيه ميزة عن الآخرين ، وهذا إذا رأى من فوقه انعدل الصعر :﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان:١٨] .

٢- الفصل الثاني

من عاب النقش فقد عاب النقاش، ومن عاب الصنعة فقد عاب الصانع، فاتقوا الله أن تعيبوا ما خلق الله من جماد أو نبات أو حيوان أو إنسان أو غير ذلك من مخلوقات الله، فالله خلق وأحسن الخلق، وصور فأحسن الصور: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النمل: ٨٨] وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحجرات:١١] .

مجموع كل إنسان من عطاء الربوبية يساوي مجموع غيره من عطاء الربوبية. فالله عز وجل خلق الخلق، وساوى بينهم في عطاء الربوبية، فهذا قوي، وهذا ضعيف، لكنه قوي البصر ، وهذا غني، وهذا فقير ، ولكل واحد من النعم ما أعطاه الله عز وجل لغيره من جهات أخرى ، فالناس في عطاء الله سواء ، إنما التفاضل بينهم في الإيمان والتقوى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات:١٣] .

عظمة الله جل جلاله،الله هو العلي الكبير الذي حارت العقول في معرفة مبادئ أنوار كبريائه، وحارت الأفكار في معرفة أسرار عزته، وتاهت الأنظار عن إدراك عظمته ، وشهدت ذوات المخلوقات على كمال قدرته وإلوهيته ، ودلت ذرات المخلوقات على سعة علمه، وعظمة جلاله وجماله، وسعة رحمته ، وخضعت جميع الكائنات لعز ربوبيته، وأذعنت لجلال مهابته :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ

ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ -٢٤] .

سبح اسم ربك الأعلى معناه نزه اسم الله واسم الرب أن تجعله اسمًا لغيره، أو تجعل له شريكًا فيه، أو مثيلًا له من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] .

ومجده بأسمائه الحسنى التي سمى نفسه بها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وقال الله عز وجل:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ١-٣] .

ثانيًا : سبح ذات الله عز وجل ومجد ذكره، فانه سبحانه هو العلي العظيم، وهو أعظم واجل من أن يقدر أحدٌ ربه حق قدره : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥] .

- **أسماء الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :**

ذاتيــة .. وفعلية .

أولًا : الأسماء الذاتية كالحي، القادر، العليم، السميع، البصير ونحوها من الأسماء الذاتية التي لا تنفك عنه أبداً: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

ثانيًا : الأسماء الفعلية كالخالق الرازق التواب الغفار .

فهذه إن شاء الله خلق ، وان شاء رزق ، وإن شاء تاب على من شاء، وإن شاء غفر ذنوب من شاء .

واسم الله علم على الذات، وكل ما سواه من الأسماء صفةٌ له، واسم له ، هو سبحانه الحي الملك العزيز، ومن عباده الحي والملك والعزيز، أما الله فلا يسمى به إلا الله وحده لا شريك له:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]

ذكر الله أعظم الأعمال :

من ذكر الله قائمًا وقاعدًا وعلى جنب ، كُتب من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

والذكر ثمرة التفكر ، فمن تفكر في عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة دينه وشرعه ، أكثر من ذكره . ومن ذكر الله بكرةً وأصيلا ، كُتب من الذاكرين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

ومن قال : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، كُتب من الذاكرين ، فالذكر أوسع العبادات ، وأسهل الأعمال ، وأكبر الأعمال ، وهو مشروع في كل وقت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[المزمل:٨-٩] .

كل عملٍ يأخذ من الزمن بقدر قوة فاعله ، فالقوي من البشر ينجز من العمل في ساعة ما ينجزه الضعيف في يوم، هذا في قدرة البشر ، أما أفعال الله فلا زمن ، لأنه سبحانه هو الذي خلق الزمان والمكان ولا يحتاج في أفعاله إلى معالجة ، إنما يقول للشيء كن فيكون : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾[البقرة:١١٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر:٤٩- ٥٠] .

فسبح بحمد ربك العظيم، ونزهه عن مماثلة غيره .

والله سبحانه سبح نفسه قبل أن يسبحه أحد، كما قال سبحانه: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الصافات:١٨٠] . والله سبحانه حمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين له ، والله جل جلاله خالقٌ قبل أن يوجِد من خلق ، وهو المصور قبل أن يوجد من صور ، وكبير قبل أن يوجد من يكبِّره ، ونزه نفسه، وسبح نفسه، قبل أن يسبح أحدٌ بحمده : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

- **صفات الداعي إلى الله**
- **يشترط في الداعي إلى الله ثلاثة شروط :**

أولًا : أن يكون عمله خالصًا لله ﷻ لا يطلب عليه أجرًا أبدًا إلا من الله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴾[هود:٢٩] .

ثانيًا : أن يكون على علمٍ بما يدعو إليه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ثالثًا : أن يكون حليمًا ، يضع الشيء في موضعه ووقته، بالقدر المناسب : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] .

الناس يزيلون الظُلمة على قدر إمكانياتهم في الإنارة، بشمعة أو سراج أو كهرباء ، فإذا طلعت شمس الله أزالت كل ظلمة ، فهذا في النور الحسي في الأشياء ، فكيف بنور الإيمان كم يكون في قلب المؤمن ؟ ! .

قال الله عز وجل:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

وكيف بنور الله الذي أضاء كل شيء، وأنار كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور:٣٥] .

في يوم عاشوراء يرقص اليهود ويفرحون ، ويبكي الرافضة ويلطمون ، ويصوم المسلمون ويستغفرون . فالحمد لله على نعمة الإسلام : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

زينة الأرض ما على ظهرها من النبات والأشجار، والأزهار والثمار والمياه والبحار، والعيون والطير، والحيوان، والذهب والفضة، والمعادن ، وغيرها من مخلوقات الله عز وجل، جعلها الله ابتلاءً للخلق، ليعلم أيهم أطوع لله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف: ٧] .

الله عز وجل ابتلى البشر بالشهوات الحيوانية ، وبالأوامر الشرعية ، وبالمصائب القدرية : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٣-٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء:٣٥] .

الله ﷻ هو الولي ، وللولي معنيان :

الأول : الولي، من توالت طاعاته لربه من غير تخلل معصية .

الثاني : الولي، هو من تولى الحق سبحانه حفظه وحراسته من أنواع المعاصي ، وأدام توفيقه للطاعات .

فالولي هو القريب ، فإذا كان العبد قريبًا من الله بسبب كثرة طاعاته، وصدق إخلاصه ، كان الرب قريبًا منه برحمته وفضله وإحسانه : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[الأعراف:١٩٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

فالرب جل جلاله ولي العبد : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج: ٧٨].

والعبد ولي الرب: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس: ٦٢ – ٦٣] .

والرب جل جلاله حبيب العبد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة:٥٤].

والعبد حبيب الرب : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

وقال الله عز وجل:﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٤] .

وقال الله عز وجل:﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[آل عمران:١٤٦] .

فزينة الأرض ما على ظهرها من أنواع الزينة التي خلقها الله عز وجل : ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

أما زينة العبد فهي الإيمان والتقوى ، الإيمان في القلب، والتقوى في القلب وفي الجوارح: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الحجرات:٧] .

العلم يدخل باب كل موَفَّق من غير استئذان: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد:١٩] .

ويردُّه المحروم من خذلانه ، ويتجاوز المستكبر للمتواضع فيشرف به : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

اختر أحسن الأصدقاء دينًا وعلمًا، وخُلُقًا وأدبًا ، فإنك على عينٍ فوارة تشرب منها في كل وقت ، وهذا الجنس من الناس يمثلون الصف الأول في الصلاة على جنازتك ، ويشفعون لك عند ربك ، ويهدونك إلى سواء السبيل في حياتك: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

دفن الميت عبرة ، لكن القبر الفارغ أكثر عبرة ، مرض المؤمن وبلاؤه يجعله الله كفارةً له، ورفعةً في درجاته ، وتذكيرًا له بالتوبة من الذنوب: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١] .

وأما مرض الفاجر فهو إنذار له يذكره بربه، لعله يتوب إليه: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[المؤمنون:٧٦] .

عندما تتعرى الأشجار من الأوراق، تموت، ثم تكون حطبًا للنار في الدنيا ، وكذلك الإنسان عندما يتعرى من الدين، يكون بعد الموت حطبًا لنار جهنم يوم القيامة ، وكذلك النساء إذا تعرت أمام الناس يكون لها حظٌّ من نار جهنم .

وفي الشتاء تختفي مظاهر تعري النساء خوفًا من البرد المؤقت ، فيجب أن تختفي أبدًا خوفًا من عذاب الله الخالد يوم القيامة : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾[الأحزاب:٣٢-٣٣] .

كل ما سوى الله يحتاج إلى الله في خروجه من العدم إلى الوجود ، ومحتاجٌ إلى الله في خروجه من الوجود إلى العدم ، ومحتاجٌ إلى الله في خروجه من القبر إلى سكنه في الجنة أو النار يوم القيامة﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

٣- الفصل الثالث

الحكمة :

هي معرفة الحق لذاته ، ومعرفة الخير لأجل العمل به ، فمعرفة الحق سبحانه هي التوحيد ، ومعرفة الخير، معرفة التكاليف: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ – ٧٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

الله ﷻ أردف عبادته بالإحسان إلى الوالدين ، لأن نعمة الله على العبد أعظم النعم ، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره ، ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين أعظم النعم ، لأنها الأصل في وجود الولد، كما أنهما منعمان عليه بالتربية ، فوجب تقديم شكرهما على شكر غيرهما ، لأن غيرهما قد يُنعم بالتربية فقط ، فإنعام الوالدين أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾[الإسراء:٢٣] .

نادى الله موسى فقال له ربه :

ارفع هذا الحجر، فإن لي فيه قُدْرة ، ولك فيه معجزة ، فحمله موسى في مخلاته ، فإذا ضربه بعصاه انفجر بالماء فشربوا ، وإذا رووا ضربه فيَبُس، فلا إله إلا الله، ما أعظم قدرته .

- **وفي الحجر خمس معجزات :**

١- خروج الماء الكثير من الحجر معجزة .

٢- وقوف الماء إذا فرغوا ورووا معجزة .

٣- كمية الماء الخارج من الحجر الصغير .

٤- نوعية الماء ، لكل سبطٍ ماءٌ له رائحة خاصة .

٥- خروج الماء بقدر الحاجة .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[البقرة:٦٠] .

- **التفكر في خلق الله:**

التفكر في عظمة خلق السماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، من المخلوقات من أعظم العبادات : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

فكم هي عظمة خلق السماوات والأرض ، وكم هي الأفلاك العظيمة، والمجرات الكبيرة ، والكواكب والنجوم ، والشمس والقمر ، وغيرها من مخلوقات الله مما بين السماء والأرض﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق : ٦-٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

النفس واحدة ، لكنها تكبر بالإيمان ، بالعلم ، بالعمل الصالح ، بالأخلاق الحسنة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى : ١٤-١٥] .

المؤمن الحق إذا تيسرت له الدنيا جعلها في يده ، لا في قلبه ، يستعملها استعمال الفراش الذي يجلس عليه ، والمركوب الذي يركب عليه ، يستخدمها ولا يخدمها : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر: ٥] .

عبادة الله تُكسب الإنسان سكينةً وطمأنينة ، والعبادة شكر المعطي جل جلاله على عطائه وإنعامه وإحسانه ، فهي ينبوع السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩]

والعبادة أنواعٌ كثيرة ، فإذا وجدت فراغًا فاستثمره وأقبل على ربك ، وانصب نفسك له بالعبادة : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح:٧-٨] .

أول واجبٍ على المكلف هو العلم ، ولهذا أول ما أُنزل على النبي ﷺ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

وأول العلم الواجب هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم العلم بدينه وشرعه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفقٌ عليه[1] .

وقال ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[2] .

والمؤمن حقًا من صرف أوقاته وأقواله وأفعاله في معالي الأمور في العلم والعمل ، والتعليم والدعوة ، والذكر والدعاء ، والإحسان إلى الخلق ، وأنواع العبادات، وضروب الإحسان، والنصح للمسلمين ، والتعاون على البر والتقوى، ومصالح الدين والدنيا : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

عدو الحق موجود ، عرفته أو لم تعرفه ، فدعاة الحق أعداؤهم أهل الباطل من شياطين الإنس والجن ، والقرآن جاء بمصانعة العدو من الناس بالتي هي أحسن ، والإعراض عنه ، ودفع السيئة بالحسنة ، حتى يكون العدو وليًا حميمًا : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٤-٣٥] .

هذا بالنسبة للعدو الإنسي ، أما العدو الإبليسي ، فمصانعته تكون بالاستعاذة بالله من شره : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٠] .

فمن لم يستطع أن يتخذ عدوه صديقًا ، فلا يتخذه عدوًا ، ومن لم يستفد من خيره، فليحاول السلامة من شره: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٤-٣٥] .

الله جل جلاله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يغيب عنه شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١].

فسبحان ربنا العظيم ، الذي أبصر بشحم ، وأسمع بعظم ، وأنطق بلحم : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧] .

من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[الإسراء:٣٦] .

الكبر : بطر الحق، وغمط الناس ، بطر الحق هو جحده وإنكاره .

وغمط الناس : ازدراؤهم واحتقارهم .

والكبرياء لله وحده، ولا حظ للبشر في ذلك لنقصهم:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ ﴾[الرعد:٩] .

٤ - الفصل الرابع

- **في كل إنسان خُلتان إحداهما شرٌ من الأخرى :**

الأولى : غفلته عن عيوب نفسه، لأنه مشغول بالآخرين .

والثانية : كثرة النقد للآخرين، مما يولد لديه الاحتقار لهم، فاحذر ذلك كله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾[الحجرات:١١-١٢] .

اختلاف الليل والنهار آيةٌ من آيات الله : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ ﴾[النور:٤٤] .

واختلاف الليل والنهار يكون في الذهاب والمجيء ، والطول والقصر ، والنور والظلمة ، والزيادة والنقصان ، والحرارة والبرودة : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

المؤمن حقًا ، من يأخذ الخير من المسجد، ويذهب به إلى أهله في البيت، وإلى الناس في السوق ، فالداعي الى الله الأرض دكانه ، والناس زبائنه ، وسنن الدين سلعته : ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران:٧٩] .

أما الغافل فيأخذ الدنيا من البيت والسوق ، ويدخل بها إلى المسجد ، فهو حاضرٌ بين يدي ربه ببدنه ، غافلٌ عن ربه بقلبه : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾ [الماعون:٤-٧] .

الطريق هو الذي يُطرق بالأقدام ، والسبيل هو الماء الذي ينزل من السماء ، والدعوة هي سبيل المؤمن التي تحيا بها القلوب والأبدان كما تحيا الأرض بالماء بعد موتها : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

قبل البعثة النبوية كانت البشرية تعيش في همجية ، وبعد البعثة أخرج الله البشرية من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾[الجمعة: ٢]

- **وهمجية البشرية تتكون من أربعة أشياء :**

١- حمية الجاهلية .

٢- وظن الجاهلية .

٣- وحكم الجاهلية .

٤- وتبرج الجاهلية .

وكل هذه الجاهليات مذكورة في القرآن .

فهذه همجية الجاهلية الأربعة: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾[المائدة:٤٩-٥٠] .

والله عز وجل هو الكريم الذي جاء بالإسلام، ليخرج الناس من هذه الجاهليات إلى نور الحق ، والجاهلية موجودة في العالم إلى قيام الساعة ، فلا بد من دعوة الخلق، ليخرجوا من ظلمات الجاهلية إلى حقيقة الإيمان : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل: ١٢٥] .

ونور الإسلام نقل أهل الجاهلية من ظلمة الشرك إلى نور التوحيد ، ومن كلمة الكفر إلى نور الإيمان،ومن الجهل إلى العلم، ومن الباطل إلى الحق، ومن الفرقة إلى الوحدة ، ومن الظلم والطغيان إلى العدل والإحسان فلله الحمد والفضل والإحسان: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

الدين أمانة ، والحياة أمانة ، والوقت أمانة ، وجوارح الإنسان أمانة في يده ، فمن استعمل هذه الأمانات في طاعة الله أفلح وسعد في الدنيا والآخرة ، ومن استعملها في معصية الله شقي وخسر في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣ ﴾[الأحزاب:٧٢ – ٧٣] .

فمن أدى الأمانة فليبشر بالسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

ومن ضيعها فسوف يسأل عنها يوم القيامة، وينال جزاء ما فرط فيه من أداء الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

فأنت في الدنيا عبدٌ مأمورٌ بلا إله إلا الله، تؤدي هذه الأمانة، وفي الآخرة أنت ملكٌ بلا إله إلا الله: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإنسان:٢٠-٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وجوارح الإنسان كلها أمانات ، وهي مصرفٌ للطاعة، ومصرفٌ للمعصية ، فالإنسان يرى بشحمه ، فإذا أحييت أمر الله في هذه الشحمة في الدنيا رأيت الحق حقًا وفعلته ، ورأيت الباطل باطلًا وتركته ، ونظرت يوم القيامة إلى وجه ربك وجلاله وجماله : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢ -٢٣] .

ومن عطل أمر الله في هذه الشحمة فسيحشر أعمى يوم القيامة .

ففي الدنيا يتعذب مع المعذبين : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وفي الأخرة يحشر أعمى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾[الإسراء:٧٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فالعين للمعرفة : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾[الغاشية:١٧-٢٠] .

فإذا عميت عن الحق في الدنيا، عميت يوم القيامة فلا تبصر أبدًا : ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ﴾[الإسراء:٩٧] .

ومن أحيا أمر الله في بصره، شرح الله صدره، وأطلق بصيرته ، ومن غفل عن أمر الله ، وعطل أمر الله في بصره، أعمى الله بصيرته في الدنيا والأخرة: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾[الإسراء:٧٢] .

وإذا أحييت أمر الله في سمعك ، أسمعك الله يوم القيامة ما يسرك ، من سماع كلام الرب عز وجل : ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾ [يس: ٥٨] .

وسلام ملائكته : ﴿ ٢٢ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾[الرعد: ٢٣-٢٤] .

وغناء الحور العين : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس:٢٦] .

وإذا أحييت أمر الله في لسانك ألهمك الله يوم القيامة ذكره وتسبيحه وحمده : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس:١٠] .

فعبودية اللسان أن تتكلم مع الله، أو تتكلم عن الله ، الكلام مع الله هو العبادة ، والكلام عن الله هو الدعوة ، الكلام مع الله بتسبيحه وحمده وسؤاله واستغفاره وذكره ودعائه ، والكلام عنه يكون بالدعوة إلى الله بين الخلق : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وإذا استعملت عقلك فيما يحبه الله ويرضاه، أرضاك الله يوم القيامة بما لا يخطر على بالك : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .

فالسمع أمانة ، والبصر أمانة ، والفؤاد أمانة ، واللسان أمانة ، والتفكر أمانة ، والأيدي أمانة ، والأقدام أمانة ، فهذه أعظم النعم ، فمن استعملها في طاعة الله سلِم في الدنيا من الشقاء ، وسلم في الآخرة من العذاب في النار ، وفاز بالجنة والرضوان﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] .

وقال سبحانه:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

ومن استعملها في معصية الله شقي في الدنيا، وشقي في الآخرة: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

هذه وسائل المعرفة ، ووسائل الشكر لله عز وجل ، فلا تجعل وسائل الشكر للكفر : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[إبراهيم:٢٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

فمن أطاع الله بهذه الحواس والجوارح فهو شاكرٌ لنعمة الله عز وجل ، ومن عصى الله بها فقد عطل هذه الجوارح عن وظيفتها .

وهذا الجسد الآن ملك الإنسان ، ويوم القيامة يخرج من ملك الإنسان إلى ملك الرحمن ، فتنطق جوارحه بما عمل في الدنيا من خير أو شر: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[فصلت:٢١] .

المقصود من أمر الناس بأنواع البر والإحسان إما النصيحة لهم، أو الشفقة عليهم ، فلا يليق بالمؤمن الذي أنعم الله عليه بنعمة الإسلام أن ينصح غيره أو يشفق على غيره، ويهمل نفسه : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة:٤٤] .

والمقصود من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إرشاد الناس إلى ما فيه مصلحة في الدنيا والآخرة ، وتحذيرهم مما فيه مفسدة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فمن دل على الفلاح ، أكرمه الله بالفلاح ، والفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرغوب ، الفوز بالجنة، والنجاة من النار .

الإحسان إلى النفس مقدمٌ على الإحسان إلى الغير ، فلا يليق بالعاقل أن يعظ الناس ولا يتعظ ، ويأمرهم بالخير ولا يأتمر ، ومن وعظ ولم يتعظ صار وعظه سببًا لرغبة الناس في المعصية ، ومن أثر وعظه في القلوب، ثم خالف ما وعظ به ، نفر القلوب عن القبول ، ومقته الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف:٢-٣] .

والمكلف مأمورٌ بشيئين :

الأول : فعل الطاعة، وترك المعصية .

والثاني : أمر الغير بفعل الطاعة، وترك المعصية .

والإخلال بأحد التكليفين لا يقتضي الإخلال بالآخر .

قال النبي ﷺ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ: « للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ». أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥).

ومن وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] .

الله عز وجل هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، فالله جل جلاله هو المستحق للعبادة لذاته وجلاله وجماله وإحسانه ، فالمؤمن يعبد ربه، لأنه يرى نعمه الحاضرة ، ويؤمل بنعمه المستقبلة ، ويخاف من عقوبة ربه في المستقبل، فيسارع إلى طاعة الله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

فأيها الإنسان ، إن لم تطع ربك لأجل سوالف نعمه عليك الآن ، فأطعه خوفًا من عقابه في المستقبل : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢١-٢٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤] .

ومن عرف ربه حقاً عبده حقاً:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

فالنعم من الله عز وجل لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[البقرة:٤٧] .

أما العقوبة فكما قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[البقرة:٤٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفرقان:١٩] .

إذا صح الافتقار إلى الله، صح الغنى بالله، فهما حالان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى ، فكن مفتقرًا إلى الله في كل شيء ، تكن غنيًا بالله في كل شيء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

اللهم أغننا بك عمن سواك، وأغننا بحلالك عن حرام، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك .

٥- الفصل الخامس

التقوى :

عبارةٌ عن اتقاء الله، واتقاء الكفر، واتقاء الشرك ، واتقاء المعاصي ، واتقاء اليوم الآخر ، واتقاء عذاب جهنم .

والتقوى الشاملة الكاملة: ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[البقرة:٢٨١].

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[آل عمران:١٣١] .

- **الصبر أنواع:**

الصبر على طاعة الله .

والصبر عن معاصي الله .

والصبر على الأقدار المؤلمة .

والصبر في الله، والصبر لله، والصبر بالله، والصبر عن الله، والصبر على أوامر الله ، وأشدها الصبر عن الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم:٦٠] .

وأشد أنواع الصبر هو الصبر عن الله تعالى ، فمن يصبر عن ربه ، ومن يستغني عنه !

قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف: ٢٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾[يوسف:٩٠] .

الصدق ثلاثة أنواع :

الأول : صدقٌ في النية ، وهو إمضاء العزم حتى يبلغ الفعل منتهاه ابتغاء وجه الله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥] .

الثاني : صدقٌ في القول ، وهو مجانبة الكذب ، فالصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة .

الثالث : صدقٌ في الفعل ، وهو الإتيان بالفعل على وجه الكمال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[التوبة:١١٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ ﴾[الإسراء:٨٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[الحجرات:١٥] .

الدين هو الجزاء ، والطاعة والعبادة تسمى دينًا ، لأنها سبب الجزاء : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾[النساء:١٢٥] .

على قدر الجهد للدين بالعبادة، والدعوة، والتعليم للخلق، والإحسان إليهم يأتي نور الهداية في القلب، وعلى قدر الهداية يكون صدق العمل ، وحسن العمل ، وقبول العمل ، وثواب العمل ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله سبحانه: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢ ﴾[الفرقان:٥٢] .

على بساط التواضع تنبت أعمال العبودية ، وتثمر الأعمال الرضية والأخلاق الزكية ، والدرجات العلية : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

إذا نقص جهد الدعوة نقص الإيمان في القلوب ، ثم نقصت الأعمال الصالحة، وازدادت الأعمال السيئة ، ثم فسدت الأحوال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام:٤٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١]

لو زاد شكل الجهد للدين، مع التضحيات، يزيد الأفراد، وتزيد الصفات : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[آل عمران:١٦-١٧] .

فإذا زاد جهد الدعوة مع التضحية بالمال والوقت والنفس والصبر على كل ذلك ، يزيد الأفراد الداخلون في الإسلام، والداخلون في الهداية، وتزيد صفاتهم ، فصفات أهل الإيمان، وصفات أهل التقوى، على الأبدان، أجمل من الأزهار والثمار على الأشجار : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّ۟كِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّ۟كِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وإذا زاد شكل الجهد، بدون التضحيات يزيد الأفراد، وتنقص الصفات ، والمطلوب بذل الجهد لإعلاء كلمة الله ، وبذل المحبوب الأدنى من أجل المحبوب الأعلى ، والتضحية بشهوات النفس من أجل إحقاق الحق، وإبطال الباطل ، وإعلاء كلمة الله : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[الحج: ٧٨].

وقال الله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت: ٦٩] .

من زاد في قلبه نور الهداية سهلت عليه الأمور ، وانشرح صدره ، واطمأن قلبه ، وأحب الطاعات ، وأبغض المعاصي : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ - ٤].

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

ومن نقص في قلبه نور الهداية ، ضعف إيمانه ، فثقلت عليه الأوامر ، وأحب المعاصي، وثقلت عليه الطاعات ، وتعذب وشقي في دنياه وأخراه : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر: ١ - ٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٤-١٢٦] .

الله ﷻ عدلٌ لا يظلم أحدًا مثقال ذرة ، بل يضاعف الحسنات، ويعفو عن السيئات ، والظلم أن ينقص من ثواب الطاعات، أو يزيد على عقاب السيئات ، وذلك الله عز وجل منزهٌ عنه ، وهو منفيٌ عنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء:٤٠] .

فالله منزه عن الظلم كله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[يونس:٤٤] .

٦- الفصل السادس

لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار.

فآخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد أن بنى المسجد الذي يجمعهم، وذلك في دار أنس بن مالك رضي الله عنه، وكانوا تسعين رجلًا ، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار .

آخى بينهم على المواساة في الدنيا، والتوارث بعد الموت دون ذوي الأرحام ، فلما كان بعد وقعة بدر نزل قوله سبحانه : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنفال: ٧٥]

رد ﷺ التوارث إلى عقد الرحم، دون عقد الأخوة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنفال: ٧٢ - ٧٥]

فالدين يقوم على الهجرة والنصرة ، فهاجر النبي ﷺ ومن معه من المهاجرين من مكة إلى المدينة ، فالمهاجرون هاجروا ، والأنصار نصروا ، فالتقت الهجرة والنصرة ، فجاء الرضوان من الرب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

من كتب بقلمه ، فعليه أن يضبط الأصول ، ويحكم الفصول ، ويتبع الدليل بالدليل، ويقرن الحجة بالحجة، ويقول الرأي عن اقتناعٍ لا عن تقليدٍ ، وعن فهمٍ لا عن تسليم ، وبذلك يثبت أجره، وينفع علمه ، فإن صادف المرء الصواب ، فذاك من فضل الله وعطائه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٧٠].

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ -٧٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وإن زل عن الصواب ، فذاك من جهله وقصوره ، وحسبه أنه اجتهد ، فله أجر الاجتهاد لا أجر الصواب.

كما قال النبي ﷺ: « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ ، فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ ».أخرجه البخاري[1] .

والمركب صعب ، غير ذلول ، والإنسان موضع الضعف والقصور ، وعلى الله قصد السبيل ، فهو حسبنا ونعم الوكيل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٧٢٥٣) .

وأفضل العبادات طلب العلم، وتعليمه ، ونفع الناس به ، فإن العلم الإلهي يورث الخشية لله، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفقٌ عليه[1] .

ومن رام المعالي فلن يذوق النوم إلا نادراً، ويطعم الصبر في كل حين ، ويكتحل بالسهاد ، فيجري في هذا المضمار صدر العمر ، وبذلك يرتقي هذا النجد ، ويبلغ هذا المجد : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣] .

الحمد ثناءٌ على الله بأوصافه ، والشكر ثناءٌ على الله بأفضاله وإنعامه : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الجاثية: ٣٦] .

وقال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة:١٧٢] .

ساحة الغيب يستوي في الوقوف دونها العلماء والجهلاء ، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام:٥٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٧١)، ومسلم برقم: (١٠٣٧) .

فعالم الغيب لا يعلمه إلا الله، ومن شاء من عباده : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

الساعة هي : القيامة ، سميت بذلك لكونها متوقعةٌ كل ساعة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾[النازعات:٤٢ - ٤٤] .

فلا يعلم وقت وقوع الساعة وقيامها إلا الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان:٣٤] .

مات أبو طالب قبل الهجرة بقليل، وعمر النبي ﷺ تسعةٌ وأربعون عامًا .

وماتت خديجة رضي الله عنها أم المؤمنين بعده بثلاثة أيام، فسمي ذلك العام عام الحزن ؛ لأن النبي ﷺ فقد الحماية الخارجية بموت أبي طالب الذي كان يدافع عنه أمام قومه ، وفقد الحماية والنصرة الداخلية، والمؤازرة، والمؤاساة بموت خديجة ، ففقد الحماية والنصرة، والمؤازرة والمؤاساة، داخل البيت، وخارج البيت ليكون تعلقه بالله ﷻ وحده .

ثم بعد ذلك ذهب إلى الطائف، ودعا أهل الطائف إلى الله فردوه، فأعطاه الله ﷻ الإسراء والمعراج؛ ليعلم الخلق، وليعلم هو، أن أهل الأرض لو خذلوه وخالفوه، فإن الله ناصره: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

الشيطان يأتي إلى أهل الطاعة، لينقلهم إلى أبواب المعصية ، أما أهل المعصية فقد شاركوه في المعصية ، فهم جنوده وضحاياه في كل مكان ، وفي كل زمان ، كما قال سبحانه عن الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ ﴾[الأعراف:١٦ -١٨] .

سبحان الله الحليم الكريم ، المخلوقات التي خلقها الله لخدمة الإنسان، ليستعين بها على طاعة ربه تطيعه ، وإن كان عاصيًا ؛ لأنها تطيع ربها أولًا وإن كان الإنسان عاصيًا لربه :﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾[الجاثية:١٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾[لقمان:٢٠] .

فسبحان الحليم الكريم الذي يمهل ولا يهمل لعل العبد يتوب إلى ربه .

والبيان يحدد ، والإبهام يعدد : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ ﴾[الرحمن:٢٩] .

معناه كل لحظة يبدأ يوم ، وينتهي يوم، في أنحاء الأرض : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾[آل عمران:١٩٠] .

واختلاف الليل والنهار متعدد في الذهاب والمجيء، والطول والقصر ، والنور والظلمة، والحرارة والبرودة ، والزيادة والنقصان .

وهكذا في آيات كتاب ربنا العظيم، البيان يحدد ، والإبهام يعدد : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾[البقرة:١٩٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[النساء:٧٧] .
وقال الله تعالى عن فرعون:﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾[النازعات:٢٥] .
هو أن الله عاقب فرعون على كلمته الآخرة : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] .
وكلمته الأولى ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[القصص:٣٨] .
وكان بينهما أربعون سن ، فأمهله الله ولم يهمله ، فلما لم يتب، ولم يؤمن بما جاء به موسى ﷺ أخذه الله وجنوده: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الزخرف:٥٥] .
أو ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] .
هي : أن عذبه في الآخرة ، وأغرقه في الدنيا في البحر .
أو ﴿نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾[النازعات:٢٥] .
أن الآخرة هي قوله : ﴿نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾[النازعات:٢٥] .
والأولى هي تكذيبه لموسى حين أراه الآية : ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النازعات : ٢٠-٢٦] .

٧- الفصل السابع

الإنسان يريد الله ﷻ منه أن يكون في الدنيا خليفة، ويوم القيامة جليسًا إذا كان مؤمنًا . ولكن الإنسان تحمل الأمانة ، وأكثر الخلق خان الأمانة فكفر، والمؤمنون هم الذين أدوا الأمانة .

والإنسان أوله نطفةٌ قذرة ، وآخره جيفةٌ نتنة ، وهو بين الوقتين حمال عذرة، ليعرف نفسه ، وأنه لا قيمة له إلا بالإيمان والتقوى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات:١٣] .

- **الجمال** : يتعلق بالنسب .
- **والحسن** : يتعلق بالأعضاء والجوارح .

وأجمل الناس نسبًا ، وأحسنهم بدنًا ، وأحسنهم خلقًا ، سيد الأولين والآخرين محمدٌ ﷺ ، كأن الشمس تجري في جبينه ، وكأن وجهه قطعة قمر : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤] .

وكان خلقه القرآن يتأدب بآدابه ، ويعمل بأحكامه ، ويتخلق بأخلاقه، فصلوات الله وسلامه عليه .

الجنة : دار السلام التي أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة، أضافها إليه سبحانه تشريفًا لها ، وترغيبًا للناس فيها ، وتعظيمًا لها .

وهي كذلك دار السلامة من الآفات ؛ لأن جميع أنواع السلامة حاصلةٌ فيها ، فالله ﷻ هو السلام ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾[الحشر: ٢٢] .

ودينه كله سلام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

ووعد المؤمنين بدار السلام ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٧] .

فاللهم ارزقنا الإيمان الصادق، والعمل الصالح الذي نصل بسببه بفضل الله إلى الجنة دار السلام والأمان، والنعيم والخلود .

- **الوحي** : إعلامٌ بخفاء .

أما الوحي الشرعي : فهو إعلامٌ من الله لرسله بشرعه إلى خلقه : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾[النساء:١٦٣] .

الكون كله خلقه الله ﷻ في غاية الصلاح : ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النمل: ٨٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف:٥٦] .

وإنما يطرأ على الكون الفساد بسبب تدخل الإنسان فيه بغير منهج الله بالغش، والكذب، والربا، والظلم، والعدوان، والطغيان، واقتراف المحرمات ، كما قال سبحانه : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١]

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأعراف: ٨٥ - ٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف: ٥٥ - ٥٦] .

- **الطغيان** : مجاوزة الحد .

وأعظم الطغاة من الجن : إبليس لعنه الله ، فقد كفر واستكبر عن طاعة الخالق جل جلاله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾[الكهف: ٥٠] .

وأعظم الطغاة من البشر : فرعون ، فإنه طغى على الخالق فكفر به ، وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم، فإن فرعون هو الذي قال من البشر : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات:٢٤] .

وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[القصص:٣٨] .

وصار فرعون إماماً في الكبر، والظلم، والفساد: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص:٤] .

ومع هذا كله فالرحمن الرحيم أمر موسى وهارون بدعوته إلى الله فقال: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣-٤٤] .

وكما أن كمال العبودية بأمرين :

صدق المعاملة مع الخالق بالعبادة

وصدق المعاملة مع الخلق بحسن المعاملة .

فالدين ركنان :

١- عبادة الحق سبحانه .

٢- والإحسان إلى الخلق .

قال الله عز وجل:﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾[النساء:٣٦] .

فكذا كمال الطغيان يكون بأمرين :

سوء المعاملة مع الخالق ، وجحد ربوبيته وإنكاره .

وسوء المعاملة مع الخلق بالظلم والطغيان .

كما قال سبحانه : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه:٤٣-٤٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص: ٤] .

معرفة الله مقدمةٌ على طاعته وعبادته كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة: ٩٨] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه:١٤] .

وخشية الله ﷻ من أعظم المقامات للعبد، لا تكون إلا بعد معرفته : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

والخشية لله ملاك الخيرات ؛ لأن من خشي الله أتى منه كل خير ، وفاز بكل خير : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢] .

إذا مات القلب ذهبت الرحمة، وجاءت القسوة ، وإذا مات العقل ذهبت الحكمة وجاءت السفاهة ، وإذا مات الإنسان ذهبت المهلة، وفقدت الحركة:﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

٨- الفصل الثامن

الله جل جلاله عزيزٌ كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء:٩] .

وكتابه عزيز كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

ورسوله عزيز : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وأمته عزيزة : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٨] .

فسبحان الرب العزيز القاهر الذي لا يوجد مثله أبدًا : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤] .

والرب الذي هذه صفاته يجب أن نعبده وحده لا شريك له: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم:٦٥]

واللهﷻكريم كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل:٤٠] .

وكتابه كريم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨] .

وعرشه كريم كما قال سبحانه : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١١٦] .

وثوابه كريم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾[يس:١١] .

ورسوله إلى رسله من البشر كريم كما قال سبحانه : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[التكوير: ١٩ – ٢٠]

فسبحان الرب الكريم الذي أنزل الكتاب الكريم بواسطة ملكٍ كريم إلى رسولٍ كريم لأجل أمةٍ كريمة ، فإذا تمسكوا به نالوا ثوابًا كريمًا ، ورزقًا كريمًا : ﴿﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

والله ﷻ عظيم، كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[الشورى:٤] .

وعرشه عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة:١٢٩]

وكتابه عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧] .

ووصف خلق رسوله ﷺ بأنه عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وثوابه عظيم، كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

وعقابه عظيم، كما قال سبحانه : ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة:٧] .

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وافعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

التقوى هي : خشية الله جل جلاله .

والتقوى : أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق .

والتقوى : أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

والتقوى : أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله، على نورٍ من الله، تخاف عقاب الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات:١٣] .

وقال الله عز وجل:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله عز وجل:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾[الأحزاب:٧٠] .

إقامة الصلاة هي : أداؤها تامة بأركانها ، وشروطها ووجباتها ، وسننها ، وآدابها في وقتها، والمداومة عليها ، وإخلاصها لله ﷻ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون:١-٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة: ٥] .

الله ﷻ أعطانا الأسماع ، والأبصار ، والعقول، لنتفكر بها ، ونعرف الرب من العبد ، والخالق من المخلوق : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

فوا عجبًا من الشاك في الله، وهو يرى خلقه ، وعجبًا ممن يعرف النشأة الأولى، ثم هو ينكر النشأة الآخرة ، وعجبًا ممن ينكر البعث والنشور، وهو يرى الموت والحياة في النبات.

وعجبًا ممن يؤمن بالجنة، ثم يسعى لدار الغرور، ويؤمن بالنار ثم يعصي ربه العظيم:﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

- **سبب نزول العذاب على كل أمةٍ شيئان :**

الأول : معصية الخالق .

والثاني : ظلم الخلق .

فكل من كفر بالله وعصاه ، وظلم الخلق وآذاهم، فقد استوجب العذاب المهلك ، وبحسب الذنب نزل العذاب: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾[المائدة:٧٨- ٧٩] .

وبحسب الذنب الكبير جاءت العقوبة المدمرة : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ

ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت: ٤٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[هود:١٠٢] .

وسبب السعادة في الدنيا والآخرة شيئان :

الأول : طاعة الخالق .

الثاني : الإحسان إلى الخلق .

قال الله عز وجل:﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء: ٣٦] .

والاستقامة على هذا وهذا حتى الموت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله عز وجل:﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

- **ثلاثٌ مهلكاتٌ للعبد :**

أنا .. ولي .. وعندي .

فلا تقل : أنا ، فقد قالها إبليس فطرد ولعن حين قال : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ ﴾[الأعراف:١٢].

وقل : هو الله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾[الحشر: ٢٢] .

ولا تقل: لي، فقد قالها فرعون بقوله: ﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ ﴾[الزخرف:٥١] .

وقل: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠ ﴾[المائدة:١٢٠] .

ولا تقل: عندي، فقد قالها فرعون فخسف الله به وبداره الأرض: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ ﴾[القصص:٧٨] .

وقل : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾[الأنعام:٥٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾[الحجر:٢١] .

كمل في قلوب الصحابة الإيمان بأركانه الستة .

فجاء في قلوبهم ثلاثة أمور :

استوى عندهم الحي والميت .. واستوى عندهم اليابس والماء .. واستوى عندهم التراب والذهب .

فجاء في قلوبهم اليقين على الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخرجت من قلوبهم ظلمات الشرك والجهل .

فاستوى عندهم الحي والميت : فكما أن الميت لا يضر ولا ينفع، فكذلك الحي من الخلق لا يضر ولا ينفع ؛ لأن الأمر بيد واحد ، والمفتاح بيد واحد : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

واستوى عندهم اليابسة والماء :

فكما أن اليابسة لا تنفع إلا بأمر الله ، فكذلك الماء لا يغرق إلا بأمر الله ؛ لأن البر والبحر عبيدٌ من عباد الله خاضعون لمشيئته ، ومسرعون إلى إرادته ، ومستجيبون لمشيئته .

واستوى عندهم كذلك التراب والذهب :

فكما أن التراب لا ينفع إلا بأمر الله ، فكذلك الذهب لا ينفع إلا بأمر الله .

فكل هذه الأسباب خرجت من قلوبهم ، ولم يبقى فيها إلا التأثر من الله وحده ، واليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١] .

فالله وحده بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس: ٨٣] .

ولما جاء هذا الإيمان جاءت النصرة من الله ﷻ ، وجاء التمكين في الأرض ، وجاء حسن التعبد لله عز وجل، وجاء الرضوان من الرب، ورفعت الأيدي إلى الرب وحده فاستجاب لعباده : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ

لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وقال الله عز وجل:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤٠-٤١] .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

٩- الفصل التاسع

الله ﷻ هو الرب العزيز القهار الذي جعل في كل واحدٍ من البشر أثر الذل له ، والفقر إليه ، وهو العليم الحكيم الرحيم الذي جعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته وجلاله وجماله: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل : ٥٩-٦٥] .

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠١- ١٠٣] .

سبحان الله كفار مكة أنكروا أن يكون الرسول بشرًا ، ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرًا : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦]

فلا إله إلا الله، كم أضل الشيطان من البشر؟

قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤] .

العبادة هي الخضوع لله المقرون بالمعرفة والمحبة الناشئة عن الإعجاب بالعظمة ، والوفاء للجميل : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل:﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾[قريش:١- ٤] .

- **الدعوة هي :**

الدعوة إلى الله ، وتكون بتغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق ، فالخالق بيده كل شيء ، والمخلوق ليس بيده شيء ؛ لأنه في الأصل ما كان شيئًا، حتى يكون بيده شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

- **ولترسيخ هذا اليقين لابد من :**

التضحية .

والمجاهدة .

ولزوم البيئة الإيمانية .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات: ١٥].

وقال الله عز وجل:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٩].

وقال الله عز وجل:﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان:٥٢].

وقال الله عز وجل:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف: ٢٨].

في مكة كون النبي ﷺ بيئة اليقين بأن الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة فقط بالإيمان والأعمال الصالحة ، فلما حصل للصحابة هذا اليقين نزلت أنواع الطاعات ، وأنواع العبادات ، ومختلف الأوامر والنواهي، وذلك في المدينة ، فقبلها من تربى في مكة على الإيمان واليقين ، وردها المنافق الذي لم تحصل له التربية الإيمانية قبل استقبال الأوامر الشرعية ، وظهر ذلك جليًا في المدينة بظهور المؤمنين ، وإلى جنبهم المنافقين .

فالدعوة بالتضحية والمجاهدة تكون طاعة ، والدعوة بدون تضحية تكون شهرةً وشهوة﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

• **العلم هو :**

معرفة حكم الله ومراده في كل حال، وفعله، وهذه هي العبودية التي يريدها الله ﷻ من العباد، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وجهد الدين في الأحكام اكتمل في ثلاثٍ وعشرين سنة :

ثلاث عشرة سنة في مكة .. وعشر سنينٍ في المدينة .

ثم انقطع الوحي، لأن الدين قد كمل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

أما جهد الدين لإحياء الدين ونشره فقد بدأ من أول يوم إلى آخر يومٍ في حياة المسلم : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

• **جهد الدين هو :**

الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، يقوم على أربعة أمور، كالصلاة أقوالٌ وأفعال ، وركوعٌ وسجود، على الترتيب .

وكذلك جهد الدين وتوسيع الدين يقوم على أربعة أمور مرتبة هي :

١- الدعوة إلى الله وهي أم الأعمال كلها: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾[يوسف: ١٠٨].

٢- والعبادة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ﴾[الحج: ٧٧] .

٣- والتعليم: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران: ٧٩] .

٤- والأخلاق: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

- **أطوار خلق آدم في الجنة اثنان :**

الأول : طور الآدمية ، وفيها الخطأ والنسيان والغفلة والتربية، كما قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[طه:١١٥] .

وعلاج النسيان بالتذكير ، كما قال سبحانه : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾[الغاشية:٢١] .

وعلاج الضعف بتكوين البيئة الإيمانية ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة:١١٩] .

وآدم في طور الآدمية والتربية ليس عنده من يذكره ، وليس عنده بيئة إيمانية فيها أعمال الهداية من الدعوة، والعبادة، والتعليم، والأخلاق، ولهذا تاب الله عليه لما أكل من الشجرة .

الثاني : طور الاجتباء والاصطفاء للرسالة ، وفي العبادة والدعوة، كما قال سبحانه : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[طه:١١٧-١٢١].

وهذا في طور التربية ، ثم بعد ذلك جاء الاجتباء والاصطفاء : ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه:١٢٢] .

وآدم ﷺ أبٌ لكل البشر ، المؤمن والكافر ، والمرسَل والمرسِل إليه .

الطاعات أغذية نافعة ينمو الإيمان بها ويزهر ويثمر، والمعاصي سموم ضاره يضعف الإيمان بها و يدوي : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

- الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية .

منهج المسلم في الحياة واحد، ومنهج الرسول ﷺ في الدعوة والعبادة والأخلاق والمعاملات واحد: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

من المبشرات الكبرى أن أكثر من نصف الجاهلية قد هوى، والنصف الأخر سيهوي إن شاء الله : ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال: ٣٦] .

- **مقومات نور الهداية في القلب :**

الشورى والتفكر لنشر الدين، وإحياء السنن النبوية في حياتنا، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والدعاء .

فالشورى، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى:٣٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

والتفكر لنشر الهداية في العالم هو توسيع الدين كما فعل النبي ﷺ حيث دعا في مكة، ودعا في المدينة ، وكلف أصحابه بالدعوة إلى الله في جهات الأرض .

وإحياء السنن النبوية في حياتنا كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

والدعوة إلى الله كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

والدعاء والافتقار والانكسار بين يدي الله في كل أمر كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

الصحابة رضي الله عنهم اجتهدوا للدين حتى صارت أنواع العبادات شهوات ، وكثير من الناس اجتهدوا للدنيا حتى صارت الأموال والأشياء لهم شهوات :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ

عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام:٤٤] .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، واجعلنا من أنصار دينك .

- **العلم ثلاث درجات :**

الدرجة الأولى : تورث الكبر، لأن العلم صفه مميزه .

الدرجة الثانية : تورث التواضع، لأن من عرف الكبير تواضع له .

الدرجة الثالثة : تورث العبد كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله من الجهل بالله و أسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه ، وتورث كذلك المبادرة إلى الأعمال الصالحة :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه:١١٤] .

وقال الله عز وجل عن الأنبياء﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

لتغيير اليقين لابد من تخليه القلوب من كل ما سوى الله ، ثم تحليه القلوب بمعرفه الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفه خزائنه، ومعرفه أوامره، ومعرفه دينه وشرعه، ومعرفه وعده ووعيده:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة:٢٥٦] .

وقال الله عز وجل:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر:١٧-١٨] .

الشيطان عدو مبين للإنسان كما قال الله عز وجل عنه :﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾[يوسف:٥] .

الشيطان يريد أن يسرق الدين من كل مسلم ، أما الكافر فلا حاجه له به، لأنه مسروق لشيطان آخر ، كما أن اللص يذهب ليسرق البيت المملوء بالذهب والجواهر أما الفارغ من الذهب فلا حاجه له به :﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص:٨٢-٨٣] .

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر: ٦] .

العلماء يسهل عليهم ذكر كلام الأنبياء، ولكن ليس عندهم حزن الأنبياء غالبًا ، فإذا قاموا بالدعوة إلى الله زاد إيمانهم بحسب جهدهم ، واستفاد الناس من علومهم ، وجاء في قلوبهم نشر الحق في العالم :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

والعلماء الربانيون جمعوا بين العلم بالله، وبين العلم بأوامر الله ؛ فهم الصف الأول الحسن الذي يرى الناس من خلاله عظمه الرب، وعظمه دينه:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨] .

- **لتحصيل المطلوب في كل أمر شرعي لابد من ثلاثة أشياء :**

الأول: الدعاء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

وقد دعا النبي ﷺ، فاستجاب الله عز وجل له، ونصره على أعدائه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران:١٢٣] .

الثاني : البكاء بين يدي الله :

كما يبكى الطفل الصغير عند أمه، لتقضى حاجته : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

الثالث: العمل بما أمر الله ورسوله به كما قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧] .

١٠ - الفصل العاشر

الله ﷻ لم يرض أن تكون الدنيا محلاً لعذاب أعدائه لأنها قصيرة محدودة ؛ لأن العذاب إذا وقع جاء الموت ، فليست الدنيا محلاً للعذاب ، وما ينعم به الكفار إنما هو استدراج ليزدادوا آثمًا : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

وإنما الخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال: ٣٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء:٥٦] .

- **لابد لكل عبد من أربعة أمور :**

١ - طلب ما فيه اللذة والحياة .

٢ - والبعد عما فيهم الألم والشقاء .

٣ - وفعل السبب الذي تحصل به اللذة والحياة وهو فعل الأوامر .

٤ - وترك السبب الذي يحصل به الألم والشقاء وهو ترك النواهي .

وكل هذه الأمور بيد الله وحده : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك : ١] .

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ -٧٤] .

وقال الله عز وجل:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٩].

وقال الله عز وجل:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨] .

من ترك العلم الذي جاء به الرسول ﷺ، وترك العمل به فهو كاليهود مغضوب عليه لأنهم عرفوا الحق وتركوه ، ومن لم يعمل بما جاء به الرسول ﷺ فهو ضال عن الصراط المستقيم كالنصارى .

قال الله عز وجل:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ هم الذين عرفوا الحق وتركوه .

﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ هم الذين عرفوا الحق وضلوا عنه .

خلق الله الخلق ليعرفوا ويعترفوا أنه الرب الذي لا إله غيره ولا رب سواه ، وليعرفوا أحكامه الشرعية والقدرية والجزائية ويعبدوه بموجب ذلك : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وكبرتموه وأحببتموه وعبدتموه :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] ..

التوكل على الله نصف الدين ونصفه الثاني العبادة كما قال سبحانه وتعالي : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة : ٥] .

فكل عبد محتاج إلى الاستعانة بربه والتوكل عليه في فعل المأمورات وترك المنهيات والصبر على المقدورات : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

الكعبة أول بيت جعل للناس في الأرض ، جعله الله مباركًا وهدي للعالمين ، فإذا قامت حوله أعمال الهداية رجع الناس للحج والعمرة بالهداية والبركة .

وأعمال الهداية هي الدعوة إلى الله وعباده الله عز وجل فرضها ونفلها ، وتعليم شرع الله عز وجل وتعلمه والتحلي بمكارم الأخلاق :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وإذا لم تقم أعمال الهداية رجع الناس بالهدايا لا بالهدى ومنعت البركة من حياتهم : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران:٩٦-٩٧] .

الدنيا جسد وروحها الدين ، فلا قيمة للدنيا بدون الدين ، وروح الدين الدعوة إلى الله ، وروح الدعوة الشورى ، وروح الشورى الطاعة ، وروح الطاعة التضحية ، وروح التضحية البذل والترك من أجل الله : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾[الحج: ٧٨].

وقال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

فهذا الدين قام على الهجرة والنصرة، والتضحية بالبذل من أجل الله، والترك من أجل الله ، لهذا المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ورضوا عنه، لأن المهاجرين تركوا، والأنصار بذلوا، فالتقت الهجرة والنصرة ، فجاء الثالث وهو الرضوان من الرب، والرضا من الخلق كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

جُهد الصالحين أن يصلوا إلى الخالق فيعبدوه كما جاء عن الله ورسوله ، وجُهد الأنبياء والدعاة والمصلحين أن يصلوا إلى الخالق فيعبدوه وحده لا شريك له، ويوصلوا الخلق إلى الخالق ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

إذا تركنا الدعوة إلى الله فسد اليقين وتعلقت القلوب بالأشياء وبالمخلوق دون الخالق، ثم فسدت الأعمال، ثم فسدت الأخلاق، ثم فسدت الحياة باضطراب الأمن وغلاء الأسعار : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١]

وقال الله عز وجل:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٦٩]

المدارس والملاعب، وأماكن اللهو واللعب وغيرها مما يعصى الله فيه مذابح الإيمان ، والمساجد وحلقات العلم والذكر أماكن زيادة الإيمان : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٨] .

كلما سمعته الأذن يستقر في القلب، ثم يخرج من اللسان قولًا، ومن الجوارح عملاً، ومن كان يقينه على غير الله سلطه الله عليه : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه: ١٢٤] .

إذا فسد اليقين، وأعرض الناس عن الدين، أرسل الله الزلازل والسيول والقحط، ثم القتال فيما بين الناس، ثم فسد الاقتصاد، وقلت الأموال، وزادت الأسعار ، لعلهم يتوبون إلى ربهم : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[المؤمنون:٧٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام:٤٣] .

الله عز وجل فعّال لما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .

هو جل جلاله القادر على كل شيء ، فتح البحر لموسى عليه السلام، وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام وحفظ يونس عليه السلام في بطن الحوت ، وهو قادر على تدمير كل قوة في الأرض بزلزال أو خسف أو غير ذلك : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر: ٥٠] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يس:٢٩] .

وقال الله عز وجل:﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس:٨٢-٨٣] .

نصرة الله وحفظه لكل إنسان بحسب يقينه وعمله الصالح : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال الله عز وجل:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر:٦٠] .

وقال الله تعالى:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن:١٣] .

التوحيد : هو جمع القلب على الله خوفًا ورجاءًا ومحبةً وتوكلًا ، فلا يخاف العبد إلا ربه : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥] .

ولا يرجو إلا ربه : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

ولا يحب إلا ربه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤] .

ولا يتوكل إلا على ربه : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣] .

لا يعبد الله حقًا إلا من عرفه بأسمائه وصفاته حقًا : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق:١٢] .

وإن عرفتم ذلك عرفتم الكبير، وتركتم الصغير، وعرفتم الغنى، وتركتم الفقير، عرفتم القادر، وأعرضتم عن العاجز، وعرفتم الملك، وتركتم العبيد: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات:٥٠-٥١] .

لتصلح أحوالنا لابد أن نقدم مراد الله منا،على مراد أنفسنا منا ، ونقدم مراد الله من أزواجنا وأولادنا على مرادنا منهم ، ونقدم مراد الله من جيراننا وأصدقائنا على مرادنا منهم : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

إذا جاء التوحيد في قلوبنا توجهنا إلى الخالق، ولم نلتفت لأحد سواه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

إذا جاء التوحيد في قلوبنا غيرنا الوجهة من الدنيا إلى الآخرة ، وغيرنا الطريق من طريق الأموال والأشياء إلى طريق الإيمان والأعمال الصالحة .

إذا جاء التوحيد والإيمان في قلوبنا قدمنا مراد الله من كل أحد، على مرادنا من كل أحد ، فإذا قمنا بتحقيق مراد الله من الناس، حقق الله مرادنا منهم ، ومراد الله من خلقه أن يعرفوه ويعبدوه ويطيعوه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

جميع الأنبياء والرسل ولدوا خارج مكة ، وولد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ؛ لأن بعثته إلى جميع العالم إلى يوم القيامة ، وفي ذلك إشارة إلى أن الكعبة قبلة المسلمين إلى يوم القيامة ، والرسول ﷺ مرسل إلى الناس كافة إلى يوم القيامة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

الذي يأتيك من الناس من جولاتك في جهد الدعوة فهذا كسبك ، والذي يأتيك من الله فهذا عطاء الله وفضله عليك ، وكل ذلك نعمة من الله عليك ذلك فضل الله عليك، والله ذو الفضل العظيم: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

في الجو الإيماني تتكون القوة الدافعة لكي نعبد الله ، وفي الجو العلمي تتكون القوة الضابطة كيف نعبد الله .

الجو الإيماني جو مذاكرات عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده .

وهذا الجو يحبه كل الناس، ويحتاجه كل الناس، لأنه غذاء القلوب ، أما الجو العلمي فهو خاص بالعلماء وطلبة العلم الذين ميزهم الله عز وجل بالفقه في الدين، وأعطاهم من الذكاء والحفظ ما يعرفون به مسائل الدين وهما كالشمس والقمر بين النجوم ، ولابد لكل مسلم من هذا وهذا .

في الجو الإيماني يزيد الإيمان والعمل الصالح وفي الجو العلمي يزيد العلم، ويستنير العقل، ويحسن العمل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد:١٩] .

جاء الشيطان بسبب الغفلة فاحتل قلوبنا ، ثم جاء اليهود والنصارى فاحتلوا أرضنا، وأفسدوا أخلاقنا، ونهبوا أموالنا ، ولا يعيد الله للأمة أرضها، حتى تعود إلى الله بقلوبها ، وما دامت القلوب محتلة، فستبقى الأرض محتلة، والأعمال معتلة: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

من جاهد عدو القلوب وهو الشيطان قبل عدو الأرض وهو الإنسان ؛ يتربي على الولاء قبل البراء ، الرحمة قبل الشدة ، وعلى الحب في الله قبل البغض في الله ، وعلى الذلة للمؤمنين قبل العزة على الكافرين ، ثم يرزقه الله أربع صفات من صفات الجمال فيعفو عن من ظلمه، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ - ٧٤] .

وقال الله عز وجل:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة: ٥٤] .

ومن اشتغل بعدو الأرض قبل عدو القلب، فيتربى على عكس ما سبق، يتربى على البراء قبل الولاء ، وعلي الشدة قبل الرحمة ، وعلى البغض في الله قبل الحب في الله ، وعلى العزة على الكافرين قبل الذلة على المؤمنين:

ثم ينتج عنه أربع مهلكات ومدمرات :

التكفير .. والتفسيق .. والتبديع .. والتفجير .

قال الله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[هود: ١١٢] .

فالأول : جهاد مثمر، وهو جهاد الأنبياء والرسل ، وهو جهاد الدعوة إلى الله : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان:٥٢] .

والثاني : جهاد غير منضبط فللجهاد بالسيف شروط وقيود، أما جهاد الدعوة إلى الله فليس له شروط إلا العلم بالله ودينه وشرعه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩] .

والأمة الآن تركت الجهاد الأعظم المطلق وهو الدعوة إلى الله الواجب على الجميع، فأخفقت في الجهاد المقيد المؤقت وهو القتال، وهذا ما عليه القرن الأول في البدء بالدعوة قبل القتال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج: ٧٨] .

وقال الله عز وجل:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾[الحجرات:١٥] .

وبهذا انتشر الإسلام وانتقل من مكة إلى المدينة، إلى أنحاء العالم، علميًا وعمليًا للأفراد والجماعات : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم:٥٢]

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقـــدمة ٥

الجزء الأول: **١٣**

الباب الأول: ويشتمل على الفصول التالية: **١٥**

١ .الفصل الأول..... ١٦

٢. الفصل الثاني ٣٠

٣. الفصل الثالث..... ٤٥

٤. الفصل الرابع ٦٠

٥. الفصل الخامس..... ٧٥

٦. الفصل السادس..... ٨٧

٧. الفصل السابع..... ٩٨

٨. الفصل الثامن..... ١١١

٩. الفصل التاسع..... ١٢٤

١٠. الفصل العاشر..... ١٣٦

الباب الثاني: ويشتمل على الفصول التالية: **١٤٩**

١. الفصل الأول ١٥٠
٢. الفصل الثاني ١٦١
٣. الفصل الثالث..... ١٧٣
٤. الفصل الرابع ١٨٧
٥. الفصل الخامس..... ١٩٨
٦. الفصل السادس..... ٢١٠
٧. الفصل السابع..... ٢٢١
٨. الفصل الثامن..... ٢٣٥
٩. الفصل التاسع..... ٢٤٧
١٠. الفصل العاشر..... ٢٥٩

الباب الثالث : ويشتمل على الفصول التالية:..... ٢٧١

١. الفصل الأول ٢٧٢
٢. الفصل الثاني ٢٨١
٣. الفصل الثالث..... ٢٩٤
٤. الفصل الرابع ٣٠٥
٥. الفصل الخامس..... ٣١٨
٦. الفصل السادس..... ٣٢٩

٧. الفصل السابع..... ٣٤١
٨. الفصل الثامن..... ٣٥٦
٩. الفصل التاسع..... ٣٧٠
١٠. الفصل العاشر..... ٣٨٤
الباب الرابع: ويشتمل على الفصول التالية: ٣٩٩
١. الفصل الأول ٤٠٠
٢. الفصل الثاني ٤١٣
٣. الفصل الثالث..... ٤٢٧
٤. الفصل الرابع ٤٤٢
٥. الفصل الخامس..... ٤٥٩
٦. الفصل السادس..... ٤٦٩
٧. الفصل السابع..... ٤٨٤
٨. الفصل الثامن ٥٠١
٩. الفصل التاسع ٥١٦
١٠. الفصل العاشر..... ٥٢٥
الباب الخامس: ويشتمل على الفصول التالية: ٥٣٥
١. الفصل الأول ٥٣٦

٢. الفصل الثاني ٥٤٥
٣. الفصل الثالث..... ٥٥٤
٤. الفصل الرابع ٥٦٠
٥. الفصل الخامس..... ٥٧٠
٦. الفصل السادس..... ٥٧٦
٧. الفصل السابع..... ٥٨٢
٨. الفصل الثامن ٥٨٧
٩. الفصل التاسع ٥٩٥
١٠. الفصل العاشر..... ٦٠٥
فهرس الموضوعات ٦١٧